الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مكتبة الصفاء
للشيخ محمد علي دبوز

جمعية التراث

أعمال الملتقى الدولي الافتراضي

الشيخ محمد علي دبوز

رحمه الله

مؤرّخًا وأديبًا ومربّيًا



تنظيم:

مخبر الجنوب الجزائري للبحث
في التاريخ والحضارة الإسلامية

بالتعاون مع:

جمعية التراث

ومكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز

الجزء الثالث

يومي الثلاثاء والأربعاء 08 - 09 ربيع الثاني 1442هـ

24 - 25 نوفمبر 2020م

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة غرداية

كتاب أعمال الملتقى الدولي:
الشيخ محمد علي دبوز
مؤرخا وأديبا ومربيا
- الجزء الثالث -

يومي: الثلاثاء والأربعاء 08-09 ربيع الثاني 1442هـ/ 24-25 نوفمبر 2020م

أعدّ هذا الكتاب للطبع والنشر:
أمين مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز
أ.صالح محمد علي دبوز

رئاسة اللجنة العلمية:
أ. د. محمد قاسم ناصر بوحجام.
أ. د إبراهيم بحاز.
تنظيم: مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
بالتعاون مع: "جمعية التراث" و"مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز"

رقم الإيداع القانوني
ردمد: ISSN: 978-9969-9666-4-0
تاريخ الإصدار: أفريل 2026
نشر: جمعية التراث
مكتبة الصفاء للشيخ
محمد علي دبوز
-جميع الحقوق محفوظة-

- المحور الرابع -

الشّيخ محمد علي دبوز مربيًّا ومعلّما

منهج الشيخ دبوز في التدريس وأثره في تطور معهد الحياة

د.حمدي محمد بن صالح
جامعة الحاج لخضر - باتنة 1

مقدمة:

إن إماطة اللّثام عن الشخصيات التي ساهمت في مسيرة الحياة الإنسانية وتركت بصمات واضحة في مسيرتها، هو من مهام المؤرخ والمثقف في المجتمع، وقد تسلط الأضواء على الصفوف الأولى وطلائع المصلحين البارزين، على حساب الجيل الثاني، ففي ذلك غمط وإجحاف في حق المساهمين الذين واصلوا المسيرة وتلقوا المشعل، فإن الخوافي قوة للقوادم.

يعتبر الشيخ الدبوز شخصية متعددة الجوانب والمواهب، وإذا كان قد اشتهر بكونه مؤرخا جزائريا بامتياز؛و هو صاحب المصنفات العديدة في التاريخ الجزائري بصفة عامة ونهضة ميزاب بصفة خاصة، لكن قبل ذلك كان مربيا وأستاذا قديرا، كرّس حياته كلها مرابطا بمعهد الحياة مربيا ومعلما، وساهم في تطوير البرامج الدراسية، وجلب العديد من المقررات الدراسية بعد عودته من القاهرة ، وقد اهتم بالتكوين العقلي والنفسي والتربوي لطلبة المعهد، لكونه يهدف لإعداد معلمين ومربين يرابطون في المدارس القرآنية المنتشرة عبر

مزاب والجزائر.

ومن حسن حظي أني جلست إلى الشيخ تلميذا مستلهما من شخصيته وأخلاقه وحزمه وتوجيهاته في إدراك معاني الحياة قبل العلم والمعرفة، وكان له الأثر الطيب في مشوار حياتي الأكاديمية.

فما هي الشخصية التربوية للشيخ الدبوز؟ وما هو دوره في تطوير البرامج الدراسية في المعهد ؟

تلكم هي الإشكالية التي تحاول هذه الورقة الإجابة عنها.

الكلمات المفتاحية: البرامج الدراسية ، الشخصية التربوية للمعلم، الرسالة التربوية، معهد الحياة

وقد قسمت هذه الورقة إلى ثلاثة مباحث هي كالتالي:

المبحث الأول: معهد الحياة كما يراه الشيخ الدبوز في رسالته ومناهجه

المبحث الثاني: التقارير التربوية الموجهة إلى مدير المعهد

المبحث الثالث: الأهداف التربوية ورسالة المعهد والمعلم

خاتمة

المبحث الأول: معهد الحياة كما يراه الشيخ الدبوز في رسالته ومناهجه

عرّف العلماء التربية: بأنها" تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا" ويعرفها الراغب الأصفهاني:" إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام" أما الغزالي فيشرح معنى التربية مشبها إياها بعمل الفلاح الذي يقلع الشوك وينزع النباتات الضارة من بين الزرع، ليحسن نباته." [1]. وتلك هي رسالة التربية في معهد الحياة

كما يدل عليه شعاره "التربية قبل التعليم"

إن الشيخ الدبوز هو ابن معهد الحياة ففيه ترعرع وتفتقت مواهبه وعلى يد شيوخه تتلمذ وتأثر بهم، فبعد الانتهاء من دراسته الجامعية سنة 1948/1367 ورجوعه إلى وادي مزاب، دعاه أستاذه وشيخه الشيخ بيوض للقيام بالواجب الوطني والديني في ميدان التربية والتعليم، وكان عند حسن ظن شيخه ، وشمّر لمهنته في تفان وأسندت له المواد التي تخصص بها في دراسته بأرض الكنانة[2]

---

[1] داود بن عيسى بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، المطبعة العربية ، الجزائر، ط 1، س:2005، ص:2

[2222] دبوز إبراهيم بيوض، الشيخ محمد علي دبوز، ، تاريخه، شخصيته، جهاده، آثاره، نشر ، مكتبة الصفاء، بريان، 1998ص:28:

إن معهد الحياة قد مرّ بمراحل عديدة في تنظيمه ومناهجه منذ نشأته على يد الشيخ بيوض يوم الجمعة 28 شوال 1343/ 21 /1925/[1]، وقد تكفل به من الناحية المادي محسنون كرماء أدركوا واقتنعوا برسالة المعهد، وعندما تأسست جمعية الحياة سنة 1938 أصبحت هي الراعية والممولة لكل التعليم الحر القرآني في القرارة.

وكان فيه ثلاث طبقات؛ طبقة صغرى ومتوسطة وعليا، ويقوم تدريسها الشيخ بيوض نفسه ثم استعان في مراحل لاحقة بتلاميذه الكبار من أمثال الشيخ عدون.

وأدخلت التحسينات الكثيرة على مناهجه الدراسية. فمن خصائص معهد الحياة الطموح والإتقان والمرونة. إنه يساير تلاميذه ونبوغهم وتطور العصر وحاجاته، لا يجمد على كتاب واحد وعلوم واحدة، وطرق معينة، بل هو في ازدياد مستمر في كل أشيائه، فإذا وجد كتابا في علم من علومه أحسن من المقرر عنده قرّره، وإذا اقتضت ضرورة الحياة لبعض العلوم زادها، وإذا ظفر بأسلوب أحسن للتربية والتعليم أخذ به؛ إنه طموح ينظر يمينه وشماله لعله يجد أحسن مما فيه يأخذ بأحسنه. لقد زادت في دوره الأول تحسينات

[1] **محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية ، الجزائر، ط:1، س: 1389/ 1969، ج:3، ص16**

كثيرة في كل نواحيه، لاسيما علومه وكتبه الدراسية [1]

التربية والتعليم هما دعامتا المعهد، الاعتناء بالتربية العقلية والخلقية والجسمية ، فبعد كل درس أسئلة شفوية وكتابية، لا يعتمد على الحشو في المعلومات، بل يعتنى بما تتطلبه الحياة العملية الناجحة التي يهيئ لها المعهد أبنائه. [2]

حرّر الشيخ تقريرا يصف فيه معهد الحياة وفلسفته وأهدافه وأطوار التعليم فيه والغاية التي يرمي إليها، فيقول:

"أنشئ المعهد بجانب المسجد ليعيش الطالب في بيئة دينية وروحية، تعليم اللغة العربية الفصحى

لا العامية ولا الميزابية."ففي هذه الفقرة يؤكد على حقيقتين اثنتين:

أ-تأسيس معهد الحياة إلى جانب المسجد، ليكون هو المرجع ويستمد منه الجانب الروحي وكل ما تُوحي به المسجد من دلالات، إيمانية، فهو الراعي لمبادئه والمحافظة على قيمه. فهو امتداد لرسالة المسجد ومكملا لها.

---

[1] نفسه ص: **65**

[2] معهد الحياة للتربية والتعليم ، تقرير حرره الشيخ الدبوز بتاريخ، شوال **1379**/**1960**، عدد الصفحات :**05**

ب-اللغة العربية هي اللغة الرسمية والمعتمدة، وأهمية هذا المبدأ يظهر من سياقه التاريخي، حيث كانت اللغة العربية هي المقوّم الأساس في بناء الشخصية الإسلامية الجزائرية، والتي يحاول الاستعمار الفرنسي لمحاربتها واعتبارها لغة أجنبية ويقوم بتسليط أقصى العقوبات على كل من يسعى لنشرها والحديث بها.

إن تدريس اللغة العربية يهتم بالجانب التطبيقي، إرهاف شجاعته الأدبية واستخراج مواهبه من خلال الجمعيات الأدبية، بكتابة المقالات والنصوص وإلقاء القصائد، والخطب المكتوبة والارتجالية، وبناء التدين الصحيح في النفوس هي الدعامة الكبرى لكل الأخلاق.

أ-المبادئ الخمسة التي يقوم عليها المنهج التدريسي بمعهد الحياة

1-الاعتناء بعلوم الشريعة الإسلامية

أولاها الاهتمام بالقرآن الكريم فهو العدة الكبرى والأصل الأصيل والضرورة الأولى لكل تلميذ، لكن واجب المعهد المحافظة عليه وليس حفظه فحسب. إن المعهد مصاب بسوء الهضم بدروسه بدون قرآن.

إن الاعتناء بالشريعة يعني الاعتناء بها تعلما وفقها وسلوكا وبكل الوسائل المؤدية إلى ذلك ويعود على عمارة المسجد وإلزام التلميذ بالصلاة مع الجماعة. فالاعتناء بالشريعة الإسلامية واللغة

العربية، هما السببان الرئيسان في بناء الشخصية العظيمة الناجحة

2-الاعتناء باللغة العربية:

اعتماد اللغة العربية: لغة للتدريس والمخاطبة في حرم المعهد، هي اللغة العربية الفصحى، وهي من الثوابت الأساسية التي حولت المعهد إلى قلعة من قلاعها لتحميها من التشويه الذي يمارسه الاستعمار الفرنسي الثقافي لمسخ الشخصية الأصلية للجزائر وإسلامها وعروبتها، فتخرج من هذا المعهد الشعراء والأدباء والمربون الذين كانوا خير حام للوعاء الحضاري للإسلام

3-غرس الأخلاق الفاضلة في النفوس: صفاء الطوية، الحزم، النشاط، الاعتماد على النفس، النظام ، النظافة، التضحية ، نبذ الأثرة، والإخاء والشجاعة، التخلق بأخلاق الدين العالية.

لا يعتمد في بناء القيم الأخلاقية من دروس الأخلاق فحسب ، بل يحفّ التلميذ بالبيئة الطاهرة، وتقييم أساتذته من المخلصين العمّالين الأوفياء.

4-التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية هي عبارة عن عملية مستمرّة من الطفولة إلى آخر مراحل العمر، تتميز بتعلم واكتساب الأنماط السلوكية السائدة في المحيط الاجتماعي الذي يعيشه الفرد ابتداء بالأسرة

والمدرسة والمجتمع ككل، بما يمثله من عقيدة ولغة وتقاليد، وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات التي تحدث في المجتمع، وينظر علماء الاجتماع باعتبارها الطريقة التي تتكون الشخصية الإنسانية من خلالها.[1]

والمعهد يعمل من خلال رسالته وأهدافه لتنشئة الطالب تنشئة اجتماعية يتفاعل مع محيطه بدءا من المسجد والعمل الفلاحي في أوقات فراغه إلى جانب المساهمة في إحياء المناسبات الاجتماعية، فالطالب المتخرج يندمج بصفة آلية في مجتمعه، إما معلما بإحدى المدارس، أو مسيرا لحركة تجارية اوصناعية أو مرشدا وموجها اجتماعيا، وتظهر آثار هذه التنشئة بصفة أوضح في الطلبة الذين ينتمون إلى الداخلية (دار البعثات العلمية)[2]

5-التربية الجسمية من خلال جمعية رياضية والأخرى كشفية ، وله مناسبات يخلقها يطبع فيه التلميذ على الجلد والخشونة ونبذ الميوعة، وللمعهد قسم داخلي برئيسه ووسائله التربوية التي يبني فيه المنخرطون في واجبهم:الخلق ، العقل ، الجسم.

ب-شروط الانخراط وطبقات الدراسة بالمعهد:

---

[1] **داود بن عيسى بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، المطبعة العربية ، الجزائر، طك 1، س:2005، ص: 41**

[2] **انظر أثر البعثات العلمية، محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ، الجزائر، المطبعة العربية، طك1، س: 1389/1996/ جك3، ص: 148**

يشترط في التلميذ أن يكون متخرجا من المدارس العربية الابتدائية النظامية وأن يختم القرآن الكريم ويستظهره إن كانت ذاكرته وظروفه تسعفه.

طبقات معهد الحياة:

-في المعهد سنتان للإعدادي وأربع سنوات للثانوي، ويكون المجموع ست سنوات

-إذا نجح الطالب في السنة الثانية الإعدادية يترقى إلى الأولى ثانوي، وإلا يوجه للحياة العملية حسب ميوله ومواهبه.

ومدة الدراسة الثانوية تؤهل الطالب إلى شهادة التحصيل في كلية الزيتونة في تونس.

مدة الدراسة تسعة أشهر وثلاث أشهر عطلة سنوية، من أكتوبر إلى آخر يونيو، والدراسة الأسبوعية من السبت إلى الإربعاء (5) أيام، يوم الخميس يخصص للغة الفرنسية والعمل في الحقول ومساؤه لكرة القدم، والعمل في الحقول من وسائل المعهد في خلق النشاط والحزم والجلد في التلميذ، ويوم الجمعة عطلة أسبوعية.

-ساعات الدراسة خمس ساعات، تبتدئ في الصباح من الثامنة إلى الثانية عشر زوالا، وتضاف ساعة حسب التوقيت الصيفي والشتوي، من الثالثة إلى الرابعة بعد الظهر، أو من الرابعة إلى الخامسة.

و الفترة الليلية فترة حرة للمطالعة وإعداد الدروس وكتابة التمارين.

- المعهد بيئة عملية فيها المعلم يعمل والتلميذ يعمل ، وهم تحت رقابة الناظر في معظم النهار.
- للمعهد ثلاث اختبارات، واحدة سنوية واثنتان دوريتان.
- عطلة المعهد ثلاثة أشهر يقضي معظمها الطلبة في بساتينهم، وعلى لجان التلاميذ القدماء للمعهد، وهي موجودة في كل مدينة وتوجيه الطلبة في العطلة وتهيئة الوسائل،
- العناية بالعلوم العقلية خاصة الفلسفة وعلم النفس والتربية في السنتين الأخيرتين
- اتقان اللغة الفرنسية كلغة علم وتواصل
- للمعهد مكتبة حافلة بالمراجع في كل الفنون.

المبحث الثاني: التقارير التربوية الموجهة إلى مدير المعهد[1]

إن الشيخ الدبوز لم يكن أستاذا يقوم بتدريس المواد التي كلف بها بكل إخلاص وتفان فحسب ، بل كان يرفع تقارير تربوية لمدير المعهد، حول سير تدريس المواد المختلفة ويبيّن أهميتها ويقدم الملاحظات أو التعديلات المقترحة، وإعادة ترتيبها، لأنه يشعر أنه جزء من هذا المعهد الذي نشأ فيه وترعرع في أحضان شيوخه، فيسعى لتطويره وتكوين أجيال من أبناء الأمة ليحملوا لواء الإصلاح والتربية،

[1] التقارير التربوية الموجهة إلى مدير معهد الشباب، بدون تاريخ

كما كان يرمي لاعتماد المناهج التربوية الملائمة وتطويرها لتتناسب مع متطلبات وأهداف المعهد، وجلب كل جديد مفيد ونبذ كل جمود على المناهج البالية، وهذه عينة من التقارير التي رفعها إلى مدير المعهد:

أ-التقرير الأول :منهجية تدريس مادة الأدب العربي شعرا ونثرا [1]

قدم الشيخ تقريرا مطولا ومفصلا يبيّن فيه أهمية تدريس الأدب العربي، ومراعاة مستوى إدراك الطلبة

ويرى ضرورة مراعاة تدرج عقل الطالب في اختيار النصوص الأدبية شعرا ونثرا حسب تدرج عقله، فيبدأ بالشعر الجاهلي الصافي الذي يمثل عقلية العربي ذي البيئة الصحراوية البسيطة التي لم تمزجها الفلسفة، ولا تنتمي إلى أي حضارة، ثمّ يتدرج حسب العصور فيدرس أدب الدولة الأموية ثمّ العباسية التي تمثل قمة نضج العقلية العربية المتأثرة بالحضارات المجاورة وبالفلسفة، وتعطى نماذج من فحول الشعراء لكل عصر ومصر.

ب-اختيار الكتب المقررة المناسبة لبيئة التلميذ

و في الشطر الثاني من التقرير: ينتقد اعتماد كتاب "المنتخب" المعتمد في المدارس الثانوية المصرية الذي لا يصلح لبيئتنا لأنه

[1] التقرير الأول : منهجية تدريس الأدب العربي ، عدد الصحفات : 17 صفحة

موجه إلى بيئة خاصة لها تاريخها وحضارتها وأعلامها وخصائصها، مع ما فيه من التطويل وسرد تاريخ مصر الحديث ونهضته ونماذج من قصائده الطويلة.

لذلك يرى أن يختار ما يتلاءم مع إدراك الطالب الذي يعيش في بيئة خاصة من أرض الجزائر وشعرهم يمثل أحداثا عصرية عاشها التاريخ الجزائري وللأستاذ أن يختار ما يناسب الطالب ومستواه.

ج-الجانب الجمالي في المؤسسة[1]

يتمتع الشيخ الدبوز بصفات وخصائص يتميز بها، فإلى جانب صفة الحزم والانضباط هو شخصية تعشق قيم الجمال وفن التنظيم، التي تنطبع على ذوقه الرفيع وفي نظامه وسلوكه اليومي وفي مظهره وهندامه.

في هذا التقرير يشتكي فيه لأستاذه (مدير المعهد: الشيخ عدون) الحالة المزرية للمعهد من ناحية النظافة، وأن دروس الأخلاق والوعظ لا تكفي وحدها لغرس القيم الجمالية والذوق الرفيع في نفوس الطلبة، لابد من تخصيص دروس في تعلم النظام وأقترح برنامجا تطبيقيا لنظافة الفصول يقسم على طلبة كل طبقة، ويكون الأستاذ مسؤولا عن قسم من الأقسام. فالنظافة جزء من التربية التي تظهر في الشكل وصورة القسم وهندام التلميذ وأن نعلِّم للتلاميذ فن

[1] تقرير حول النظافة بتاريخ 8 فبراير، عدد الصفحات :07

الكنس. كما يتعلم بنات المراكز التكوينية فن النظافة والطبخ، مع تسليط العقوبة على التلاميذ الذين يحدثون فوضى ويرمون الأوساخ والقصاصات في الأروقة والأقسام.

فنظافة المدرسة ونظامها هي من العوامل الفعالة في نفس التلميذ، يجب أن تكون المدرسة غاية في نظام النظافة، ويحمّل المعلم هذه المهمة، فهو المسؤول الأول عن قسمه، لأنه أكبر أداة له في الترتيب وأكبر عامل يخلق الاعتداد بالمدرسة في نفس التلميذ، وهو سبب نشاطه والمثل الأعلى الباعث على العمل والمثابرة.

فعلى المعلم الاعتناء بهذا الجانب وتزيين وتحسين القسم، ولا ينتظر حتى تقوم الإدارة بالنظافة.

وقد ذهب الشيخ إلى أبعد من ذلك، فلم يكتف بغرس قيم النظافة والتحريض عليها، بل كان يطبقها على أرض الواقع، فكان يكلف كل بداية أسبوع(يوم السبت)دوريا طالبين للقيام بنظافة قسمه قبل الدخول من الساعة الأولى للفترة الصباحية، ثم يقوم بتقييم عملية النظافة ويضع لها نقطة تسجل في دفتر التقييم

د: المواد المقررة بالمعهد[1]

اقترح الشيخ المواد المدرسة بالمعهد وهي: الإنشاء، الأدب،

[1] تقرير حول تدريس المواد بالمعهد

المنطق، علم النفس، التاريخ ، البلاغة ،

1-الإنشاء: أكبر وسيلة للتربية العقلية، وهو المظهر العلمي لكثير من الفنون. والمؤشر على كفاءة التلميذ، فهو أشبه بالدم الذي يستخرجه الطبيب من الشريان ليفحصه، ويأمر المريض بما يجب الحصول عليه من القوة والصحة، ومن بين المواضيع التي تتناول في كل طبقة وفصل وكتابة القصة. أصول الإنشاء، تشمل الشروط التي يجب توفرها وخطوات الكتابة والأسباب المكونة للنشاط.

2- الأدب: أكبر وسيلة للتربية الأدبية والخلقية والجمالية في التلميذ، مهمة الأستاذ تدريب التلميذ على فهم الأدب وتربية عقله بواسطة النصوص، وهو يفتح نوافذ على العصور وفحول العربية ليرى جنات الأدب. ينبغي مراعاة التلميذ في النص المختار، الأدب على سنن العقل الإنساني في تطوره وكل سنة والعصر المناسب له، السادسة نماذج للأدب الأندلسي والأدب المغربي.

3-التاريخ: تاريخ الجزائر وتاريخ السكان الأصليين للجزائر البربر وأصلهم وشخصيتهم ودولهم في شمال إفريقيا، والدول البربرية العظيمة وملوكهم.

يقف الشيخ وقفة في أصل تاريخ الجزائر ويرى أن من لا يهتم بالتاريخ الأصلي البربري لا يستطيع أن يفقه مراحل تطور تاريخها، فيقول: "إن أصل تاريخ الجزائر هم البربر وكل من جهله كانت دراسته

للتاريخ غامضة"

و يرى أنه أهم للتلميذ من التفاصيل في الدول الإسلامية. يجب التركيز على المحطات الأساسية والقيم الثابتة منها:" إباء البربر وبطولاتهم وعدل الإباضية وصفحتهم البيضاء.

واحتقار البعض لهذه الفترة من تاريخ الجزائر احتقار للأصل ويستشهد باعتناء المصريين بتاريخهم القديم وكيف توسعوا في تفاصيله واسهبوا في تتبع مراحله ، إيمانا منهم بأهمية التاريخ في تكوين شخصية التلميذ.

يضع الشيخ الخطوات المنهجية التي ينبغي على الأستاذ تتبعها أثناء درس التاريخ فيما يلي:

-يجب أن يفتتح الأستاذ دروسه في هذا الفن ببيان جدوى التاريخ وفوائده ويلفت نظر التلميذ إلى حكمته وفلسفته، ويجب أن يكون محبا للفن ومغرما به، وحب الأستاذ للفن شرط أساسي لنجاح التلميذ فيه، إذ هو دائما في شعوره نحو الفن.

-البدء بأسباب تكوّن الدول ودراسة الشخصيات

-إبراز النواحي النيرة والعظيمة ودرجاتها في الحضارة والشخصيات البارزة وأيام ازدهارها ثمّ يذكر أسباب انحطاطها والعوامل النفسية.

-يستعرض المراحل التاريخية وما يناسب بكل سنة بدءا من التاريخ

القديم للجزائر، مركزا على الجانب البربري ثم الفتح العربي ودورها وتعطي له أهميته ثمّ يخصص فصل لدراسة التاريخ الإباضي بشمال إفريقيا بالتمهيد للإباضية في المشرق.

-كتابة الخلاصات من طرف الأستاذ: التاريخ ليس حكايات أخبار الأولين، لكن من أعظم الفنون في خلق شخصية التلميذ، وهو يرسم المثل الأعلى لسلامة ما يصور من أمجاد، فيشمّر لإعادتها، وتصبح تلك الشخصيات المثل الأعلى للتلميذ.

4- المنطق: و هو مقرر للطبقات العليا. ويعدّ أكبر علم رياضي يُعمل العقل الإنساني فيرتقي، فليست أهمية تعليمه للقواعد التي إذا التزمت في التفكير كان صائبا، ولكن لرياضة العقل، بكثرة التمارين فيه، لاسيما في القضايا والقياس. والمرجع فيه، كتاب المنطق، للدكتور أبو العلا عفيفي

5-علم النفس

علم النفس التربوي وأهميته في العملية التربوية [1]

لم تكن التربية في عصورها القديمة شاملة متكاملة كما هو الحال في العصر الحالي، بمعنى لم تكن تتناول مختلف قوى الفرد

[1] مديرية التكوين والتربية ، المديرية الفرعية للتكوين، دروس في التربية وعلم النفس، الطباعة الشعبية للجيش، 1973/1974، ص:167

واستعداداته وجوانب شخصيته المتنوعة، وبقيت العلوم الاجتماعية لفترة طويلة تعالج على مستوى فلسفي، تعتمد على النظر العقلي، أكثر مما تعتمد على البحث العملي الموضوعي.

إن فرع علم النفس التربوي هو أحد فروع علم النفس يتناول سيكولوجية التلميذ؛ فيدرس خصائص نموه ومراحل تطوره، والمعالم المميزة لكل مرحلة أو طور من أطوار النمو، ودوافع سلوكه في حياته الفردية والاجتماعية، مما يلقي الضوء على المعطيات النفسية لمناهج الدراسة، ويوجه ويرشد المعلم في أدائه لمهنته داخل الفصل وخارجه، ويهديه إلى أسلم الطرق لمعالجة المواقف التعليمية، ومواجهة الفروق الفردية بين التلاميذ ومشاكلهم السلوكية.

لقد أدرك الشيخ الدبوز أهمية علم النفس والتربية، فاقترح إدراجهما ضمن البرنامج الدراسي لمعهد الحياة، فيذكّر في تقريره على أهمية هذين الفنين، بقوله ":إننا ندعي الغرام بالأخلاق ونباهي أن مدارسنا ومعاهدنا للأخلاق قبل العلم، ونحن لا نغرم ونهتم بأصول الأخلاق وهو علم النفس والتربية التي ترينا كيف نغرس الأخلاق وكيف نبني العقول، إن درس الأخلاق في المعهد شيء مهم، لكنه مجرد مواعظ للتحسين والتقبيح. أما الطرق التي تغرس بها العادات الحسنة وقيم الخير في النفس، وتبين الأساليب التي تقتلع بها العادات السيئة، فذلك هو مجال التربية وعلم النفس ، فلا يستهين بها

إلا من يستهين بعلم الأخلاق نفسه. إن هذين الفنين اللذين تعتني بهما المدارس الثانوية في المدارس الراقية مثل القاهرة."

يقارن الشيخ في بيانه لأهمية هذين الفنين مع أهمية علم أصول الفقه بالنسبة للفقيه، فأصول الفقه الذي يعلّم استنباط الأحكام الشرعية ولا يستفيد منه إلا الفقهاء، أما دروس التربية وعلم النفس فهو فن لكل من يتصدى لميادين الحياة.

يردّ الشيخ على الذين لا يرون ضرورة هذا العلم فيقول ":إن البعض من لا يعرف حتى فصول هذا العلم يسارع إلى انتقاده والحكم عليه أنه علم كمالي، ثمّ يمط على شفتيه فعل المشمئز، إذا ذكر له هذا العلم، فلو هداهم الله أمسكوا عن الحكم على شيء لم يعرفوا حقيقته.

إن المدارس الثانوية الراقية كلها توليه عنايتها، وبرامجها من وضع فلاسفة الاجتماع، ويردّ على من يحتجّ بالبرامج في الزيتونة - وهي مثلهم الأعلى-و هي كلية هرمة داخلها تسلل إليها الاستعمار الذي يسيطر على برامجها. يجب أن يكون مثلنا الأعلى الكليات العالمية الراقية.

معاملة الطفل في كل دور بما يتفق وطبيعته، وتستغل قواه الناشئة بتقديم ما يحملها في عقله وذاكرته، فالذي يحكي لك الأدوار والنواحي العقلية هو علم النفس.

ثمّ يؤكد على أثر علم النفس في العلوم الشرعية، لكونه يخدم علوم الشريعة بصفة غير مباشرة، فإذا كان هدف الشريعة التأثير على النفس الإنسانية، فإنه يستحيل فهم القرآن بدون إدراك النفس الإنسانية.

6-علم الفلسفة: أهمية الفلسفة للسنوات النهائية لمعهد الحياة، لأنها الفنّ الذي يجد فيه عقل التلميذ غذائه ومجاله، الذي يحاول فيه ويسمو، أما الفنون الأخرى كلها، فما هي إلا درجات أولى لهذه الغاية، ويجب أن يراعى غرام التلميذ بالفلسفة في هذا الدور، وحبه العميق في التفكير كغذاء ضروري لعقله في كل الفنون ، فلا يكتفي بالقوانين العلمية المجردة، نقدمها قضايا مسلمة.

8-البلاغة: المقرر هو كتاب البلاغة الواضحة في ثلاث سنوات، بدءا بالمعاني لسموها ثمّ البيان منه إلى المجاز اللغوي ثمّ المجاز العقلي والكناية والبديع، وكتاب البلاغة يتبع منهجية سليمة استقرائية تجعل التلميذ يستنبط القاعدة.

المبحث الثالث: الأهداف التربوية ورسالة المعهد والمعلم

تعدّ الأهداف التربوية الركن الأساس الذي تقوم عليه العملية التربوية برمتها، إذ تتعلق بها عمليات بناء المناهج الدراسية واختيار الإجراءات والأساليب والوسائل والأنشطة التعليمية، وتحتمل مكانة أساسية لأنها تمثل مجموعة القيم والاتجاهات والقدرات والمهارات

التي يتضمنها النظام التربوي.[1]

و لقد اهتم معهد الحياة بالمنظومة التربوية وأهدافها، والتقارير التربوية التي يعدّها الشيخ الدبوز تؤكد هذه الحقيقة، وهذه أبرز عناصرها:[2]

1-إن وظيفة معهد الحياة إعداد التلميذ ليكون رجلا ناجحا في الحياة ظافرا في معترك المجتمع الجزائري، ويتطلع إلى آفاق عمق القطر الجزائري، ولا يقتصر على البعد المحلي المزابي.

2-عدم التعصب الأساتذة لتخصصاتهم، في تقرير المواد، وألا يحتكموا إلى العواطف وإلا فالشرعي منهم يرغب أن يكون معهدا للشرعيات والأديب للأدبيات والرياضي للرياضيات ، إن المعهد وظيفته أن يمدّ تلاميذه بما يكون لهم عدة يجدون بها الأسباب التي تقتضيها النجاح في الحياة.

3-المعهد وظيفته التربية والتعليم، ويجب أن تكون المعلومات التي يلقنها المعلّم على طريق تضمن التربية الخلقية والعقلية، لا يرتكز على الذاكرة والحفظ فحسب، بل مراعاة الخلق والعقل الذي يضمن

---

[1] داود بن عيسى بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، المطبعة العربية ، الجزائر، طك 1، س:2005 ص: 93،

[2] حررت: الخميس 24 نوفمبر 1955

استمرار المعلومات وعدم نسيانها.

4-وظيفة المعلم: تكوين عادات في المتعلم لا تعليمه فقط، فمعرفة المواد: النحو والأدب والفقه لا جدوى لها إذا لم تكن للمتعلم عادات في اللسان تأتيه بدون شعور منه، وكل العلوم لا تكون إلا بكثرة التطبيق في التمارين. ليست العبرة بكثرة الدروس والكتب المقررة ، إنما كثرة التمارين العملية.

5-الاهتمام بالتطبيقات والتمارين: إن وظيفة المعلم ليس ختم الكتاب في الفن ولكن جعل التلميذ يختم الكتاب بنفسه ويتخصص بجهوده في فنه، ولا يكون ذلك إلا بتربيته عقليا بواسطة المعلومات التي تُعمل عقله فيها بالتمارين ليترقى وليفقه كل الفقه تلك المعلومات، لذلك يجب إعطاء الوقت الكافي للتلميذ خارج الدراسة ليعمل في التمرين ما يبلغه هذه الغاية. إن درسا واحدا متقنا وعدة تمارين أجدى بكثير من عدة دروس نحشو بها الذاكرة ثمّ تنسى.

القاعدة الذهبية: أن المعلم الكفء هو الذي يجعل التلميذ في غنى عنه في أقرب مدة. و لا يكون ذلك إلا بأعمال التمارين، يقول الفقهاء الراسخون في الفقه أن مسائل الفقه لم ترسخ إلا بالفتوى، وأما دروسهم التي طبخوها في الحلقة بالتكرار لباب في عدة كتب فقد نسوها. والافتاء امتحان كالتمرين وتطبيق للقاعدة. فطريقة الحشو بالمعلومات وبالكتاب المقرر تلو الكتاب لا تجدي نفعا، في كل

العلوم يخرج التلميذ فارغا.

6-إتقان الدروس وإعدادها إعدادا كاملا وإلقائها بأحسن طريقة، ويجب ان تنبع من قلب المعلم المتحمس للمادة المحب لها ومن أعماقه، ثمّ محاسبة التلاميذ على مطالعة الدرس بحيث يضمن لنا التكرار الذي هو أساس الذاكرة القوية.

7-الربط بين الأفكار: تداعي الأفكار باب مهم في علم النفس، تعني// ربط مالا يذكر بما يذكر يجعله راسخا في الذهن، مثل ربط حكم فقهي بحادثة في الخارج، تذكر التلميذ الحكم كلما ذُكر له الحادث، قوة تداعي المعاني هي أساس الذاكرة.

8 -أهمية مادة التربية وعلم النفس: إن فن التربية أساسي في التعليم وهو سبب تقدم التعلم، وما دمنا على الجمود الذي يرى أن فنّ علم النفس زائد، وهما وحدهما الدواء الناجح لمدارسنا ومجتمعنا.

وقد يبدو للكثير أن يزيدوا في مواد جديدة في هذه السنة، فيصلوا الفقه بكتاب جديد والأدب بحصص جديدة، غير عالمين أن سوء الهضم هو سبب التقهقر لا قلة المواد.

9-استيعاب المعلم للمادة المقررة :الواجب الفرض على كل معلم أن يتمكن من المادة التي يدرسها ويحيط بها إحاطة واسعة، ويرسخ فيها رسوخا كاملا وذلك بإعداد دروسه دائما بإتقان وفي عمق والإحاطة

بالباب إحاطة تامة، أما الذي يكتفي بفهم النصوص التي في كتاب الطالب ليشرحها له في وقت الدرس، فليس بالمعلم الذي قام بواجبه.

يجب الإحاطة بالباب، فلتقرير قاعدة أو باب يستغرق ساعة يجب إعداد المعلم لها ساعات، لأنه فرض على المعلم أن يكون راسخا في الباب مطلعا على دقائقه كلها. لا ليخبر التلميذ بكل ما علِمه، بل ليعرف أقصر الطرق في دروسه ليسلكها، إنه في العلم كما في المدينة لا يسلك بك أقصر الطرق إلى غايتك إلا من عرف المدينة كلها.

القاعدة التي يجب أن تكتب في جبين كل مدرسة ليقرأها كل أستاذ دائما هي:" أن المعلم كلما زاد قدمه في تدريس المادة يجب أن يحتفل بإعدادها أكثر يهيئ درسه، كأنه يعده لأول مرّة، ليدرسه لأول مرة ، وذلك لتجدد المعلومات، فلا يشرب تلاميذه من نهر آسن، والجدّة للمعلم تبعث على النشاط الشوق، كما هي للتلميذ، إنه لا خير في معلم يدخل قسمه وليست كل دروسه في رأسه قد رتبها ترتيبا فنيا وأعدّها على أحسن الطرق.

10-محبة المعلم لمادته: ليعد المعلم دروسه بإتقان ويجب أن يكون محبا كل الحب للعلم الذي يتولاه متحمسا كل التحمس مغرما به كل الغرام. إن الغرام لا يضمن لنا إعداد الدروس فحسب، بل يسري منه العدوى النفسية إلى التلاميذ يحبون تلك المادة ويتحمّسون لها بحماسه، فالإنسان يسيره وجدانه لا عقله. لنترك تسعة أعشار أوامرنا

للتلميذ ولنغرس في نفوسنا ما نريد أن يكون في نفسه، فإنه سيحصل على المراد.

لا خير في أستاذ تثقل عليه مادته، لأن ذلك الثقل يسري إلى تلاميذه، ولا خير في أستاذ يأمر تلاميذه بالعمل في الخارج ويرونه لا يعمل في الخارج. فإذا رأينا قصورا في مدرسة فلنبحث عن شخصية المعلم وطرق التربية والتعليم لا في البرامج.

11-طرق التعليم: الفرض الثاني الأوكد والواجب الألزم على المعلم بعد التمكن من المادة، العلم بأحسن الطرق في التعليم والمعرفة لأحسن الأساليب في التدريس لنصل إلى الغاية من أقرب طريق ونحصل على أعظم النتائج بأقل جهد.

وحالنا في مدارسنا أننا نتعب كثيرا ولا ننال من النتائج إلا قليلا، والسبب ليس هو جهل المعلم بالمادة لكن النقص في طريقة تدريسها، وفي الأساليب التي ينبغي الأخذ بها، وإن كتب التربية وطرق التدريس تغص بها المكتبات ولعلها تتصدر قائمة المنشورات في المطابع العصرية.[1]

---

[11]وقد اطلعت على إحصائيات دار الكتب المصرية سنة 1954 فإذا قراء هذا الفن التربية والتعليم أضعاف قراء الفنون الأخرى حتى الأدب والروايات. يشتكي الشيخ في تقاريره من المعارضة التي يجدها من بعض الأساتذة تجاه تدريس مادة التربية وعلم النفس، فيقول"

من الإخوان المثقفين إذا عددت لهم مواد المعهد وذكرت له التربية وعلم النفس زوى بين

و التربية والتعليم تقوم على علم النفس، فيستحيل أن نعرف الأساليب الضرورية في كل دور من أدوار الطفولة وفي كل علم ما لم نعرف خصائص تلك الأدوار، وإننا لجهلنا لهذين الفنين نزرع القمح في الصيف ونطلب من النخل الرطب في الشتاء.

وفن التعليم يقرر أن تكون الأساليب والمواد الموجهة للصغار إلى سن العاشرة كلها محسوسة وبطرق حسية، لأن الإدراك المعنوي لا يقوى لنعتمد عليه إلا في سن المراهقة، ولا يمكن لهذه المعارف أن تأتى بالتجربة كما يدعي البعض، وعلينا الإطلاع على المدارس الراقية المتقدمة.

هناك أساليب عامة تتناول قوى عامة في الإنسان كالعقل والخلق يجب الأخذ بها، وأما مواد الدراسة فعلى حسب وسطنا، لكن طريقة تدريسها شيء عام لأنه روعي فيها طبيعة العقل العامة.

إن التربية والتعليم فن من أكبر الفنون فيجب معرفة قواعده

عينيه فعل المشمئز، إنهم يريدون أن يركموا أوقات مدارسنا كلها بعلوم هي فيها هزيلة لعدم تمكننا في هذين الفنين، " إنهما حياة مدارسنا ومجتمعنا أكثر بكثير من الفنون التي نقدسها بالتقليد والإلف، إن عصرنا بكل أسف لا يخلو من لوثة بعثت أسلافنا على معارضة الجغرافية والتاريخ والعلوم الحيوية لما دخلت مدارسنا.

والتدريب عليها، فنحن لسنا في حاجة إلى علماء فحسب بل نحن في حاجة إلى مربين.

12-صفات المعلم الكفء

أ-الحزم: أول الصفات التي يجب أن توفرها في المعلم هو الحزم، فإنه أساس الرجولة الذي يجب بناؤه في نفس التلميذ، ولا خير في معلم فاتر فسل ميت الهمة، فإنه ينتج الجيل الفاتر.

ب-الغرام بالمهنة :و إذا كان المدرّس قد اتخذ مهنة التدريس رسالته في الحياة، فإنه يغرم بها كل الغرم، ولا يبتغي بها بديلا، أما إذا أرغم عليها إرغاما أو ساقه إليها طلب الرزق ورآها بابا للمال، فإنه يكون من البرودة والفسولة ولا يحدث تأثيرًا إيجابيا في نفوس تلاميذه.

13- ترتيب أولويات برامج الدراسة: برامج الدراسة يجب أن يراعي فيه نشاط التلميذ، فالدروس الصعبة كالمنطق والحساب والأدب والفلسفة، وكل هذه المواد يجب وضعها من الأسبوع في وسطه، يكون التلميذ فيه أنشط، ومن اليوم في الساعات الأولى من الصباح. إن الساعات الأخيرة يكون فيها درس خفيف وإلا ظُلِمَت المادة والتلميذ معا، ويجب وضع البرنامج مراعاة وقت التلميذ الخارجي، فلا يوضع له من الدروس مالا يتسع تكاليفها وقت الطالب.

14-التطبيق والفهم أولى من الحفظ :إن حفظ المتون في الفن عملية

ما أسهلها، ولكن غرسه بمادة فيه قوة الهضم وكثرة التطبيق صعب كل الصعوبة، وهي غاية لا تصل إليه إلا المدارس التي تؤمن بأن القاعدة جزء من الدرس، لا حفظها ثمّ تنسى، إن من طبق النحو يجده دائما في لسانه، ولكن دلوني على واحد حفظ الألفية وقت القاعدة ويستطيع استظهارها الآن.

يجب أن يتقن القرآن إتقانا تاما وقت حفظه الأول بحيث لا يستظهره لينخرط في المعهد إلا من أتقنه وكذلك حفظ جزءا منه، إذا كان القرآن لم ينس التلميذ قرآنه، أما إذا لم يرسخ لابد من التكرار.

16- النشاط اللاصفي: الأستاذ والمدير والناظر مسؤولون عن تنظيم وقت التلميذ الخارجي وتوجيهه إلى أن يقوم بالأعمال الصعبة في وقت النشاط كالصباح قبل الدرس والعشية بعد الظهر. أما أن يترك التلميذ يبدّد نشاطه في السهل ويقوم بالصعب بعد عشائه في آخر النهار فهذا تقصير يقتل الفنون.[1]

المطالعة الخارجية الحرة: إن المطالعة الخارجية للتلميذ كالأكلات

[1] يشير الشيخ في تقاريره إلى بعض المظاهر السلبية في هذا الصدد:

لا يكتب الطلاب مقالاتهم وإنشاءهم إلا يوم الخميس، وتراهم بين المغرب والعشاء وهو وقت نشاط واجتماع يمكنهم من المطالعة الجماعية ينكبون على الحفظ، حفظ المتون والقرآن.

الخارجية للطفل إذا شب وصار لا يكفيه لبن أمه وبدونه يصير هزيلا، ومن أسباب هزال المعهد ضعف التلاميذ في المطالعة الحرة، إن من أسبابها ضيق الوقت، فيجب في وضع البرنامج مراعاتها. إن القراءة الحرة يجب غرسها عادة في التلميذ لنضمن له التخصص بعد مراحل المعهد والزيادة في العلم ومسايرة العصر.

إن شهور العطلة كان يقضيها التلميذ في التهام الكتب، لو أن عادة القراءة غرست فيه بواسطة المطالعة الحرة، وتراه إذا قرأ للهيمنة فيه وليس بدافع ذاتي

خاتمة:

رصدت هذه الورقة الفكر التربوي عند الشيخ الدبوز، منظّرا ومقرّرا ومدرّسا، فقد تأثر بالمنهج التربوي الذي سلكه شيوخه منذ تأسيس معهد الحياة، وحاول أن يطوره بما يتلاءم مع التطورات والمغيرات وبما عاشه وهو طالب بالمعاهد المصرية أثناء فترة دراسته، فكان الأستاذ المثالي المتفاني في أداء رسالته التربوية، وقد جاهد في سبيل إقناع إدارة المعهد بإدخال تعديلات على المناهج والمقررات الدراسية، وواجه المعارضين له بالحجة والإقناع

ونستنتج من خلال تقاريره أن له فكرا تربويا متفتحا يستفيد من تجارب الغير، ويغلّب إعمال العقل على الوجدان والعاطفة وهو ينتقد بعض السلوكات والمناهج البالية، ويعتقد اعتقاد راسخا أن نجاح

رسالة المعهد تتمثل في الاهتمام بالقوى العقلية للتلميذ وتفتيق مواهبه، مع التركيز على التدين الصحيح وبناء الشخصية الإسلامية العربية القوية للتلميذ بالاهتمام بجميع جوانبها.

التوصيات:

-الاهتمام بالجانب التربوي فكر التربوي للشيخ الدبوز وإبراز وآرائه

-العمل على نشر أفكاره التربوية على مؤسسات التعليم القرآنية والعامة وأخذ منها ما يتناسب مع العصر

-تصدي بعض الباحثين الجامعيين ، بإنجاز دراسات أكاديمية حول الفكر التربوي للشيخ.

المراجع المعتمدة:

-محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية ، الجزائر، ط:1، س: 1389/ 1969، ج:3،

-دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز، تاريخه، شخصيته ، جهاده ، آثاره، مكتبة الصفاء، بريان، ط:1، س: 1413/ 1998

-داود بن عيسى بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، المطبعة العربية ، الجزائر، طك 1، س:2005

-مديرية التكوين والتربية ، المديرية الفرعية للتكوين، دروس في التربية وعلم النفس، الطباعة الشعبية للجيش، 1974/1973

التقارير التربوية:

-التقارير التربوية للشيخ محمد علي دبوز (مخطوط) مكتبة الصفاء، بريان

-كراريس تحضير الدروس للشيخ محمد على دبوز (مخطوط) مكتبة الصفاء، بريان

-كراريس تقييم التلاميذ للشيخ محمد على دبوز (مخطوط) مكتبة الصفاء، بريان.

خصوصية المنهج التربوي عند الشيخ محمد علي دبوز

د. فخار حمو
جامعة غرداية
د. دبوز سعيد
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

تمهيد:

المتصفح لقائمة الأعلام والعظماء الذين تركوا بصماتهم في المجتمع وسبلوا أنفسهم من أجل خدمة الدين والوطن يجدهم كثر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، والشيخ محمد على الدبوز- رحمه الله- أنموذج لهؤلاء الأعلام الذين تركوا لنا رصيدا علميا معتبرا، غير أن الإحاطة بهذا الكم المعرفي أمر في غاية الصعوبة بمكان، لذا سنركز في دراستنا على جزئية نراها هامة والتي لها علاقة بالمحور الثاني من أشغال الملتقى (الشيخ محمد علي دبوز مربيا ومعلما) فبالرجوع إلى ما كتبه الشيخ محمد علي دبوز في التاريخ الإسلامي نجد أنه أولى عناية كبيرة في جمع مادته وتدريسها، وتقديمها للناشئة تقديما مبنيا على قواعد أصول التربية وعلم النفس ومبادئ الشريعة الإسلامية، إلى جانب هذا قام الشيخ بتصحيح الأخطاء التي نسبت إلى

التاريخ الإسلامي من قبل المغرضين والأفاكين الحاقدين على الإسلام، ومن خلال هاته المداخلة نحاول الإجابة عن بعض التساؤلات من أهمها: هل هناك ما يميّز الشيخ في أسلوبه التربوي؟ وما هي الآليات التي اعتمدها الشيخ؟ وما هي آثار ذلك على النائشة؟

وهو ما سيتم الإجابة عنه من خلال المحورين الآتيين:

- الشيخ محمد علي دبوز مربيا ومعلما.
- اعتبار الكتابة التاريخية وسيلة لصناعة الجيل.

المحور الأول: الشيخ محمد علي دبوز مربيا ومعلما

التربية في حقيقتها هي عملية إنسانية ترتبط بوجود الإنسان على الأرض، وهي مستمرة باستمرار الحياة، وموضوعها الأساس هو الإنسان بكل مكوناته من جسد وروح، وعقل ووجدان، وعليه فمنهج التربية يقوم في الإسلام على تربية الإنسان وإعداده إعدادا كاملا سليما بتوجيهه الوجهة الصحيحة، ليأخذ مركزه اللائق في المجتمع الذي يعيش فيه، بحيث يكون فاعلا، معطاء ومؤثرا، وهذا لا يتأتى إلا بتربية متكاملة متوازنة، وقد أنكر الله تعالى على بني إسرائيل الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، حيث قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: 85]، وكأن هذه الآية تنطق بواقع الأزمنة المتأخرة،

أين نجد من يساوم على بعض شرع الله، فينادي بالاحتكام إلى شرع الله عز وجل في باب من أبواب الحياة، ويرفض بعد ذلك سائر الأبواب، وعليه فأيّ منهج تربوي يعتمد في فلسفته على هذا الاعتقاد الزائغ فهو منهج غير متكامل وغير مقبول، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: 84].

ومن خلال هذا المحور نحاول التعرف على أهم الآليات والوسائل التي اعتمدها الشيخ محمد علي دبوز في بناء الجيل.

أ. الإيمان أولا:

كان الشيخ محمد علي دبوز مثالا في التقوى والورع وعمارة المسجد، إن أول مبدأ يؤمن به الشيخ في أداء رسالته التربوية أن الدين هو الذي يلجم النفوس فتقف في حدودها، ويضبط الغرائز فلا يندفع صاحبها إلى الموبقات، ويحمل صاحبه بدافع الخوف الشديد فيتَّسم بالصلاح، وفي هذا يقول الشيخ بيوض رحمه الله مجيبا عن سؤال ورد إليه عن سبب استقامة المجتمع المزابي عموما: "الفضل الأكبر في هذا يرجع إلى عقيدة الخلود لديهم فهم يعتقدون أن من مات مصرا على كبيرة ولم يتب منها خلد في النار ولا يخرج منها أبد الآبدين"[1] وما خلا مجتمع من دين إلاَّ سادت فيه الرذيلة وامتنع فيه الاستقرار والهناء.

[1] – إبراهيم بن عمر بيوض، فتاوى الإمام الشيخ بيوض، ترتيب وتخريج: بكير محمد الشيخ بالحاج، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، ج 01، ص44.

ب. التربية بالقدوة الحسنة:

إنّ التربية بالقدوة من أكثر الطّرق تأثيرا في نفوس الآخرين وكذا الناشئة في شتى مراحل حياتهم، فقبل أن تطالب الأم ولدها بترتيب غرفته ينبغي أن تسبقه في ذلك، وحينما تطالبه بالصدق فينبغي أن تكون صادقة أيضا، وحين ينهاه الأب مثلا ألاّ يتفوه بكلمات بذيئة فيجب عليه ألا يسبقه في ذلك ولو عند الغضب، وإلا سنهدم بأفعالنا ما نبنيه بأقوالنا، قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصّف:02،03] وصدق من قال :"**متى يستقيم الظل والعود أعوج؟!**".

هذا وكما للمعلم هو الآخر يجب أن يكون مثالا حسنا أمام طلبته ومجتمعه ولا يكون كذلك إلا بأخلاقه وسلوكه وتميزه، فهو لا يجيد القول بلا عمل، إنما هو في مقدمة الركب دائما، إنه إن دعا إلى التفوّق وجدناه متفوقا، وإن أشار لبرّ الوالدين لمحناه يخفض جناح الذل من الرحمة لوالديه، وإن أوصى بالعلم بحثنا عنه فأبصرناه سالكا طريقه.

هذا هو المثال الحسن والنموذج الراقي في القيادة التربوية، وإن من أهم سماتها أن يكون المعلم أو المربي رمزا في كل ما يعتقده ويدعو إليه من معالي الأمور[1]، عملا بمبدإ "**إذا أردت أن تكون إمامي**

[1] – حمو بن إبراهيم فخار، المرشد في تربية الأولاد، دار العالمين لنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019م، ص73.

فكن أمامي".

وبالرجوع إلى الشيخ محمد علي دبوز نجد أنه كان سباقا لما يأمر به طلبته من قيم وأخلاق، وهو ما سنبينه فيما يأتي:

1- نضاله من أجل العلم:

كان للأستاذ قلم سيال ومقدرة كبيرة على تحرير الفصول الأدبية وكتابة المقالات المطولة، هذا في بداية حياته لما كان طالبا في معهد الحياة وقد تجلى هذا بوضوح على صفحات جريدة الشباب التابعة لمعهد الحياة، والتي كان الطلبة ينشرون فيها مقالاتهم، كما كانت للشيخ أيضا مشاركات عديدة في جريدة البصائر التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين[1].

ولما أقبل على التأليف مضى مدّة طويلة؛ متنقّلاً بين المكتبات العامّة والخاصّة، في كلّ من الجزائر وتونس ومصر وغيرها؛ باحثًا ومنقّبًا في المخطوطات والمطبوعات، ومقارنًا بنفسيّة المؤرّخ الباحث المدقّق، وفي ذات الغرض يروي لنا الشيخ بعضا من رحلاته البحثية حيث يقول: " فزرت في عطلة الرّبيع سنة (1373هـ/ 1954م) خزائن كثيرة من المخطوطات، لا زالت محفوظة في جنوب الجزائر، لم تمتدَّ إليها أيدي الاستعمار، التي جردّت المغرب من كتبه القديمة، ومن مؤلّفات

[1] - محمد ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ط 01، القرارة- الجزائر، نشر جمعية التراث، 2011م. ص20.

أجدادنا في التّاريخ، فوجدت فيها كتبًا من الكتب المخطوطة، ومن الوثائق التّاريخية شيئًا كثيرًا ممّا أريد، ثمّ عزمت على زيارة مكاتب تونس الخضراء ودار الكتب المصرية في القاهرة، وكان الاستعمار الفرنسي قد ضرب الأسوار الحديدية بين الجزائر والقاهرة والأقطار العربية... وبعد مساعٍ ووقتٍ طويل، وقلق كبير حصّلت على تأشيرة الدّخول إلى مصر، على أنّي مارٌّ إلى الحجاز...فسافرت في أوّل العطلة إلى تونس، فمكثت شهرًا في مكتبتها الوطنيّة، وفي المكتبة العبدليّة واطّلعت فيهما على كثير من مصادر تاريخنا، ثمّ وصلت إلى دار الكتب المصريّة في القاهرة فوجدت كلّ ترحيب وإجلال ومساعدة، فكنت أطلب أحيانًا عشرين مجلّدًا، فيسرعون بها إليّ فوجدت الكثير ممّا أريد، فاطّلعت على المهمّ منه، سيّما المخطوطات والكتب المطبوعة النّادرة الوجود"[1].

وهذا حتى تمكّن من إخراج كتابه القيّم:" تاريخ المغرب الكبير" الذي ذاع صيته في النطاق المحلي والعالمي، وقد لقي هذا الإصدار إقبالا واسعا إذ كتبت عنه الصّحف والمجلاّت في مختلف أقطار الوطن العربي والإسلامي، وتحدّثت عنه الإذاعات، ونوّهت به وبأهمّيته، وعدّته موسوعة، ويكفيه شرفًا أنّه أوّل كتاب عربي جزائري يطبع بعد استقلالها.

ودائما في مجال التأليف أصدر كتاب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها

[1] - محمد علي دبّوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص: 28، 29.

المباركة، أرّخ فيه النهضة الجزائرية فتحدث عن عواملها ومظاهرها من جمعيات إصلاحية ومدارس ومعاهد تعليمية وزوايا دينية وجمعيات خيرية وثقافية ونواد أدبية ومؤسسات اجتماعية وغير ذلك.

وألف أيضا كتاب الموسوم بأعلام الإصلاح في الجزائر الذين كانت لهم مساهمات مهمة أو أدوار أساسية في تلك النهضة والإصلاح فتتبع حياتهم بشيء من التفصيل الدقيق وأعمالهم بالتحليل العميق في مختلف المجالات والأصعدة مسجلا وبطريقة مطولة ومستفيضة الأطوار التي مرت بها حياتهم معلقا على الظروف التي تقلبوا فيها شارحا موافقهم المشرقة وغير ذلك [1].

2- اشتغاله بالتدريس:

عملية التّعلم مسألة في غاية الأهمية، فهي الأخت التوأم لعملية التربية، ومن هنا غدا الحق في التعلم حقّا مقدسا لا أحد ينكر فضله وانعكاساته الإيجابية على شخصية النشء ومستقبله في الحياة.

وإيمانا بأهمية التعليم وافق الشيخ محمد علي دبوز على طلب الشيخ بيوض ليشتغل مدرسا وذلك سنة 1948 فدرّس الأدب العربي وتاريخه، البلاغة، الصّرف، النّحو، التّاريخ الإسلامي وما قبله، وبالأخصّ تاريخ الدّولة العثمانيّة وتاريخ المغرب الكبير قبل الفتح

[1] - محمد بن قاسم ناصر بوحجام، كلمة ألقاها في التأبين الذي أقامه معهد الحياة في مسجد الشيخ با بهون بالقرارة يوم 23-03-1982م.

وبعده، كما درّس الفلسفة والمنطق ومناهج التّعليم، وهو من أدرج مادّة علم النّفس ضمن مقررات المعهد ودرّسها[1]. وقد ساهم كثيرًا في تطوُّر المعهد، حيث سعى سعيا حثيثا للتعريف به داخل الوطن وخارجه، وكابد من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد، فتمَّ له ذلك بعد عدَّة محاولات مضنية في شهر جانفي 1963م.

كما عكف على تربية النشء وتكوين الأجيال ما يقارب ثلث قرن، وهذا الجهد الذي بذله الشيخ أثمرعنه تخرّج أفواجا من الطلبة والباحثين، الذين تقلدوا مناصب ومواقع هامة في الإدارة وفي التعليم وفي المجالات الفكرية والسياسية، خارج الوطن وداخله.

3- اهتمامه بطلبته:

المعلّم القدير هو الذّي لا يسعى إلى نجاح طلبته في التّحصيل الدّراسي فقط، بل يتجاوز ذلك و يحاول التّأثير في نفوسهم ويساهم في نجاح حياتهم العلميّة والاجتماعيّة[2]، لذا لم يكتف الشّيخ محمّد عليّ دبّوز بعلاقته مع الطّلبة داخل القسم فقط؛ بل كان يطمح فيهم ويعدّهم للنّجاح في مستقبلهم، فقد كان يكلّف بعض طلبته النّجباء ببعض الأعمال، كما يعقد لهم جلسات في منزله لإقناعهم بضرورة

[1] - بيّوض إبراهيم دبّوز، الشّيخ محمّد عليّ دبّوز، مكتبة الصّفاء (1413هـ/1998م)، ص:28.

[2] - سليمان بن محمّد موسلمال، أسرار التّعليم والتّعلّم، دار المعرفة، الجزائر (2013) ص:151.

مواصلة دراستهم، ويشجّعهم على ذلك ويحذّرهم من الاكتفاء ممّا أخذوه في المعهد، ويرشدهم للّحاق بالجامعات، بل يخطّط مع بعضهم في كيفيّة السّفر، كما يحدّثهم - أيضا - عن تاريخ المشايخ والحركة الإصلاحيّة، وقد سعى لحلّ كثير من مشاكل الطّلبة مع أوليائهم وشيوخ عشائرهم في القضايا الاجتماعيّة والماليّة[1]، وكان يهتم بطلبته حتى بعد تخرجهم ويسأل عنهم ويراسلهم –أيضا-في أسفارهم يقول الدّكتور محمّد ناصر شاهدا على ذلك: وما يدلّ على تواضعه قوله لي دائما في مراسلاته: "ولدي العزيز"[2].

4- منهجية التدريس عند الشيخ:

كان يسعى كل جهده لتحبيب المادة العلمية لدى الطلبة وتقريبها إلى نفوسهم؛ حتى تحتضنها جوانحهم؛ ويتبع في سبيل تحقيق هذه الغاية عدة وسائل أهمها.

- إبراز الفوائد العظيمة التي يجنيها الطالب من المادة العلمية ويبين له أسباب تعلّمها؟ وما الهدف منها؟ وماذا يجني منها ؟ في حياته العلمية والعملية، ولقد أولى رعايته الكبيرة لهاته النقطة.

---

[1] - ينظر: اليوم الدّراسي لفكر و تراث الشّيخ محمّد علي دّبوز يوم: 27 السّبت شعبان 1434هـ/06 جويلية 2013م، من كلام محمّد ناصر.

[2] - ينظر، ندوة تاريخيّة مع محمّد ناصر حول تاريخ الشّيخ محمّد عليّ دبّوز، صباح يوم: الأربعاء 8 جمادى الآخرة 1424هـ/ 06 أوت 2003 في داره بالقرارة، شريط:1.

- تقديم المعلومات التاريخية في أسلوب أدبي يستحوذ على اهتمام النفس ويتحاشى الأسلوب العلمي الجاف.
- هناك فضيلة نراه دائما مهتما بها إنها النظافة نظافة الملبس مع الاعتناء بالرائحة الطيبة للجسم.

5- خلق الانضباط:

كان الشيخ محمد علي دبوز شديد الحرص على الوقت والمحافظة على المواعيد، وقرناؤه يعرفون ضبطه للمواعيد، ولا يجرؤ أحد أن يتأخَّر عن موعد حدَّده له حتّى أصبح مضرب الأمثال في هذا المضمار وهذا ما أكده الدكتور محمد ناصر مرة أخرى:

«كنا طلابا بالقاهرة؛ وكنا نزوره في غرفته من حين إلى آخر، (ببنسيون) مكان قديم في حي (التوفيقية) في قلب القاهرة، ونجده غارقا بين أكوام الكتب؛ باحثا و منقبا؛ أوبين ركام الأوراق والمسودات مصححا ومصوبا؛ وكان - رحمه الله - صارما في تنظيم وقته، لذا كان يبادرنا فور التحية مباشرة قائلا: لديكم معي يا جماعة عشر دقائق، أو ربع ساعة أو أقل أو أكثر، لم نكن نتأذى من سلوكه ذلك أبدا، بل كان مثار إعجابنا وتقديرنا لجديته في العمل، وتقديره الدقيق لقيمة الوقت، ومحاسبته الشديدة نفسه على كل ثانية من عمره»[1].

[1] - محمد ناصر، الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ مكتبة الصّفاء، بريان، غرداية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت، ص21.

كما كان يحث على مثل هذا الخلق غيره ويراه من مقومات نجاح الطلبة في حياتهم العلمية والعملية، وبقدر ما كان يدعو إليها؛ كان يقبّح التراخي بكل وسائله البيانية الخاصة، سيما بتشابيهه اللاذعة.

ويعلم أن هذا الخلق هو الأساس والعروة الوثقى لعدة أخلاق علمية يحتاجها الطالب، وكان يطلب من طلبته أن يكونوا حازمين حتى في مشيتهم وسيرهم في الطريق.

ج. الشيخ محمد علي دبوز شخصية مرحة:

إذا قلنا أن الشيخ كان يتصف بالصرامة والانضباط هذا لا يعني أنه قاس ومنغلق على نفسه حيث كان يحاور مع الطلبة ويستهدف بناءهم، وهو يدرك أن الحوار لا يعني استجواب الطلبة بقدر ما هو اهتمام وتفقد لأحوالهم، وأبعد من هذا كان أحيانا يبسط معهم، كما كان يراعي أشد الرعاية جو الصفاء والوئام، بين الطلبة في فصله، ولم يكن يشعرهم أنه المسؤول عنهم؛ أكثر مما يبين لهم كونه صديقا؛ شفوقا؛ رحيما بهم يحوطهم بعين رعايته، ويهتم بأمورهم ويصفي لهم الود الخالص.

وكانت شخصيته المرحة تضفي على فصله روح الدعابة والفذلكة بين الفينة والأخرى تكون محطات استجمام لنفوس الطلبة من كد الانكباب؛ ووصب الجد مما حدا بهم الشوق إلى ساعاته الدراسية التي كانت أحلى أوقاتهم وأمتعها في نفوسهم، وهذا الذي جعلهم

يتأثرون به أيما تأثر، ولم يكن يراعي الناحية التعليمية في طلبته أكثر من اهتمامه بالناحية التربوية، يراها الأساس الأوكد لنجاح الأولى.

المحور الثاني: اعتبار الكتابة التارخية وسيلة لصناعة الجيل

القصة أسلوب تربوي مؤثر، فقد جبلت النفوس على التّلذذ بها، والارتياح إليها، والتفاعل مع أحداثها، والاعتبار بوقائعها، والتأثر بدلالاتها في السلوك عامة، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف111 :].

وهو ما أكده علماء النفس والتربية أن الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تعليمه للناشئة، سواء أكان قيما دينية أم أخلاقية أم توجيهات سلوكية أو اجتماعية[1] .

كما أن الأمثال هي الأخرى لها تأثير إيجابي في العملية التربوية، ودليلنا في هذا ما جاء من الآيات الدالة على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:43].

أ. مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز:

التاريخ في مفهوم الشيخ محمد علي دبوز وسيلة تربوية مهمة وضرورية فهو يرى أن تاريخ الإسلام وتاريخ المغرب جزءا منه هو الغذاء

[1] – ربيع الواهج، منطلقات أساسية لتربية فعالة وممتعة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية– الجزائر، ط 1، 1439-2017، ص 22.

الصحيح اللازم لتربية النشء؛ إذ التاريخ ليس سردا للوقائع وتسجيل التواريخ إنما هو أعمق من هذا أنه: للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة فإذا خلا من هذه فهو قشور لا نفع فيه وكلام غث لا فائدة منه.

ما دام للتاريخ هذه المكانة وهذا الدور إذن هو الذي يسعى إلى توجيهنا فيكون "وجدانا لنا يذكي فينا الحماس لمثلهم العليا فنعمل لتحقيقها والرغبة في طريقتهم المثلى وفي نهجهم القويم فنتمسك به ونندفع فيه فنصل الدرجة الراقية التي كان عليها الأجداد ونكون مثلهم في العزة والإباء"[1].

ب. شعوره بعظم المسؤولية:

من سمات العبد شعوره بالمسؤولية تجاه نفسه وأهله ودينه وأمّته؛ لأنّه يدرك واجباته وإمكانيّاته نحوها[2]، وإنّ الدّارس والمتأمّل في كتب الشّيخ محمّد عليّ دبّوز، يحسّ بروح المسؤوليّة التي كان يشعر بها تجاه تاريخ الأمّة الإسلاميّة عامّة، وبالأخصّ تاريخ علماء الجزائر، أضف إلى ذلك آلامه من المغالطات والأكاذيب التي كانت تعجّ في الكتب التّاريخيّة القديمة[3]، ممّا دفعه هذا الشّعور للاجتهاد في عمله

---

[1] – محمد ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ص 32.

[2] - عبد الكريم بكّار، **بناء الأجيال**، ط01، مجلّة البيان الرياض، (1423هـ/ 2002م)، ص:41.

[3] – ينظر: محمّد عليّ دبّوز، **تاريخ المغرب الكبير**، ج01، ط01، طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاؤه (1384هـ/1964م) ص:11.

والمكابدة فيه مهما بدا صعبا مضنيا، لأنّه كان يعتقد أنّه من الواجب الكتابة في التاريخ وتصحيحه، وهو من متطلبات الاستقلال اللّازمة[1]على حسب تعبيره، وكثيرا ما عدّ هذا الواجب **أمانة** في عنقه تارة[2]، وأمانة في أعناق أمثاله من أبناء الجزائر تارة أخرى، فراح يحفّز نفسه بهذا العمل وعدّه أفضل عبادة يتقرّب بها إلى الله – سبحانه-

وفي إحدى مراسلاته لوالده جاء فيها: إنّني أدخل محلّي في مساء الجمعة ولا أخرج منه إلى صباح الخميس وأنا أكتب وأحقّق ليلا ونهارا، إنّه عمل جماعة أقوم به وحدي."[3]

ج. الأسباب التي دفعت الشيخ إلى الاهتمام بالتاريخ:

يقول الشاعر رمضان حمود في كتابه بذور الحياة: "إذا ما جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها، وإذا ماجهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها وألقت بها في يد غيرها، وقال أيضا منبها إلى خطر التاريخ وحساسيته: "التاريخ محيي الأمم وقد يكون قاتلها إذا شربته من كأس

---

[1] - **المصدر نفسه**، ص:11.

[2] - تكرّرت هذه العبارة كثيرا في بعض مقدمات كتبه، وبعض رسائله.

[3] - رسالة من محمّد عليّ دبّوز بعثها من القاهرة إلى والده بتاريخ: 25 ربيع الأوّل 1383هـ/ 15 أوت 1963م. نشرها مصطفى باجو في محاضرة ألقاها في اليوم الدّراسي لفكر وتراث الشّيخ محمّد علي دبّوز يوم السّبت:27 شعبان 1434هـ/06 جويلية 2013م، تحت عنوان: الشّيخ محمّد عليّ دبّوز من خلال مراسلاته، ص: 05.

غيرها".

تأكيدا لما سبق يقول الشيخ محمد علي دبوز عزمت أن أكتب شيئا في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي وتحليل فلسفي، وببحث علمي نزيه يليق لمطالعة مثقفينا ويكون مرجعا لجامعاتنا ومدارسنا ويصفِي أبواب تاريخ المغرب التي كدَّرتها ودنَّستها أكاذيب السياسة القديمة ودعايات المستعمرين وسمومهم فصارت خطرا على المغرب ومنبعا للسموم التي تكدِّر صفاءه وتفرِّق جماعته وتمكِّن الحسَّاد والدسَّاسين من بثِّ الفرقة والشقاق في مغربنا الحبيب، عملا بمبدإ: إذا أردت أن تحتل أمة فاحتل فكرها واهزم إيمانَها وعزيمتها وقضيَّتها، فإن فعلت أتتك أراضيها وخيراتها تسعى إليك طواعية.[1]

ودائما في ذات الغرض استخلص الدّكتور محمّد ناصر بوحجّام من مؤلّفات الشّيخ محمّد عليّ، مقوّمات بناء الشّخصيّة المسلمة، التي وجب التّمسّك والتّشبّع بها أوّلًا، ثمّ إشرابها للنّاشئة وهي:

1. مقوّمات تخصّ الدّين، وهي: الدّين، اللّغة العربيّة، التّاريخ.
2. مقوّمات تخصّ بناء الشّخصيّة والذّات، وهي: الثّقة في النّفس، طرد الوهم والذّلّ والصّغار، الإقدام.
3. مقوّمات تخصّ الأخلاق، وهي: الصّدق، الأمانة، الإخلاص.

(1) فخار حمو، المرشد في تربية الأولاد، المرجع السابق، ص 77.

وبناء على ما تقدم يرى الشيخ محمد علي دبوز أن الاعتناء بالتاريخ في البيوت والمدارس والمجتمع؛ لأننا به نستطيع اختيار العصور الزاهرة والشخصيات العظيمة كالرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والسلف الصالح ورؤساء دولنا وكبار علمائنا ونختار من التاريخ ماهو حسن فنجعله بيئة للتلميذ.

وعليه يرى الشيخ محمد علي دبوز أن التاريخ الصّحيح الخالي من التزييف والتحريف والتضليل كفيل بإزالة العقد النفسية، التي تكونت في نفوس الأبناء نحو تاريخهم وإمكانياتهم النفسية والعقلية.

د. أهمية التاريخ في تعزيز الانتماء:

إن الهدف من نقل الوقائع التاريخية للأجيال هو أخذ العبرة وتعزيز الثقة بالنفس وكذا تعزيز الانتماء وهو ما نلمسه في كتاب الشيخ محمد علي دبوز فمرة يروي بعض المواقف التي انهزم فيها السلف مبرزا الأسباب والعوامل المؤدية لذلك فهنا الشيخ يهدف من خلال هذا العرض استخلاص الدروس والعبر حتى لا يكرر الخلف ما وقع فيه السلف، فمثلا إذا رجعنا إلى غزوة أحد نجد الصحابة –رضوان الله عليهم- بعدما انتصروا على عدوهم سرعان ما تحولت الفرحة إلى حزن، والنصر إلى هزيمة، والسبب في هذا ترك بعض الرماة مركزهم ظنا منهم أن المعركة انتهت في حين أن الرسول ﷺ أمرهم بالبقاء فيه إلى أن يأذن لهم وبذلك خالفوا أمر الرسول ﷺ (القائد) طمعا

للغنيمة فكان ذلك سببا للهزيمة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:152].

وعليه فالشيخ كما يروي لنا موطن الإخفاق فهو كذلك يهتم بمواقف الأبطال وإنجازاتهم من أجل تعزيز الثقة لدى الناشئة حتى يخلصهم من عقدة الدونية والانهزامية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يوقظ فيهم الضمير ويدفع بهم إلى الاشتغال بمعالي الأمور؛ فمثلا الثورة الجزائرية لما اندلعت كان من ورائها العديد من الرجال والنساء سبلوا أنفسهم وضحوا بالنفس والنفيس وتشجعوا وقالوا بصوت واحد وفي وقت واحد كلمة واحدة وواحدة فقط: "لا للعدو الفرنسي" فالنتيجة كانت أن خرج العدو وترك الجزائر، وهنا الشيخ مرة أخرى ويناشد الخلف بضرورة العمل والبناء وتشييد الوطن بدل العيش في الأحلام والتلذذ بتاريخ الأمجاد.

فيريد الشيخ من الناشئة أن تسعى جاهدة من أجل عمارة الوطن وخدمة الدين تاركة الخمول والكسل وقد كان أيضا يدعو إلى تآخي الجزائريين ونبذ ما يشين بعلاقتهم ووحدتهم، وقد أشار إلى ذلك في العديد من كتبه[1]، كما يرى وجوب توطيد الروابط الإسلامية بين الإباضية

[1] - من ذلك: نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثالث من ص54 إلى 64 وفي ص167 وغيرها.

والمالكية في وادي مزاب خاصة والجزائر عامة، لأنه فرض ديني، وعليهم أن يكونوا كلهم متصافين فيما بينهم متآزرين ولا يتركوا للعصبية العرقية أو المذهبية الشيطانية تنخر رابطتهم وتفك عراهم وتفرق بينهم، وهو ما دعا إليه بعض الأعلام مثل الشيخ إبراهيم بيوض والشيخ أبي اليقظان، والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد ابن باديس والشاعر مفدي زكرياء والقائمة طويلة فالهدف من كل هذا هو إيجاد جيل قوي البنية يقاوم ويثبت عند الشدائد.

خاتمة:

بناء على ماتقدم في هذه الدراسة اتضح لنا منهج الشيخ محمد علي الدبوز في تربية وصناعة الجيل؛ حيث سجلنا ثمة بعض الخصوصيات التي انفرد بها الشيخ عن غيره في المجال التربوي والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

- نضاله في مجال التحصيل العلمي.
- اعتماده كتابة التاريخ كوسيلة لتربية النشء.
- حرص الشيخ على إعداد الشخصية القوية والمتماسكة التي تقوى على المجابهة والمقاومة، لهذا يرى الشيخ أن كل جهد يُبذل في تكوين الإنسان المسلم الحق وتربيته تربية إيمانية فاضلة له الأولوية على ما سواه.
- حبّ الشّيخ لتخصّصه من جهة وشخصيّته التّربويّة التي امتاز بها من جهة أخرى ساهما في تطوير منهج الكتابة في التّاريخ.

واعتماده بعض القواعد المهمّة التي يجب اتّباعها أثناء التدريس لتثمر في التّربية.

وهكذا ظل الشيخ مناضلا ومربيا إلى أن وافته المنيَّة مساء يوم الجمعة 16 محرم 1402هـ، الموافق يوم 13 نوفمبر 1981م. مخلفا وراءه تراثا عظيما يحتاج منا إلى الاعتناء به واستثماره.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- إبراهيم بن عمر بيوض، فتاوى الإمام الشيخ بيوض، ترتيب وتخريج: بكير محمد الشيخ بالحاج، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، ج 01.
- بيّوض إبراهيم دبّوز، الشّيخ محمّد عليّ دبّوز، مكتبة الصّفاء (1413هـ/1998م).
- حمو بن إبراهيم فخار، المرشد في تربية الأولاد، دار العالمين لنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019م.
- ربيع الواهج، منطلقات أساسية لتربية فعالة وممتعة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية-الجزائر، ط 1، 1439-2017م.
- سليمان بن محمّد موسلمال، أسرار التّعليم والتّعلّم، دار المعرفة، الجزائر، 2013م.
- محمّد عليّ دبّوز، تاريخ المغرب الكبير، ج01، ط01، طبع بمطبعة

عيسى البابى الحلبى وشركاؤه (1384هـ/1964م).
- محمد ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ط 01، القرارة-الجزائر، نشر جمعية التراث، 2011م.
- محمد ناصر، الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ مكتبة الصّفاء، بريان، غرداية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، دت.

الملتقيات:

- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، كلمة ألقاها في التأبين الذي أقامه معهد الحياة في مسجد الشيخ بابهون بالقرارة يوم 23-03-1982م.
- محمد ناصر، اليوم الدّراسي لفكر وتراث الشّيخ محمّد علي دّبوز يوم السّبت: 27 شعبان 1434هـ/06 جويلية 2013م.
- ندوة تاريخيّة مع محمّد ناصر حول تاريخ الشّيخ محمّد عليّ دبّوز، صباح يوم: الأربعاء 8 جمادى الثّانية 1424هـ/ 06 أوت 2003 في داره بالقرارة، شريط:1.

الدوريات:

- عبد الكريم بكّار، بناء الأجيال، ط01، مجلّة البيان الرياض، (1423هـ/ 2002م).

الرسائل:

- رسالة من محمّد عليّ دبّوز بعثها من القاهرة إلى والده بتاريخ: 25

ربيع الأوّل 1383هـ/ 15 أوت 1963م. نشرها مصطفى باجو في محاضرة ألقاها في اليوم الدّراسي لفكر وتراث الشّيخ محمّد علي دبّوز يوم السّبت:27 شعبان 1434هـ/06 جويلية 2013م، تحت عنوان: الشّيخ محمّد عليّ دبّوز من خلال مراسلاته.

الرسالة التربوية التعليمية للشيخ محمد علي دبوز

أ. بكـاي فتيحة
جـامعة عمار ثليجي - الأغواط

توطئة:

استقلت الجزائر وهي تجر أذيال الخيبة و الدمارالنفسي والفكري والمادي، وقد ورثت ضمن ما ورثت نظاما تربويا استعماريا سعى بكل ما أوتي من هيمنة سياسية و اقتصادية إلى طمس هوية شعبها العربي المسلم ومحو شخصيته والقضاء على مقوماته متمثلة في الدين والوطن واللغة، فشكلت السياسة التربوية التعليمية العامة غداة الاستقلال إحدى الأولويات التنموية الشاملة التي اتبعتها الدولة الجزائرية مباشرة بعد حصولها على سيادتها، فسعت إلى وضـع برامج حافلة من أجل تعميم التعليم و توفير الشروط المادية و البيداغوجية للتكفل التام به، إيمانا منها بأن حاضر الأمم و مستقبلها مرهون بمدى تمكنها من العلم و المعرفة، فالاستثمار البشري هو دعامة الأمة و ركيزتها.

هنا مضت بوادر الانفراج و معالمه تتضح شيئا فشيئا مـع رجالات جمعية العلماء المسلمين و مفكريها الذين شحذوا الهمم و انبروا لإفشال مخططات الدوائر الاستدمارية التي روجت في كثير من

الأحيان إلى فكرة أن الجزائر قد بلغت أسفل درجات الجهالة و الهمجية، إذ لم يكن بالبلد أي تعليم منظم ولا حياة فكرية و لا كاتب و لا أديب و لا شاعر.

الحركة الإصلاحية في الجزائر:

أغلقت فرنسا المدارس و طردت المعلمين و حاصرت الجوامع و الكتاتيب إلا أن الشعب الجزائري تصدى و قاوم تارة بالسلاح و تارة بالقلم و الإصلاح، هذا الاتجاه الإصلاحي الذي عارض السياسة الفرنسية و الإدماج، فأنشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1991م التي ناضلت و قاومت من أجل إحياء التراث الإسلامي العربي و استرجاع مقومات الهوية الوطنية بما في ذلك اللغة العربية والدين الإسلامي.

و لعل أبرز عوامل قيام الحركة الإصلاحية في الجزائر تصنف كالآتي:

1. عوامل داخلية تتمثل في:

- محاولة الاستعمار الفرنسي القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر.
- نشاط حركات التنصير المسيحي المحمية من طرف الاستعمار في

العمل على تنصير أبناء و بنات الجزائر.[1]

و يبدو هذا جليا من خلال محاربتها الدائمة للإسلام و تشجيعها للمنصرين و لمظاهر الانحراف الديني.[2]

- سياسة الفرنسة و التجنيس التي أرادت دولة الاحتلال فرضها على الجزائريين و انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن مبادئ الإسلام القويمة ، حيث أكثروا من البدع في الدين بل و تعاون معظمهم مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم العليا.[3]

2. عوامل خارجية، تشمل:

- تأثر الفكر الجزائري بنهضة المشرق العربي مما أفاد الكفاح الجزائري في تثبيت شخصيته.[4]

أضف إلى ذلك الصحف و المجلات العربية التي كانت تسرب إلى الجزائر حاملة معها النهج الإصلاحي الذي نادى به جمال الدين

---

[1]- رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2001م، ط3،ص198.

[2]- محمد طهاري، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص07.

[3]- رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، ص198.

[4]- نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص44.

الأفغاني (صاحب مجلة العروة الوثقى) ومحمد عبده، رغم المحاولات الاستعمارية فرض العزلة المطبقة على الشعب الجزائري. و بعد الحرب العالمية الأولى تبنى الشيخ عبد الحميد بن باديس الحركة الإصلاحية في الجزائر، و مفهوم الإصلاح عنده ينبغي ألا يكون محصورا في مسائل العقيدة وحدها، بل لا بد أن يكون شاملا يتناول شرائح المجتمع دون التركيز و الاهتمام بناحية على حساب أخرى[1].

فكان بعد رجوعه من جامعة الزيتونة يقضي يومه بمسجد سيدي قموش يعلم الشبان مبادئ العلوم و الإسلام الصحيح، يوجههم التوجيه الحسن، و في الليل يلقي دروسه على الشيوخ بالجامع الأخضر[2].

و زاد نضوج هذه اليقظة مع عودة بعض العلماء من المشرق العربي أمثال الطيب العقبي، محمد البشير الإبراهيمي و غيرهم " من الذين سبق لهم أن انتقلوا إلى المشرق الإسلامي إما هربا من التجنيد الإجباري أو طلبا للعلم"[3]

كما ارتبطت الحركة الإصلاحية آنذاك بتطور الوعي الوطني و

---

[1]- محمد طهاري، مرجع سابق، ص53.

[2]- مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية، دار قرطبة، تلمسان، 2011م، ج3، ص110-111.

[3]- رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م، ص90.

انتشار النوادي والجمعيات والأحزاب السياسية والدروس و المحاضرات العامة و الكتابات الكثيرة في مختلف المجالات التي ضمنها عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب فكان بحق " من أهم المصلحين الذين بذروا بذرة الإصلاح و السلفية في الجزائر، و إليه يعود الفضل في نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر."[1]

أهداف الحركة الإصلاحية و مبادؤها:

ارتبطت هذه الأهداف و المبادئ بالحركة الإصلاحية عامة دون تحديد مكان معين، فهي منبثقة من مبادئ جمعية العلماء المسلمين عبر التراب الوطني كله، إذ رفعت الجمعية في بداياتها شعار الآية الكريمة: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ سورة الرعد، الآية 11.

و منه فإن أهداف الإصلاح من خلالها تمثلت في:

- محاربة الآفات الاجتماعية (خمر، دخان ، زنا، سرقة...).
- توحيد الشباب الجزائري تحت راية الإسلام و العروبة.
- محاربة الطرقية التي خدمت الاستعمار و مقاومة و تحطيم البدع و الخرافات التي استغلها الاستعمار لتخدير الشعب الجزائري.

---

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م) دار البصائر للنشر و التوزيع، 2009م، ج1، ص191.

- الوقوف ضد محاولة مسح الشخصية الجزائرية و محو معالمها التاريخية.
- توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية و تهيئة النضال في المستقبل.
- إحياء ما اندثر من معالم الإسلام و ما مات من مظاهر اللغة العربية.
- إقامة جسور التعاون بين الجزائر و بقية الدول العربية الإسلامية[1]

أما المبادئ التي لا مراء فيها فتلخصت في الشعار الذي ينسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس و هو: " الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"2.

هذه المبادئ الإصلاحية كانت السبب في تهيئة الأنفس للانصهار في الحركة السياسية عن طريق التربية والتعليم والتكوين وبناء المساجد والنوادي والمدارس وإحياء المقومات الذاتية للشخصية الجزائرية، ولا شك أن إصلاح العقيدة هو أساس كل إصلاح.[3]

---

[1]- الوناس الحواس، نادي الترقي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954 دار شطايبي للنشر و التوزيع، بوزريعة الجزائر، 2012م، ص146.147.

[2]- رابح تركي، مرجع سابق، ص92.

[3]- ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، جمع و تحقيق نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ج1، ص132.

- **محمد علي دبوز المعلم المصلح المربي:**

أحد أعلام الإصلاح في الجزائر، عمل على بعث و إحياء الشريعة الإسلامية والمحافظة على الدين واللغة العربية، كما بذل جهدا مضنيا في محاربة الجهل و الخرافات و الأكاذيب الملفقة حول تاريخ الجزائر و المغرب العربي ككل في مؤلفاته القيمة.

- **مولده و نشأته:**

أطل نجمه في بريان سنة 1919 م، من والد أحب العلم و العلماء إلى درجة جعلته ينذر ولده للعلم و هو جنين في بطن أمه، نشأ و ترعرع تحت رعاية أبوين اعتنيا به و ربياه تربية إسلامية صحيحة، فغرسا فيه حب العلم و العلماء و الأخلاق الحميدة و الروح الدينية و الوطنية، و لما بلغ السادسة من عمره أدخله والده الكُتاب، فتعلم فيه القراءة و الكتابة و حفظ جزءا وافرا من القرآن الكريم على يد الشيخ " الحاج موسى بن صالح موسى المال" إمام البلدة رحمه الله، و في سنة 1927م لما فتحت أول مدرسة ببريان كان ضمن تلاميذها الأوائل، و في سنة 1934م نقله والده إلى " القرارة "، فتتلمذ على يد العالم الجليل الشيخ " إبراهيم بن عمر بيوض، و الأستاذ الشيخ عدون (شريفي سعيد) رحمهما الله، و فيها حفظ كتاب الله العزيز و استظهر في شهر أوت من سنة 1935 م، ثم عكف على دراسة العلوم العربية و الشرعية و الأدبية، و قد كان شديد الرغبة في التلقي حريصا على

التحصيل محافظا على أوقاته، ذا قلم مؤثر، و مازالت "مجلة الشباب" التي كان يصدرها معهد الحياة آنذاك تشهد على تميزه و تحفظ لنا الكثير من مقالاته المطولة وفصوله الأدبية الرفيعة و مناظراته و معاركه الأدبية خاصة مع الأستاذ المرحوم علي يحي معمر.[1]

- رحلاته في طلب العلم:

و من أهم البعثات خلال هذه الفترة رحلة أبي اليقظان نحو تونس سنة 1912م و لعله عاصر بعض الوقت هناك عبد الحميد بن باديس الذي سبقه إلى الزيتونة ببضع سنين.[2]

وفي سنة 1919م سافرت بعثة أخرى برئاسة الحاج صالح بن باعلي، و أخرى برعاية محمد الثميني، فأصبح في تونس ثلاث بعثات مزابية في وقت واحد، و تواصلت هذه الأخيرة بين الحربين حيث كانت النتائج العلمية و مشاركة الميزابيين في الحياة السياسية بتونس والمساهمة في الحياة الأدبية، كل ذلك جعل سير البعثات العلمية يزداد تدفقا.[3]

أما شيخنا علي محمد دبوز ففي شهر شعبان من سنة 1944م و

---

[1]- ينظر: يوسف بن يحي الواهج، الشيخ محمد علي دبوز، القطب، مزاب عنوان الحضارة. ALKOTOB.WORDPRESS.COM.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ط1، ج5، ص291.

[3]- خير الدين شترة، مرجع سابق، ص923، 924.

بعد تخرجه من معهد الحياة أرسله والده و أستاذه الشيخ بيوض رحمهما الله إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة و معهد ابن خلدون، حيث عكف كعادته بنشاطه و مواظبته على مكتباتها العامة، خاصة مكتبة العطارين، فدرس فيها العديد من الكتب القيمة في كثير من الفنون كالأدب و الشريعة و الفلسفة.[1]

و لم يعد شيخنا الجليل مباشرة إلى الجزائر، إنما انتقل كما يذكر ذات المصدر في شعبان من سنة 1946م إلى مصر برا، متنكرا مستخفيا عن الاستعمار الغاشم، يقطع الصحاري القاحلة و يصعد الجبال الوعرة، حتى بلغ مصر بعد ستة و عشرين يوما سيرا على الأقدام و بعد دخوله مصر توجه إلى كلية الآداب من جامعة القاهرة، حيث رحب به الدكتور عبد الوهاب عزام عميد الجامعة و استقبله أحر استقبال، هناك درس على كبار أساتذتها الأدب و تاريخه، و الفلسفة و التاريخ الإسلامي، و غرف من أمهات الكتب، هذا الشغف و الولع الكبير بالعلم جعلاه أول الداخلين إلى دار الكتب أيام مطالعاته و آخر الخارجين منها، و بقي هناك إلى سنة 1948م حيث رجع إلى الجزائر[2].

رجع يحمل بين جوانحه الكنوز الثمينة من العلوم و المعارف التي ربما لم تكن معروفة آنذاك في بلدته و لا حتى ما جاورها.

---

[1]- يوسف بن يحي الواهج، مرجع سابق.

[2]- يوسف بن يحي الواهج، نفس المرجع.

- دور البعثات العلمية في النهضة الفكرية الجزائرية:

ليس من الغريب أن يزعم بعض الباحثين أن "حركة الإصلاح في الجزائر انبثقت وقامت واعتمدت أساسا على خريجي معهد الزيتونة"[1].

و مما لا شك فيه أن لهذه الرحلات و البعثات العلمية الدور الأوفى في الحفاظ على التراث الجزائري الزاخر بأسماء الأعلام و المؤلفات، هذا التراث الذي أتى غرسه في الأجيال الصاعدة التي حملت لواء التحدي و الاستمرار على عهد الآباء.

' إن دور الرحلات و البعثات العلمية التي قادها ابن باديس لم تكن استمرارا أو تمثيلا لمرحلة سابقة فقط، بل كانت أيضا طورا من البعث و الإحياء و إعادة الجسور المقطوعة، و تمركزت الجهود خلاله على تنظيم هجرات جماعية ذات أهداف محددة لا تتعدى الدراسة ثم العودة إلى الجزائر لمباشرة مهمة تعليمية و إصلاحية، فإلى هذه البعثات يعود الفضل في صهر جميع الخلافات التي أراد المستعمر بذرها بين المناطق إثارة للفتنة"[2]

و يذكر ذات الباحث الدور الفعال لمعهد الحياة، إذ بتأسيسه أينعت ثمار البعثات التي أشرف عليها المعهد آنذاك، حيث استمرت لسنوات عديدة، و كان طلبة الشيخ بيوض "رحمه الله" في مقدمة

---

[1]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، (1900-1962م)، دار الحكمة للطباعة و النشر و التوزيع، 1983، ص33.

[2]- خير الدير شترة، مرجع سابق، ص926.

الصفوف و من أوائل المتفوقين[1] و على رأسهم الشيخ محمد علي دبوز ، إذ ساهموا في المجال العلمي التربوي الإصلاحي و في مسيرة النضال الوطني لبعث الشخصية الوطنية الجزائرية.

- **معهد الحياة، الهرم التربوي الإصلاحي:**

يعود تأسيسه إلى يوم 28 من شوال 1343هـ، الموافق لـ 21 ماي 1925مـ، على يد رائد الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض رحمات ربي تتنزل عليه، إذ كان التدريس في أول الأمر في داره تحت اسم معهد الشباب، حتى صدر الاعتراف الرسمي بجمعية الحياة سنة 1937م فتحولت تسميته إلى معهد الحياة، و كان الاعتراف الرسمي بالمعهد بتاريخ 07-04-1990م تحت رقم 164 و تركزت الدراسة في أول العهد على علوم الشريعة الإسلامية و اللغة العربية، و بعد الاستقلال أضيفت إليها المناهج العلمية المعتمدة لدى وزارة التربية الوطنية تأهيلا لطلبة المعهد ليشاركوا في شهادتي التعليم المتوسط و البكالوريا، وقد حققوا في كلا الشهادتين نتائج معتبرة[2].

- **محمد علي دبوز و معهد الحياة:**

بعد رجوعه من القاهرة اختاره معهد الحياة مدرسا فيه لمادتي

---

[1]- خير الدين شترة، نفس المرجع، ص924.

[2]- الناصر الحاج عاشور، 89 سنة من العطاء المستمر، معهد الحياة قطب إسلامي تربوي في الجزائر و العالم الإسلامي، مقال، جريدة التحرير.
WWW.altahrironline.com

التاريخ و الأدب ثم أضاف إليهما التربية و علم النفس، و قد كانتا مجهولتين لا يعرفهما المعهد قبل ذلك، و قضى في تربية النشئ وتكوين الأجيال ما يقارب ثلث قرن أي حتى أواخر جوان 1981م، ساعيا في ذلك سعيا حثيثا للتعريف بالمعهد داخل الوطن و خارجه، و كابد من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد، فتم له ذلك بعد عدة محاولات مضنية في شهر جانفي 1963م.

تخرجت على يده أفواج من الطلبة و الباحثين ممن كان لهم شأن كبير في المجالات الفكرية والسياسية خارج الوطن و داخله، أمثال الدكتور محمد ناصر، الأستاذ بابهون بكير ... و غيرهم كُثر.[1]

- **رسالته التربوية:**

عرف الشيخ محمد علي دبوز بطريقة خاصة في التدريس، تحدث عنها الدكتور محمد صالح ناصر في برنامج " على درب الصالحين "، و هي طريقة قلما وجدت في عهدنا هذا، فكان كلام الدكتور نابعا من قلب محب معترف بفضل الشيخ دبوز، و لا يعرف الفضل إلا أهل الفضل. إذ اعتبره أستاذا مربيا بحق، لأن كثير من الأساتذة يعلمون و لا يربون، فالشيخ محمد دبوز قد ترك في تلاميذه آثارا طيبة قيمة، لأنه كان وفيا لمهنته و لمشايخه و لبلده و أصدقائه و طلابه. فهو لا يتكبر عليهم و صلته بهم لا تنقضي بالتخرج. إنما كان يتابع أخبارهم و يتصل بهم عن طريق الرسائل و هم في القاهرة و

[1]- ينظر: يوسف بن يحي الواهج، مرجع سابق.

غيرها، يوجههم و ينصحهم و يقدم لهم تجاربه، فرسائله بالنسبة لهم كنز اعتبروه من أهم المصادر التي تؤرخ له، فيها العفوية و الصدق و الحب الأبوي.[1]

كان يربي طلبته ذهنيا فيقدم لهم المعلومات و الفوائد، و يربيهم جسميا، إذ يهتم بنظافتهم البدنية ويراقب ألبستهم، فإن وجد شيئا من الوسخ على ثياب أحدهم أعاده لمنزله لينظف هندامه بل أوجد خانة في دفتر سيرة الطالب مخصصة للنظافة ، أما الجانب النفسي فكان فيه شديد الاهتمام بمشاكل طلابه يسعى جاهدا لمساعدتهم و تسهيل سبل تعليمهم، مؤمنا إيمانا تاما بأن التربية قبل التعليم، و أن معركة السلاح قد انتهت و علينا أن نبدأ مرحلة الإصلاح و التعليم و التثقيف والاهتمام بالجانب الروحي للأبناء.

و الحقيقة استوقفتني عبارة ذكرها الدكتور محمد ناصر حين قال " عندما تشعر باهتمام أستاذك بك و بأنّه أصبح جزءا منك، فكيف لا تحبّه ؟"، إنّه التّعليم و التّربية بالقدوة لا مجرد القول، فلو لم تكن أفعال الشيخ الفاضل نابعة من القلب لما وصلت إلى قلوب أبنائه المتعلمين.

محمد علي دبوز و التأليف:

انطلقت رحلة الكتابة عند شيخنا الجليل سنة 1950م، إذ بدأ كتابة فصوله في تاريخ المغرب العربي الكبير، فأخرج لنا بعد ثلاثة

[1]- ينظر: الدكتور محمد صالح ناصر، برنامج " على درب الصالحين" بتصرف.

عشر عاما من العمل المتواصل موسوعة تاريخية رائعة تحمل تاريخ المغرب العربي مفصلا منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن الثالث الهجري، يقول عن هذا الكتاب الأستاذ محمد عطية الأبراشي: " هذا أوّل كتاب صفى تاريخ المغرب من زيف السياسة القديمة و الاستعمار اللاتيني و نادى بالوحدة و التّضامن و المحبّة و التّعاون بين أهل المغرب و العالم الإسلامي".

و قد تلقّى المؤلّف صعوبات كبيرة في سبيل تحقيق هذا العمل الجبّار[1].

و هذه الصعوبات عهدها حتى في زمن تنقّله إلى مصر، فهو يذكر على سبيل النكتة (المؤلمة) أنّه عندما عزم على السفر إلى مصر، كان لا بدّ أن يقطع الحدود متنكرا بزيّ أعرابيّ من الصحراء ممّا اضطرّه للجلوس في الشّمس أياما قد تتجاوز الثلاثة حتّى يتغيّر لون بشرته إلى السمرة، والذي حدث بعد هذا العناء أن نزع قبعته من على رأسه فوجد لون شعره و ما جاوره مازال أبيضا، فاضطرّ للمكوث في الشمس ثلاثة أيام أخرى[2].

أيّ جهاد هذا في سبيل العلم والمعرفة؟ لا يرنو إليه إلاّ الأنبياء و الصّحابة في سعيهم و تحصيلهم.

سافر الشيخ إلى أغلب عواصم الشرق و المغرب العربيين لجمع

---

[1]- ينظر: يوسف بن يحي الواهج، مرجع سابق.

[2]- ينظر: محمد صالح ناصر، برنامج " على درب الصالحين" بتصرف.

المادة التّاريخية من مصادر صحيحة و ذلك تقصيا للحقيقة، كما قام بجولات واسعة لمطالعة المخطوطات الموجودة في الخزائن القديمة داخل الجزائر و خارجها.[1] كان يتحمّل أعباء سفره و رحلته العلمية و لا يتأفف ولا يمل.[2]

تمتاز مؤلّفاته بأسلوبها الأدبيّ الجميل و لغتها السّهلة المفهومة و العبارة العذبة و التحليل العلمي النّزيه، و تحمل مادة تاريخية هامّة مصفاة من الأكدار و الأكاذيب، بل إنّها سجّلت التّاريخ الجزائريّ الحديث الذي لم يكتب من قبل.

و أبرز هذه المؤلّفات:

1- تاريخ المغرب العربي:

موسوعة تاريخية رائعة جمعت تاريخ المغرب الكبير بأقطاره الأربعة: ليبيا، تونس، الجزائر المغرب في ثلاثة أجزاء تشتمل على 1683 صفحة من الحجم الكبير، تحدّث عالمنا في جزئه الأول عن البربر و صفاتهم و أخلاقهم و لغتهم، كما خصّص فصولا لكلّ من الدولة البونيقية ودولة ماسينيسا و دولة الوندال و غيرها من الدول و المماليك آنذاك.

أمّا الجزء الثاني فأرّخ فيه للفتوحات الإسلاميّة و مجهودات عقبة بن نافع و غيره من الفاتحين وما لاقوه في سبيل نشر الدين الإسلاميّ

---

[1]- ينظر: يوسف بن يحي الواهج، مرجع سابق.

[2]- محمد صالح ناصر، برنامج " على درب الصالحين"

في المغرب العربي، و الجزء الثالث خصّصه لعهد الدولة العباسية و ولاتها في المغرب العربي، كما تطرّق إلى نشأة المذهب الإباضيّ و تاريخ بعض أئمّته و رجالاته، و دولة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح و الدولة الرستميّة حتى انقراضها.

2- نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة:

في ثلاثة أجزاء تشمل على 960 صفحة من الحجم الكبير، تحدث فيه عن تاريخ نهضة المغرب العربي، و عن المحاولات التّخريبية الاستعمارية المتتالية للقضاء على الشخصية الإسلامية الجزائريّة، ثمّ عرّج في فصول أخرى على جمعية العلماء المسلمين و رجالاتها و الجمعيات الخيرية في وادي مزاب و أثرها في النّهضة الجزائرية، ثمّ انتقل للحديث عن نهضة الجنوب وعن معهد الحياة و نشأته و أثره في نهضة الجزائر الحديثة، و البعثات التي كان يبعثها إلى الخارج لأغراض علمية، ثمّ ذكر الأغواط و نهضتها و تاريخ بعض زعمائها.

3- أعلام الإصلاح في الجزائر:

اشتملت على 1184 صفحة، من الحجم الكبير، جاءت في أربعة أجزاء، تحدّث فيها عن الأعمال التّخريبية للمستعمر الفرنسي لإفساد العقيدة في الجزائر، ثمّ بسط تاريخ الكثير من قامات الإصلاح و التّربية نحو: الشيخ العربي التبسي، الشيخ بيوض و الشيخ أبو اليقظان

و غيرهم رحمهم الله.[1]

- **آراؤه ترسم أخلاقه:**

يعدّ الشيخ محمد علي دبوز بحق سليل جمعية العلماء المسلمين و لسانها المفوّه في الجنوب الجزائري بل و عبر التراب الوطنيّ و حتى خارجه.

من عباراته الجميلة الهادفة التي استوقفتني: " إنّ صفاء القلوب و النّفوس من الأحقاد و الضغائن هو سبب كلّ النّعماء، فما ساد في أمّة إلاّ و سادت في كلّ ناحية و بلغت كلّ مراد "، هذه العبارات الرّاقية المقتبسة من الهدي الرّبانيّ الذي يدعو إلى سلامة القلوب لأنّها باب من أبواب الجنة آمن بها شيخنا و جعلها عنوانا لحياته، بل إنّه في موضع آخر يؤكد ما سبق بقوله " إنّ الدّين هو الذي يلجم النّفوس فتقف في حدودها، و يضبط الغرائز فلا يندفع صاحبها إلى الموبقات، و يحمل صاحبه بدافع الخوف الشديد فيتّسم بالصلاح، و يأتي الأعمال الحسنة الكريمة التي تسعده و تسعد المجتمع معه، و ما خلا مجتمع من الدين إلاّ سادت فيه الرذيلة و امتنع فيه الاستقرار و الهناء، وما تجردت دولة من الدين إلاّ كان تجردا لها من الرّوح التي تحيا بها، فتكون في الحياة جيفة نتنة خبيثة، لا تمور إلاّ بالديدان و النتن من موبقاتها، و يسلّط الله عليها كلّ الحشرات من أعدائها فترتع

[1]- يوسف بن يحي الواهج، مرجع سابق، بتصرف.

فيها كما تريد"[1].

فكم من نفوس محبطة مهزومة يائسة بسبب ابتعادها عن الدين و فهمه تجرّ أذيال الخيبة و تحصد ويلات الفساد و التردّي.

و في موضع آخر كشف عن رأيه في المرأة و الزواج، باعتبار الأولى عنصرا فعّالا في المجتمع، هي لبنته و أساسه. و باعتبار الثاني (الزواج) تحصينا للمسلم من الرذائل و الفواحش و بابا للمودة و الرّحمة " إنّ حياء المرأة هو الذي يخلق الورد الجميل في محياها و الفتور السّاحر في عينيها، فتكون بهما لا بالمساحيق و الكحل جذّابة، تستهوي قلب الرجل و تستأثر به و تثير احترامه وإعجابه بها"[2] و عن الزواج: " إنّ الزواج بداية حياة للزوجين، فيجب أن لا تفتتح بالمنكرات وتكدّر بالمعاصي، بل يجب أن نحفظها بجو جميل طاهر، يستدعي رضا الرّحمن ليبارك الزواج و يسعد الزوجين"[3].

كان رحمات ربي عليه مثالا في التّقوى والورع وعمارة المسجد، له قلم سيال لا يبارى، نشأ على حب العلم و الرّغبة الشّديدة في تحصيله و حب العمل و الإخلاص فيه، و ممّا ذكره الدكتور محمد

---

[1]- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب العربي الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010، ج1، ص142.

[2]- محمد علي دبوز، نفس المصدر، ج2، ص140.

[3]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، 1965م، ج1، ص207.

ناصر أنّ الشيخ كان دائما يردّد: عليكم بالفرس الأدهم أي قيام الليل، و كان رحمه الله أكثر النّاس انضباطا و احتراما للوقت، فاحترم طلبته و رفقاؤه هذا الالتزام و الجدّية و تقبلوها، فكل ما في الإسلام من عبادات مبنية على الانضباط ، أضف إلى ذلك أنّه كان – خاصة في القاهرة– يقوم بكلّ أعماله بنفسه من طبخ و غسل ... و يعتكف على القراءة و التأليف ليل نهار، فلا يخرج إلاّ يوم الخميس.[1]

- **نهاية الجهاد:**

أمضى الشيخ محمد علي دبوز سنوات طوال ينشئ الأجيال، يعلّمها و يربّيها و يؤلّف الكتب النّادرة النّفيسة، حتى ألمّ به المرض فأقعده الفراش و عزله عن الحياة العامة .. توفي يوم الجمعة 16 محرم 1402 هـ الموافق ل 13 من نوفمبر 1981، بعد حوالي ثلث قرن من العمل المتواصل في التّعليم والتّربية و الإصلاح و التّأليف و العمل الخيري.

انتظم له حفل جنائزيّ مهيب ببريان يوم السبت 17 محرم 1402 هـ، الموافق لـ 14 نوفمبر 1981م، حضره أهل البلدة و غيرهم من محبّيه، و كان لنبأ وفاته وقع كبير في مزاب و الجزائر و العالم الإسلامي كلّه، بكاه تلاميذه و أصدقاؤه.

و في عام 1982م أقيم مهرجان حافل إحياء لذكرى وفاته بمدينة القرارة للإشادة بأعماله و خصاله الحميدة.[2]

---

[1]– ينظر: محمد صالح ناصر، برنامج " على درب الصالحين " بتصرف".

[2]– ينظر: يوسف بن يحي الواهج، مرجع سابق.

تغمّده الله برحمته الواسعة و أسكنه فسيح جنانه ، و قيّض للأمّة من يخلفه في جهاده التّربويّ الخيريّ الإصلاحيّ و سيرته العطرة.

1. قائمة المصادر و المراجع مرتبة حسب أوراق المداخلة

2.رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2001م.

3.محمد طهاري، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2010.

4.نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

5.أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

6.محمد صالح الجابري، النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين، الدار العربية للكتاب،1983

7.مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية، دار قرطبة، تلمسان، 2011م.

8. رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م.

9. خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م) دار البصائر للنشر و التوزيع، 2009م

10. الوناس الحواس، نادي الترقي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954) دار شطايبي للنشر و التوزيع، بوزريعة الجزائر، 2012م.

11. محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتحقيق نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م .

12. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب العربي الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م.

13. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، 1965م.

14. محمد صالح ناصر، برنامج "على درب الصالحين".

15. الناصر الحاج عاشور، 89 سنة من العطاء المستمر، معهد الحياة قطب إسلامي تربوي في الجزائر و العالم الإسلامي، مقال، جريدة التحرير.

16. يوسف بن يحي الواهج، الشيخ محمد علي دبوز، القطب، مزاب عنوان الحضارة.

رسالة الشيخ محمد علي دبوز- مربيا ومعلما- بين أسرته ومعهد الحياة

أ. وهيبة هراوة
جامعة الجلفة

مقدمة:

مارست فرنسا مذ وطأت قدماها أرض الجزائر سياسة التجهيل، ونشر الأمية بشتى الطرق، وعرقلت التعليم باللغة العربية بل لم تسمح حتى بالتعليم الفرنسي إلا في حدود، وذلك خوفا منها لانتشار اليقظة والوعي السياسي في أوساط الجزائريين، وما ينتج عنه من محاربة للاستعمار وطرده. كان الاحتلال الفرنسي واضح المعالم في استراتيجيته التي تهدف إلى فرنسة الجزائر، والقضاء على اللغة العربية في عقر دارها. ولطمس الهوية وتشويهها وإفناء العنصر الجزائري، ماديا وروحيا، وزرع العنصر الأوروبي. فهو استعمار استيطاني ذو نزعة صليبية، يكن أشدّ العداء للدين الإسلامي فجندت إدارتها ورجال التبشير المسيحي بكل طاقاتهم لمحاربة التعليم الحر و رجاله، يقينا منها أن اللغة العربية هي المقوم الرئيسي للشخصية الوطنية في الجزائر. فحاولت القضاء عليها لا في مضمار التعليم فقط، بل كذلك في الإدارة، وحتى في الحديث العادي بين الجماهير الجزائرية . لخلق هوة بين اللغة الفصيحة والدارجة حتى يسهل إبعاد الناس عن القرآن الكريم بحجة اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة.

وبالمقابل أدرك رجال العلم في الجزائر بثاقب بصيرتهم أن إنقاذ الجزائر من شبح التنصير والفرنسة لن يتحقق إلا بالنهوض باللغة العربية وإحيائها، لكونها وعاء للإسلام، وحافظة قرآنه وتراثه .

والمساس بها واحتقارها هو احتقار للدين، والقرآن الذي نزل بها، فأخذت تشكل طبقة العلماء ما يعرف بالنهضة الجزائرية الحديثة، التي خيبت آماله، ودحضت حججه الواهية " وعن نهضة جنوب الجزائر في وادي مزاب وإصلاحه، فقد بدأ في آخر العهد التركي، قبل بدء الإصلاح في الشمال .

لقد نام وادي ميزاب وجنوب الجزائر قبل الشمال و تيقظ، و بدأ إصلاحه قبل بدء الإصلاح في الشمال . لقد ابتدأ الإصلاح والنهضة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري حوالي العقد الخامس من القرن الثامن عشر المسيحي، وأعلام الإصلاح الأولون فيه هم: الشيخ يحي بن صالح الأفضلي وتلاميذه البارزون ومنهم الشيخ عبد العزيز الثميني، وتلاميذه البارزون ومنهم الشيخ بالحاج بن كاسي، والشيخ أطفيش وتلاميذه الكثيرون ... وهم اللذين نازلوا الفساد، والجمود، والجهل، والاستبداد العسكري الفرنسي.[1]

[1] - محمد علي دبوز- أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 الى 1975- صفحة 29

محمد علي دبوز ابن وادي ميزاب :

نشأ محمد علي دبوز وترعرع في مجتمع تقليدي محافظ، يقدس العلم باعتباره صديقا للدين، ولا تعارض بينهما، وقبل الحديث عن الشيخ وعن إسهاماته وآثاره في المجال الثقافي، لابد أن نعطي نبذة عن منطقة مزاب وعن طبيعة المجتمع المزابي، التي هيأت التربة الصالحة لميلاد ثلة من العلماء الأجلاء، الذين ظهروا قبل و بعد فترة الاحتلال، والتي ساعدت كثيرا في صقل مواهبهم وتكوين شخصياتهم الفذة أمثال الشيخ دبوز وغيره كُثُر .

وادي ميزاب جغرافيا :

اختلفت المصادر في أصل كلمة مزاب، بين من يرجعها إلى كلمة (مصعب) التي تحولت في لهجة قبيلة الزناتة البربرية إلى (مزعب)، ثم (مزاب)، وبين من يرجعها إلى كلمة الهضبة بالبربرية الزناتية، لأنهم سكنوا هضبة في أول أمرهم.[1] ومنطقة مزاب يمكن أن نحدها كالتالي: من الشمال والشمال الشرقي واحة الأغواط و صحراء أولاد نايل (مسعد)، ومن الجنوب واحة وارجلان ومن الشرق واحات

[1] - عبد القادر قوبع – الحركة الاصلاحية في منطيقتي الزيبان و ميزاب بين سنتي 1920 م و 1954 م – دار طليطلة للنشر و التوزيع – سنة الطبع 2015 – الصفحة 27/26 .

حجيرة و العلية ...، أما غربا فيحدها وادي زرقون، فهي تمتد على مساحة (أربع مئة و خمسون ألف) 450.000 هكتار[1]

هاجر المزابيون إلى وادي مزاب قبل قرون من تيهرت، وتحملوا العزلة وقساوة الظروف الطبيعية في سبيل الحفاظ على مذهبهم الإباضي. لذا عرفوا بتشددهم الديني الذي لا نجد له نظيرا في المذاهب الإسلامية الأخرى المعاصرة، حتى أنهم يجعلون مؤتمرا سنويا لمحاربة مظاهر البدع والخرافات يسمى بمؤتمر (ننهى عن المنكر) لكن هذا المؤتمر اختفى مع الاحتلال الفرنسي .[2]

المجتمع الميزابي:

يمتاز المجتمع الميزابي بدقة التنظيم و صرامته، فهو على شكل مدن سبعة تسكنها عشائر، هذه العشائر تنتخب في الأخير هيئة دينية لتسيير المدينة هي (العزابة) التي امتد دورها من هيئة تربوية تعليمية إلى هيئة اجتماعية وسياسية ودينية تلعب الدور الأساسي الأكبر في تسيير كل الشؤون المدنية (القضاء- الإفتاء- الاستفتاء) وتختار كل عشيرة من يمثلها في هذه الهيئة وفق مقياس الدين والأخلاق والورع [3].

---

[1] - عبد القادر قوبع –المرجع نفسه - الصفحة 27 .

[2] - عبد القادر قوبع –المرجع نفسه - الصفحة 108 .

[3] - عبد القادر قوبع –مرجع سابق - الصفحة 39 .

يمثل نظام العزابة بمشايخه وعي المجتمع المزابي، وضميره الحي، وإرثه الثقافي العريق، كما يعتبر قوة فاعلة في إطار ما يعرف بالمجتمع المدني، فضلا عما حققه من توازن اجتماعي كتوظيف الشباب العاطلين عن العمل، والزواج الجماعي، وأمور أخرى كثيرة .

وفي الحديث عن طبيعة هذا المجتمع اندهش "أحد الأوربيين أمام الطاعة الكبيرة التي يتصرف بها المزابي مع الهيئات الدينية الخيرية، فكتب قائلا : إن المزابي مع تحكمه في أمور التجارة، وأنه لا يستطيع منح حبة قمح واحدة، إلا أنه لا يتوانى في التضحية بقسط هام من فوائده بل حتى من رأس ماله من أجل ترميم مسجد أو بناء مدرسة " [1] .

حافظت ميزاب على التعليم العربي رغم الحصار المفروض عليها، ولكن طبيعة القصور والأزقة المزابية عرقلت عمل القياد والمراقبين للمدارس، فانتشرت المدارس والمحاضر والكتاتيب في المساجد وفي البيوت، واستفادت منها حتى النساء المزابيات [2]. كما ساهمت المرأة الميزابية أيضا في الحفاظ على المجتمع، عندما كانت تشترط في كتاب زوجها (عقد الزواج) على زوجها أداء الصلاة واجتناب

[1] - عبد القادر قوبع –المرجع نفسه - الصفحة 107 .

[2] - عبد القادر قوبع –المرجع نفسه - الصفحة 106 .

الكبائر، وعدم بقائه في الشمال أكثر من سنتين [1].

وفيما يتعلق بإصلاح مناهج وطرائق التعليم دعا أبو اليقظان منذ سنة 1926 إلى تحسين حالة المعاهد المادية والأدبية والجمالية، وزيادة عددها وإدخال نظم جديدة بالاقتباس مع مناهج التعليم الرسمي وانتقاء الكتب التربوية الحديثة، وإجبارية الاختبارات، وتأسيس المكتبات، ودعم الأولياء لأولادهم ورعاية الأغنياء للمشاريع التربوية [2].

نسبه و مولده و دراسته :

ولد الشيخ محمد علي دبوز ببريان (1337 هـ/ فيفري 1919م)، والده الحاج علي عرف عنه أنه أول معلم له في الحياة، فقد سهر على الاعتناء به وغرس العادات الجميلة، وحثه على طلب العلم والدين منذ نعومة أظافره، أما والدته السيدة عائشة بنت يحي فقد كان يضرب بها المثل في الجد والحزم وورث منها ابنها هذه الخصال لا سيما

[1] - عبد القادر قوبع –المرجع نفسه - الصفحة 109 نقلا عن كتاب محمد علي دبوز- نهضة الجزائر- جزء 1 صفحة 229

[2]- عبد القادر قوبع –المرجع نفسه - الصفحة 227.

الحزم، وكان لها دور كبير في توجيه سلوك ابنها.[1]

رزق الحاج علي بالعديد من الأولاد ولم تكتب لهم الحياة، ودفعه حب العلم والعلماء أن ينذر نذرا إن رزقه الله ولدا أن يهبه للدين والعلم، وقد حقق الله أمنيته .[2]

ترعرع الشيخ (رحمه الله) ببلدة بريان، في كنف أسرة متدينة، تقدر العلم والعلماء، فغرس فيه والده الحاج علي القيم الدينية والإسلامية الفاضلة، وأورثه حب العلم والعلماء، "وعند بلوغه الخامسة من عمره أخذ مبادئ دراسته الأولى وعلى رأسها القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد السيد الحاج إسماعيل – أحد عزابة المسجد – الذي عينه له والده، وفي جوان 1928 م التحق بالمدرسة الوحيدة في البلدة، وفيها أخذ مبادئ العلوم الدينية والعربية على يد الشيخ صالح بن يوسف ابسيس وتوسم في محمد علي دبوز بوادر النبوغ والذكاء فأولى الشيخ صالح اهتماما كبيرا به، ودام تلميذا

[1] – خير الدين شترة – معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس – منشورات الشؤون الدينية و الأوقاف – الجزء الثالث – سنة الطبع 2015 – الصفحة 462/264.

[2] – ينظر محمد علي دبوز – نهظة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة – الجزء 1 – الصفحة 26

بين يديه إلى غاية 1934م أين شد رحاله إلى معهد الشيخ بيوض "[1].
وفيه درس على يد الشيخ بيوض الذي تعلق بشخصيته وصار مثله الأعلى هو وطلبة المعهد. وذلك لقوة شخصيته وشدة تأثيره العلمي والروحي والخلقي في الطلبة، كما درس على يد الشيخ عدون والحاج محمد بن حمو الناصر، وكان مثالا للطالب المجد فدرس علوم التفسير، الحديث وشرحه وأصول الفقه والأدب العربي والنحو والبلاغة والأخلاق والمطالعة [2].

أما عن دراسته في تونس فكانت "ضمن البعثة البيوضية في سنة 1942 م، والتي نجحت في الوصول إلى تونس رغم العراقيل الإدارية التي وقفت دونها، فوصل أعضاؤها متفرقين، وهم: محمد علي دبوز فعيسى بن الحاج عمر بوحجام فمحمد بن إبراهيم المرموري، وفي وسط الأربعينات لحق بهم محمد بن الناصر ملالي وغيرهم ... واستطاعت الاستقرار في شارع ابن خلدون الشهير، الذي ضم بعثة

[1] - خير الدين شترة – معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس – منشورات الشؤون الدينية و الأوقاف – الجزء الثالث – سنة الطبع 2015 – الصفحة 462.

[2] - ينظر الملحق رقم 3 - خير الدين شترة – معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس – منشورات الشؤون الدينية و الأوقاف – الجزء الثالث – سنة الطبع 2015 .

أبي اليقظان في سنة 1914 م "[1].

كما سافر الشيخ محمد علي دبوز إلى مصر حيث كانت آنذاك قبلة للعلم والعلماء، مخاطرا بحياته، وكان ذلك " سنة 1944 في رحلة قطعها مشيا على الأقدام، حيث استغرقت رحلته ستة وعشرين يوما حتى وصل إلى مصر وعند وصوله توجه إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة"[2] ." ومعاهِدها، أين أُعجب بما تحتويه من عباقرة الأدب العربي والفكر الإسلامي أمثال الدكتور طه حسين، الدكتور زكي مبارك الدكتور أحمد أمين، عباس محمود العقاد وأنور الجندي وغيرهم "[3].

بعد مرحلة التكوين الجيد أنهى الشيخ دبوز رحلته العلمية التي سعى فيها لتطوير معارفه العلمية وتوسيعها، عاد إلى مسقط رأسه أين حظي باستقبال عظيم[4]. واستقبل الشيخ محمد علي دبوز استقبالا

[1] - عبد القادر قوبع – مرجع سابق – الصفحة 238 .

[2] - يوسف بن بكير الحاج سعيد – تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية– الجزائر 2007 – الصفحة 229 .

[3]- محمد بن قاسم ناصر بو حجام - مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد على دبوز - ص 28

[4] - ينظر الملحق رقم 5 - خير الدين شترة – معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس – منشورات الشؤون الدينية و الأوقاف – الجزء الثالث – سنة الطبع 2015 .

حارا بعد عودته الميمونة من مصر" وأُقيم له حفل كبير وفرح به أهله وأصدقاؤه خصوصا أستاذه الشيخ بيوض كونه من الأوائل ممن نال شهادة جامعية (وإن لم تكن رسمية)، وما فتئ أن عين الشيخ دبوز مدرسا لمادتي الأدب والتاريخ وساهم بقسط وفير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد بإضافة مواد علم النفس والتربية والمنطق وتاريخ المغرب الكبير " [1].

وبقي في هذا الميدان إلى شهر جوان 1981 حين أقعده المرض الفراش. وقد اشتد عليه في المدة الأخيرة وتوفاه الله يوم الجمعة 01 من محرم 1402 هـ الموافق ل 13 من نوفمبر 1981م تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه.[2]

الشيخ محمد علي دبوز و معهد الحياة:

يعتبر معهد الحياة أقدم مدرسة إصلاحية في الجزائر، وأهم مؤسسة إصلاحية في مزاب كما كان سباقا لمختلف التطويرات التربوية واستطاع أن يؤطر في موسم 1947 /1948 م حوالي (200) مائتي طالب، في حين أطرت جمعية العلماء المسلمين على المستوى

[1] - محمد صالح ناصر – مشايخي كما عرفتهم – دار الريام – الجزائر 2008 – الصفحة 160/159.

[2] - محمد بن قاسم ناصر بو حجام – المرجع السابق – الصفحة 16

الوطني حوالي سبعة آلاف إلى عشرة آلاف طالب في هذه السنة (علما أن نسبة المزابيين إلى عموم الشعب الجزائري هي 0.5 بالمائة)[1].

ففي سنة 1930 نجد اقتراحات هامة لإصلاح التعليم، انطلقت من مدرسة الحياة نفسها أهم هذه الاقتراحات :

إنشاء ثلاث مدارس غير الكليات الجامعة (ابتدائية، ثانوية، عليا) الابتدائية تكون بتوحيد كل الكتاتيب بالمنطق (القرارة) .

أما المدرسة فتقسم إلى ثلاثة أقسام، لكل قسم مدرس مع توفير مختلف الحاجيات له .

تأثيث المدرسة تأثيثا عصريا بالكراريس والسبورات والمناضد والكتب والخرائط .

وضع منهاج عصري من حيث الأوقات، وكيفية إلقاء الدروس ووضع التمارين، ورصد الجوائز والتحفيزات للناجحين، ومعاقبة المخالفين عقابا يليق بكرامتهم.

جعل التعليم إجباريا في المرحلة الأولى إلا للضرورة .

---

[1] - عبد القادر قوبع – مرجع سابق – الصفحة 241.

تنويع المواد وعدم الاقتصار على تحفيظ القرآن وحده، بل (يكون المقام الأول لغير القرآن من تعليم الكتابة، ومبادئ اللغة العربية والأخلاق ومبادئ الحساب وحفظ المحفوظات من نثرية وشعرية).

تخصيص لجنة لها اضطلاع بالتعليم، تتولى بالاشتراك مع المدرسين إدارة المدرسة وتعيين الكتب التي تدرس لكل طبقة والسنوات المدرجة في كل كتاب وبرمجة الامتحانات السنوية.

تأسيس جمعية تتكفل بالتدريس وجمع التبرعات [1].

وفي حديث الشيخ عن تجربته الشخصية في التدريس بمعهد الحياة يقول: " كان معهد الحياة الثانوي في القرارة بجنوب الجزائر من تلك المدارس الحرة التي أنشأت منذ ثمان وثلاثين سنة لنشر التربية الإصلاحية، وكنت أتولى تدريس تاريخ المغرب الكبير فيه، وكان غلاة المستعمرين الذين يقصدون التجسس على مدارسنا ومناهجنا يطرقون أبوابه متظاهرين بالزيارة البريئة والاطلاع على سير التعليم في الجزائر...وكان أول سؤال يواجهونا به هؤلاء المستعمرون الذين يطرقون المعهد قبل الثورة:هل تدرسون التاريخ الإســـلامي؟ فإذا قلت: نعم، اِسودت وجوههم وبدت علامات

[1] - عبد القادر قوبع – المرجع نفسه– الصفحة 228.

التشاؤم والارتياع عليهم ! "[1].

نستشف من جواب الشيخ للمستعمر اعتزازه الكبير بتدريس التاريخ الإسلامي واعترافه بذلك في وجه العدو وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على قوة شخصيته وشغفه الشديد بتدريس هذه المادة ودرايته بأهميتها البالغة في التربية والتعليم بل يرى أن تدريس التاريخ هو التربية في حد ذاتها .

"إن التاريخ هو الذي يحفنا ببيئة اجتماعية راقية من أجدادنا، فنعاشرهم فنتأثر بأخلاقهم ونتطبع بطباعهم... فنكون مثلهم في العزة والإباء وفي الطموح والمحاولة، وفي العمل والكد وفي الإخلاص والإتقان وفي العمل لله ! وتلك أسباب النجاح والتوفيق وعوامل القوة والتقدم " [2].

و يردف قائلا:"... وترى الأوربيين يجعلون شبابهم وأمتهم تعيش مع أجدادها العظماء دائما لا تنقطع عنهم، فتجدهم يؤلفون الروايات التاريخية... ويقدمونها في المسارح والسينما والتلفزيون ويكتبون المقالات في ذكرى عظمائهم ويلقون الخطب وينشئون

[1] - محمد علي دبوز - تاريخ المغرب الكبير – مؤسسة تاوالت الثقافية - طبعة 1963– الجزء 2 – الصفحة 4.

[2] - محمد علي دبوز – نفس المرجع – الصفحة 7.

الأغاني فيجعلون الأمة بكل هذا تختلط بأجدادها العظماء وتتأثر بهم "[1].

ويؤكد فيقول:" إن التاريخ أكبر وسيلة للتربية العقلية والخلقية وأعظم عامل يحرك الشعوب وينهضها ويدفعها إلى أسمى الغايات، وهوأقوى مطهر للأمم من أمراضها فلذلك حرمه الاستعمارعلينا "[2].

كما يرى أن التاريخ أهم وسيلة للاتعاظ والتأسي فـ " يجب أن نحذر الأبناء مما وقع فيه الآباء . ونبيد في نفوسهم بالتاريخ الصحيح العقد النفسية الموروثة التي ثبتها الاستعمار في نفوسنا ليمزق شملنا... إن هذا أكبر فرض يجب على المربي في دروس التاريخ وألا يكون مقصرا في التربية " [3].

ويذهب الشيخ إلى أن شخصية المدرس هي التي تؤثر بالتاريخ، فيجب أن ينبع التاريخ من أعماقه متأججا بوجدانه، ومن عقله ممتلئا بفلسفته لا من لسانه وحده. فيكون أخبارا باردة يسردها... إن المربي لا يكون على ذلك الحماس ...إلا إذا أتى بدرسه

[1] - محمد علي دبوز – نفس المرجع – الصفحة 11 .

[2] - محمد علي دبوز – نفس المرجع – الصفحة 14 .

[3] - محمد علي دبوز –المرجع السابق – الصفحة 13.

وبمحاضرته في رأسه لا في كراسه [1].

ويؤكد علي ضرورة مفادها أن لا بد للمدرس أن يتمتع بقوة في لسانه وعقله، وخاصة في مادة التاريخ " فلا يسند تدريسه إلا للفصحاء الذين وهبهم الله اقتدارا في التعبير، وقوة في العقول، يستطيعون بها التحليل والاستنباط، وكانت الشخصية الخطابية فيهم قوية"[2]. ذلك أن غزارة المادة العلمية عند المدرس، والعمل على حشوها في رؤوس طلابه، لا تجدي نفعا فلابد للمدرس من لسان خطيب، يجعله يؤثر على طلابه. " إن التاريخ لا يؤتي ثماره ونتائجه التربوية العظمى، إلا إذا القينا دروسه في تحليل علمي، وبروح خطابية وفي أسلوب أدبي طلي" [3].

كما " يجب ألا يسند تدريس التاريخ لمن كانت شخصيته علمية محضة. فإنه يقتله، ولا تجدي معلوماته الغزيرة فيه، وذاكرته المحشوة بمادته " ويشترط الشيخ في مدرس التاريخ أن يكون شخصا موضوعيا، يتمتع بقدر كبير من النزاهة. ويختار مصادر مادته التاريخية بحرص وعناية إذ يرى أنه" يجب أن ننظر بعقولنا. ونبحث بحثا منطقيا

---

[1] - محمد علي دبوز –نفس المرجع – الصفحة 14

[2] - محمد علي دبوز –نفس المرجع – الصفحة 15

[3] - محمد علي دبوز –نفس المرجع – الصفحة 14

خالصا لا توجهنا فيه العواطف الموروثة، ونعتمد في أحكامنا على الأدلة القوية، والبراهين الساطعة... وإذا توصلنا إلى الحكم الصحيح ... فيجب أن نتحمس له ونوجه أنظار التلاميذ إليه " [1] .

يضع الشيخ بين أيدي المدرسين والتلاميذ قواعد هامة، تعينهم في استيعاب مادة التاريخ .

"إن التاريخ أصعب الفنون رسوخا في الذاكرة... إنه لا يقوي الذاكرة شيء كالانتباه القوي و الملاحظة التامة. هذا لا يكون إلا بالحماس الذي يورثه المربي في نفس التلميذ... وقوة الذاكرة تكون بكثرة الروابط، فلا بد من ربط الحقيقة الواحدة بحقائق كثيرة، ما يشابهها ويتصل بها من معلومات التلميذ القديمة. ومن ربط حقائق التاريخ بعضها ببعض، فتاريخ نشأة الدولة، يجب ربطه بتاريخ انقراضها وبمكانها وعاصمتها وبأول رؤسائها. فترتبط هذه الحقائق في نفس التلميذ، فإذا تذكر واحدة استتبعت أخواتها" [2].

وتجدر الإشارة هنا أن طريقة ربط المعلومات القبلية لدى التلميذ بالمعلومات الجديدة. واعتبارها كوضعية انطلاقية لسيرورة الدرس هي طريقة من الطرائق التي تحث عليها المناهج التعليمية

[1] - محمد علي دبوز –نفس المرجع – الصفحة 15

[2] - محمد علي دبوز –المرجع السابق – الصفحة 16

الجديدة فلا بد للمدرس أن يتوخى الربط في تقديم معلوماته وفي ذلك يقول الشيخ:" أن الإكثار من الروابط في الدرس وربط الجديد بالقديم يضمن لنا أيضا التكرار غير الممل الذي ترسخ به المعلومات في ذهن التلميذ[1].

ويحث الشيخ المدرسين بكثرة الاطلاع على كتب التربية و التعليم، وكتب علم النفس وبخاصة ما يمت بصلة بمسألة الذاكرة والحافظة والخيال وتداعي المعاني وكل العمليات النفسية التي لها علاقة بترسيخ التاريخ في عقولنا تلاميذنا، ومواكبة كل جديد.

ويردف قائلا: " وليت حكومات المغرب تقضي عن مدارسنا كل هزيل لا توجد فيه شخصية المعلم. ولا يرغب في وظيفة التربية والتعليم المقدسة ولا يعزم بها. فيستعد لها بدراسة كتب التربية والتعليم . ومتابعة تطور هذا الفن العظيم الذي تقوم عليه عظمة الأمم وتطورها" [2].

ولرسوخ دروس التاريخ أكثر في ذهن التلميذ، يذهب الشيخ إلى أن " لابد أن يكلف التلميذ بعد إنهاء المحاضرة التي أصغى إليها بكل اهتمام، أن يكتب خلاصتها من ذاكرته. فان هذا يضمن انتباهه في

[1] - محمد علي دبوز –نفس المرجع – الصفحة 16

[2] - محمد علي دبوز – نفس المرجع – الصفحة 16

الدرس [1].

تجدر الإشارة هنا إلى أن فكرة إسناد مهمة تدوين الخلاصة للتلميذ هي اِستراتجية تنادي بها المناهج التعليمية الحديثة، حيث تسميها بمرحلة الاستثمار أو الحوصلة، وفيها يشارك المتعلم معلمه في استنتاج خلاصة الدرس، ويسجلها في نقاط. يقول الشيخ:" يجب أن ينقش التلميذ درس التاريخ في رأسه، ثم يستعيده، ويكتبه في كراسته، إن في هذا مع الحفظ القوي، وتمرن على الإنشاء! [2].

وفي الأخير يقول الشيخ:" هذه قواعد في فن تدريس التاريخ، أقدمها لإخواني وأبنائي في مدارسنا وهي خلاصة تجربتي، وقواعد التزمتها في محاضراتي في تاريخ المغرب بمعهد الحياة... إنها قواعد يقررها فن التربية والتعليم، وتؤيدها تجربة لي استمرت(14)أربعة عشر سنة كاملة في المعهد... وأراني مقصرا إذا قدمت لمدارسنا في المغرب وكلياتها مادة هذا الكتاب، ثم سكتت عن الطرق التي جربتها في تدريس التاريخ، فنجحت بها كل النجاح و الحمد لله" [3].

مفهومه للتربية و التعليم:

[1] - محمد علي دبوز – نفس المرجع – الصفحة 17

[2] - محمد علي دبوز –نفس المرجع – الصفحة 17

[3] - محمد علي دبوز –المرجع السابق – الصفحة 17.

ومن كل ما سبق، يمكن أن نستشف من خلال فلسفته للحياة، ومنهجه فيها، أن التربية أساس التعليم ولا تعليم بدون تربية.

ومن خلال تجربته في معهد الحياة وخاصة تدريسه لمادة التاريخ، نستخلص مدى أهمية هذا الأخير كوسيلة تربوية فعالة، لغرس أسمى القيم والمبادئ في الناشئة، لاعن طريق السرد البارد والحشو، بل بالرجوع إلى أبرز الشخصيات الإسلامية العظيمة التي استوقفته واستوقفت غيره للتأسي بها والإفادة من سقطاتها وهفواتها وعليه،" فمن الناحية النظرية، أنار التاريخ بمجموعة من النظريات والنظرات والآراء، التي تكشف عن حقيقته ومزاياه وضرورة الاحتفاء والاعتناء به، عاملا مهما في التربية . ومن الناحية التطبيقية قدم صور عملية وحية لهذا التاريخ، التي جسد فيها هذه الآراء والنظريات من خلال شخصياته التاريخية التي أرخها و تعامل معها " [1].

"... إن الحديث عن العوامل التربوية العظيمة التي كونت الشخصية العظيمة في أعلام الإصلاح من أهم ما يجب أن يعنى به المؤرخ، لأنها أسرار خفية تنسى، لا يستطيع الاهتداء إليها جميع الناس وإن كانوا علماء، أما جهادهم فخالد في آثارهم المرئية يستطيع هذا الزمان أو الأجيال المقبلة أن تعرفه، ثم إن بيان العوامل التربوية التي كونت

[1] – محمد بن قاسم ناصر بو حجام –مرجع سابق- الصفحة 28

أعلامنا هو الذي يجعلنا نأخذ بها، فيكون لأمتنا دائما مثلهم" [1].

أما عن منهجه وطريقته في التدريس فقد كان يركز على تقريب المادة العلمية من أنفس تلامذته وترغيبهم فيها، فكان يمارس عدة وسائل تربوية ذكرها ابنه إبراهيم بيوض فيما يلي:

"إبراز الفوائد العظيمة التي يجنيها الطالب من المادة العلمية ويبين له أسباب تعلمها؟ وما الهدف منها ؟ وماذا يجني منها ؟ في حياته العلمية والعملية، وقد أولى رعايته الكبيرة لهاته النقطة .

تقديم المعلومات التاريخية في أسلوب أدبي يستحوذ على اهتمام الأنفس ويتحاشى الأسلوب العلمي الجاف".2

كان يهتم كثيرا برسم الخرائط التاريخية مسبقا وتحضير الدروس " كان يرى لزاما عليه أن يرسمها وكان يبذل الوسع الكبير لرسمها في السبورة وتبيين معالمها بالألوان الزاهية وكم كان يضنيه هذا العمل الشاق... يهتم الاهتمام البالغ في تحضير دروسه مسبقا ويرى هذا أمرا ضروريا عليه... ودائما كان يسبقهم في الفصل ويقوم

[1] - محمد بن قاسم ناصر بو حجام – المرجع السابق - الصفحة 28.

[2] - دبوز بيوض إبراهيم بن محمد – الشيخ محمد علي دبوز تاريخه شخصيته جهاده آثاره – مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز – بريان غرداية - الصفحة 30

بتهيئته وتعطيره بالبخور وفتح النوافذ وما إن يصلوا حتى يجدوه في أتم الاستعداد لهم 1.

علاقته بتلاميذه :

"... كان نعم الأستاذ والمربي، تخرج على يده جيل هو اليوم يسد الثغور في المجتمع ويخلفه في عمله المبارك وكان مخلصا في رسالته تلك فيحاسب نفسه بالدقائق والثواني حتى لا يضيع من حق الطلبة لحظة. يراقب تلاميذه داخل المعهد وخارجه في سيرتهم وأخلاقهم وأعمالهم الدراسية وحتى نظافة أجسادهم وألبستهم، يحب طلبته والنكتة معهم، يخلص في تعليمهم وتهذيبهم، وتربيتهم هذا بالإضافة إلى زمالته الحسنة وتقديره الكبير لأساتذته " 2

" لقد كان يراعي أشد الرعاية جو الصفاء، والوئام بين التلاميذ في فصله ولم يكن يشعرهم أنه المسؤول عنهم أكثر مما يبين لهم كونه صديقا شفوقا، رحيما بهم يحوطهم بعين رعايته... وكانت شخصيته المرحة تضفي على فصله روح الدعابة والفذلكة بين الفينة والأخرى تكون محطات استجمام لنفوس الطلبة... مما حدا بهم الشوق إلى

[1] - دبوز بيوض إبراهيم بن محمد – مرجع نفسه – الصفحة 25.

[2] - يوسف الواهج – مرجع سابق – الصفحة 4.

ساعاته الدراسية التي كانت أحلى أوقاتهم وأمتعها في نفوسهم ... ولم يكن يراعي الناحية التعليمية في تلاميذه أكثر من اهتمامه بالناحية التربوية يراها الأوكد لنجاح الأولى " [1].

وأهم الفضائل التي دعاهم إليها : [2]

الصفاء :

سلامة القلب "كان يدعو طلبته إلى الصفاء والتخلق به لعمه أنه من الأسباب الكبرى لنجاح رسالة معهد الحياة... ويرى وجوب توطيد الروابط الإسلامية بين الاباضية والمالكية في واد مزاب خاصة والجزائر عامة ".

الحزم والانضباط في الوقت :

ويقول في هذا أحد تلامذته الدكتور محمد ناصر" كنا طلابا في القاهرة، وكنا نزوره في غرفته من حين لآخر... ونجده غارقا بين أكوام الكتب باحثا ومنقبا... كان يبادرنا فور التحية مباشرة قائلا: لديكم معي يا جماعة عشر دقائق أو ربع ساعة أو أقل أو أكثر لم نكن نتأذى من

[1] - دبوز بيوض بن محمد – مرجع سابق – الصفحة 31.

[2] - دبوز بيوض بن محمد – مرجع سابق – الصفحة 33/32.

سلوكه هذا أبدا بل كان مثار إعجابنا وتقديرنا لجديته في العمل.

استغلال وقت السحر لاستهلال الكتابة:

كان يرى أن وقت السحر هو الوقت المناسب للتحصيل والكتابة في ذلك يقول تلميذه محمد ناصر"لقد تعلمنا منه ذلك الشعار الذي مازال يدوي في أنحاء النفس (عليكم بالفرس الأدهم ... وهو العمل الجدي في السحر حين يكون البال أهدأ والذهن أنشط ... وحين لا يسمع المرء إلا أنفاسه وحفيف أوراقه)"

النظافة:

" يأمر طلبته بتعهد مظاهرهم حتى يكون مشرفا بهم وبمعهدهم لا مزريا... وبقدر ما كان يسعى أن يكون طلبته مثالا في النظافة وحسن الهندام، كانوا هم كذلك يتفادون بكل وسعهم ألا يكونوا مرمى لسهام تشابهه اللاذعة الأليمة ".

" وعن منهجه في عقاب تلامذته رحمه الله كان يركز على الجانب النفسي وكان يترك العقاب البدني كآخر علاج وأحيانا فقط، (يشعر الطالب بمرارة ما اقترفت يداه من جرم حين يصوره له أستاذه في صورة بيانية خبيثة قبيحة فيدرك أبعاد هذا الجرم الوخيمة عليه ويستيقظ ضميره)" [1].

[1] ينظر – دبوز بيوض إبراهيم بن محمد – مرجع سابق – الصفحة 33.

الشيخ محمد علي دبوز في الأسرة:

عاش الشيخ (رحمه الله) في بيته وبين أفراد أسرته وفق خطة مسطرة وبرنامج دقيق لا يحيد عنه يمكن أن نوجزه في نقاط :

- النوم باكرا تمام التاسعة بعد صلاة العشاء وبعد تفقد أحوال بيته.

- القيام على الساعة الثانية صباحا غالبا في الثلث الأخير من الليل (الفرس الأدهم) والاستمرار في العمل إلى صلاة الفجر، بعد الصلاة يغفوا قليلا في فراشه ليستعد للعمل الجاد في الصباح تمام السابعة إما التوجه إلى مكتبه أو لمعهد الحياة .

- يصل إلى المعهد قبل أوانه بأكثر من نصف ساعة لرسم الخرائط وتهيئة جو الدراسة في الفصل

- وحين انصرافه للمنزل وقت الزوال يخصص قسطا من وقته للدعاء والتضرع للمولى وتلاوة القرآن الكريم.

- يخصص وقتا للمطالعة في أمهات الكتب العربية كديوان المتنبي وديوان البحتري والنصوص النثرية لأبي حيان التوحيدي ودلائل الإعجاز للجرجاني ومؤلفات صادق الرافعي وغيرهم ...

- ثم ينكب على التأليف إما ناسخا المادة التاريخية من آلة التسجيل

أو محررا لها أو منقحا و مبيضا للباب.

- ثم يُروِّح عن نفسه قليلا فيتجه للكتابة الأدبية وغالبا ما تكون في الرسائل الأدبية إلى إخوان الصفاء.

- عند الزوال يجلس للغداء مع أفراد أسرته مع الحرص على التحلي بالآداب النبوية في تناول الطعام والحرص على مصدر الطعام الذي يفضله قمحا أو شعيرا وتمرا لما فيهم من فائدة عظيمة للأجسام والعقول وبعد صلاة للظهر، يجلس لمذياعه متتبعا أخبار السياسة.

- رفضه للتلفزة رفضا باتا لما فيها من سلبيات تنعكس على جو البيت من مضيعة للوقت والواجبات المنزلية وأوقات الصلاة باستثناء بعض البرامج كالأخبار والمصارعة والملاكمة.

- وفي التاسعة يخلد لفراشه وهكذا دواليك.

- كما يخصص صبيحة الجمعة للراحة والاستجمام مع أفراد العائلة في أحد البساتين في ضواحي القرارة وكذلك في فصل الربيع .

علاقته بأبنائه:

على الرغم من اهتمام الشيخ بالعلم، وقضاء معظم أوقاته لجمع المادة والتأليف، وعلى الرغم من كثرة أسفاره للاستزادة في العلم والتبحر فيه، إلا أنه لم يهمل أسرته فاهتم لكل تفاصيل بيته وعكف على تربية أبنائه أحسن تربية " كان رحمه الله أبا لثلاث بنات

وثمانية أبناء، رباهم تربية حسنة صالحة مستقيمة" .

وفي ذلك يقول أحد أبنائه أكثر الفضائل التي اهتم بغرسها فينا أيما اهتمام وأولاها الأولوية هي :"[1]

- الاعتماد على النفيس - الحزم والنشاط - الانضباط في الأمور - خدمة الجماعة - مجالسة الكبار دون الصغار الذين حنكتهم تجارب الزمان وعجمتهم - التقشف والتعود عليها.

بل كان يهتم بأدق التفاصيل ومنها، ما قاله ابنه بيوض إبراهيم " كان يحدد لنا زمن الذهاب إلى المدرسة والوقت الذي نستغرقه في الطريق،... وكان يحدد لنا طريقنا إلى مدرسة الحياة وهو شارع الحاج محمد بن إبراهيم المرموري أو شارع الشيخ بيوض ثم نعبر السوق العلوي، وحذار من السفلي ! ومنه إلى شارع الشيخ عدون في الجهة الشرقية و... يؤكد لنا دائما أنه قد رصد العديد من الأعين لتراقب حركاتنا وأخلاقنا في الشارع وكنا نؤمن بقوله، وكلما رأينا أحداً ينظر إلينا قلنا: (ذلك عين من عيون أبي، فيا نفس احذري) "، كما كان يهتم بأوقات فراغهم ويوجههم نحو المطالعة المفيدة " كان رحمه الله يملأ فراغنا بالعمل في البستان الذي يراه مدرسة الرجال سيما ارتقاء النخلة أو المطالعة الأدبية وهو الذي يتولى اختيار ما نطالعه... وكان يقول في

[1] - ينظر – دبوز بيوض إبراهيم بن محمد – مرجع سابق – الصفحة من 54 إلى 58 بتصرف.

ذلك رحمه الله: ليكن في علمك يا بني أن القصص والروايات تكمن فائدتها في اكتساب ملكة المطالعة فقط أما وقد امتلكتها. فعليك بالكتب الأدبية الدسمة: جواهر الأدب للهاشمي، ووحي القلم للرافعي، وزهر الآداب للقيرواني وغيرها... ثم قال موضحا: فلتعلم أن من يطالع الروايات كمن يمص أصبعه ليرضع منه حليب.

حتى في عقابه لهم، كان له نهجه الخاص في ذلك مراعيا الجانب النفسي والمواضع الشرعية من الجسم " فلم يكن(رحمه الله) يبادرنا بالعقاب العشوائي الجزافي بالصفع والركل والشتم... بل كان يعقد جلسة، يجمع فيها شملنا، وإن جلب معه أداة العقاب فإنه يخفيها تحت عباءته حتى لا نشعر بها وتجعلنا لا نعي نصائحه رهبة منها ويبين لنا وخامة الرذيلة التي اقترفت وعواقبها الوخيمة القبيحة علينا بمنهج وأسلوب حكيمين "

وكان الشيخ (رحمه الله) محافظا ومتمسكا برمز أصالته الميزابية، يحث أولاده على أمور كثيرة تضمن لهم العيش في منزل مكيف ومتكيف من كل الجوانب يبعدهم عن خطر الشارع، كما كان يحذرهم من غدر الزمن ولابد من الحيطة وذلك بالحفاظ على الأمور التقليدية من مدخنة وحطب وقمح واسمنت وطاحونة..." ويحتفظ بالسمت الميزابي احتفاظا كبيرا سيما العباءة والقبعة والسروال والعكاز واللحية ... وكان يوصيني عند سفري إلى جانب اصطحاب القشابية أن أخذ معي زاد الطريق يكفي لخمسة أناس أجد ما أقريهم به في

الطريق ... ويشدد علينا بمرافقة العكاز (الدبوز) عندنا خروجنا في الليل ... وهي أفضل سلاح للدفاع عن النفس" [1].

إن تتبع الشيخ (رحمه الله) لأدق التفاصيل في تربية أولاده، فإنما تنم على قوة في الشخصية ورجاحة في العقل وثقابة في النظر وعمق كبير في تحمل المسؤولية وروح عالية في تنشئة أبنائه تنشئة صالحة كريمة تنفعهم وتنفع مجتمعهم .

كان الأستاذ محمد على دبوز مثالا في التقوى، والورع وعمارة المسجد، له قلم سيال لا يبارى، نشأ على حب العلم والرغبة الشديدة في تحصيله وحب العمل والإخلاص فيه، يحب النكتة الطريفة والدعابة الجميلة، شديد الحرص على الوقت والمحافظة على المواعيد [2].

خاتمة:

ترك الأستاذ الشيخ محمد على دبوز (رحمه الله)، رسالة تربوية تعليمية مبثوثة ضمن نتاجه الفكري الغزير، الذي كان عصارة جهده طيلة سنوات من البحث والتأليف والتدريس، وبخاصة في مجال التاريخ، الذي يعتبره الوسيلة الأوكد والأنجح لتربية النشء ونهضة

[1] - دبوز بيوض بن محمد – مرجع سابق – الصفحة 62.

[2] - يوسف الواهج – مرجع سابق – الصفحة 12.

الأمم من خلال تقصي آثار أجدادنا العظماء، والوقوف عند أزهى عصورهم وأثمر تجاربهم، والسير على نهجهم لأن التربية السليمة رافد مهم لتثبيت العقيدة الإسلامية، التي لا تتنافى مع فطرة الإنسان، ونظرته الصحيحة للحياة والكون .

أثار الشيخ نقاط هامة من خلال دراسته العميقة لموضوع التاريخ، والإحاطة به. فالتاريخ لب التربية في نظره، فهووسيلة للاتعاظ والتأسي والتربية العقلية وصفاء للنفس من كدر العقد التي غرسها المستعمر فينا، فهو مجال خصب لاسترجاع الثقة بالنفس، وإزالة العقد لمواكبة الأمم .

توصل الشيخ (رحمه الله) لقناعة مفادها أن تعليم التاريخ لأبنائنا وتلامذتنا هو التربية نفسها، ولا بد لضرورة السعي الحثيث المتواصل من قبل الآباء والمدرسين للتركيز على الجانب التربوي، قبل التعليمي، وما أحوجنا لهذا في عصر عصفت به رياح العولمة والمثاقفة، ولم يتشبث أبناؤنا في الأغلب - و للأسف - إلا بما هو شكلي وزائف !.

وكحوصلة لما تقدم ذكره في هاته الورقة البحثية ومن خلال القراءة لبعض من الإرث الذي خلّفه المرحوم الشيخ محمد علي دبوز بإمكاننا أن نقول أن الفترة التي وجد فيها الشيخ لم تكن المجتمعات العربية عموما والمجتمع الجزائري خصوصا يعيش هاته الغربة

الموحشة وهذا التمزق الذي طال كل مناحي الحياة وعكر كل صفو وقبح كل جميل كان ينشده شيخنا وأمثاله ويَحذرون منه ويُحذرون، في نظرة استشرافية تنم عن ثقابة نظر وحكمة متوقدة، فسقيا لعهدهم التليد من مشايخ نفع الله بهم أحياء ونفع الله بهم أمواتا .

رحم الله الشيخ محمد على دبوز، وأسكنه فسيح جنانه.

قائمة المراجع:

1 - خير الدين شترة – معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس – منشورات الشؤون الدينية و الأوقاف – الجزء الثالث – سنة الطبع 2015.

2 - دبوز بيوض إبراهيم بن محمد – الشيخ محمد علي دبوز تاريخه شخصيته جهاده آثاره – مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز – بريان غرداية.

3 - عبد القادر قوبع – الحركة الاصلاحية في منطيقتي الزيبان و ميزاب بين سنتي 1920 م و 1954 م – دار طليطلة للنشر و التوزيع – سنة الطبع 2015.

4 - محمد بن قاسم ناصر بو حجام - مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد على دبوز – نشر جمعية التراث،القرارة .

5 - محمد صالح ناصر – مشايخي كما عرفتهم – دار الريام – الجزائر 2008.

6 - محمد علي دبوز- أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 الى 1975- عالم المعرفة، الجزائر-2013.

7 - محمد علي دبوز - تاريخ المغرب الكبير – مؤسسة تاوالت الثقافية - طبعة 1963– الجزء 2 .

8 - محمد علي دبوز – نهظة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة- عالم المعرفة، الجزائر– الجزء 1- 2013 .

9 - يوسف بن بكير الحاج سعيد – تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية- الجزائر 2007 .

الشيخ محمّد علي دبّون نموذج للمعلم الناجح

أ. صالح الزرويل
جامعة غرداية

مقدمة:

حمل لواء العلم في الجزائر أقطاب أجلاء في شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، أحس كل منهم بالمسؤولية العظمى من أجل تنوير الناشئة في كل زاوية من زوايا فنون العلم، وقد كانت منطقة مزاب من بين تلك المناطق التي برز فيها ثلة من العلماء والمشايخ في الفترة الحديثة من أمثال: الشيخ محمد علي دبوز الذي ذاع صيته في الجزائر وخارجها بفضل جهوده في العلم وبناء الأجيال وبما تركه من مؤلفات جمة.

كان الشيخ محمد علي دبوز مثل أقرانه من التلاميذ، يريد مزاولة دراساته العليا في أعرق الجامعات العربية والإسلامية، وكانت الوجهة المعروفة وقتذاك هي الزيتونة التونسية، فأغلب المشايخ قد جلسوا في مقاعدها، ونهلوا من علومها، وكان هو أيضا على شاكلتهم، لكنه لم تدم به الدراسة فيها طويلا، إذ غيّر وجهته نحو القاهرة المصرية، التي أتم بها تعليمه، وبعد عودته من القاهرة بدأ في أداء رسالته النبيلة وهي التعليم في معهد الحياة منذ سنة 1367هـ/ 1948م إلى غاية سنة 1402هـ/ 1981م، هذه الفترة الطويلة التي قضاها في التدريس إلى جانب التأليف والبحث وخدمة المجتمع، لا يمكننا في

هذه العجالة تناول كل جوانب الفترة التي يمكن أن تخصص لها مؤلفات مستقلة، وقد توقفت مدة حائرا عن أي الجوانب أكتب، بعد اطلاعي البسيط على أهم كتبه بأجزائها: "تاريخ المغرب الكبير ونهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة وأعلام الإصلاح في الجزائر"، وبخاصة على مقدماتها، فكل الجوانب بحاجة إلى مؤلفات ذات أجزاء عديدة.

لكن وأنا أقرأ مقدمات كتبه استرعى انتباهي عنوانا أحسست أنه يعنيني كأستاذ مادة العلوم الإنسانية في مرحلة المتوسط، ويعني الأساتذة عامة، في مختلف الأطوار التعليمية، وهو: فن تدريس التاريخ، فاخترت ذلك لكتابة ورقة في الموضوع علّني أستفيد وأفيد غيري، بأساليبه وطرقه التي كان يتبعها في تدريس مادة التاريخ، وحاولت أن أقارنها بالأساليب المنتهجة في وقتنا هذا.

وقد انطلقت من الإشكالية الأساسية: ما هو منهج تدريس التاريخ عند الشيخ دبوز؟ والتي بدورها استلزمت الإجابة عنها الوصول إلى جواب عن إشكاليات فرعية لها من بينها: ما هي الأمارات الأولى لتوجه الشيخ دبوز للتاريخ، تدريسا وتأليفا؟ وما سر إقبال وانتظار تلاميذه لحصته بشغف، وكيف كان يحبّب المادة لهم؟ وهل يمكن نهج منهجه في يومنا هذا مع الوسائل المتطورة الحديثة والمناهج الجديدة والمتجددة؟ وما مدى فعالية منهجه اليوم بين مناهج التدريس الحديثة العربية والغربية؟ تلك إذن هي الخطوط

العريضة التي شكلت عناصر الموضوع وجزئياته

قد سبقني لتناول الموضوع-حسب قراءاتي المتواضعة- ثلة من الأساتذة الأفاضل منهم: الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام، في كتابه: مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، والدكتور محمد صالح ناصر في كتابه: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ. وأحسب أن من كتب عنه قليل ونادر، لذا لم أجد بدا من المساهمة فيه.

1/الأستاذ محمد دبوز مدرس التاريخ بمعهد الحياة:

تحمّل الأستاذ محمد دبوز مسؤولية تدريس التلاميذ بمعهد الحياة بمدينة القرارة وهو في سن الثلاثين[1]، تلبية لدعوة شيخه وأستاذه الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض-رحمه الله- بعد عودته من القاهرة التي أتم بها دراسته الجامعية لمدة خمس سنوات، لأداء الواجب الديني والوطني في ميدان التربية والتعليم، فلبى دعوة شيخه وكان عند حسن ظنه، وشمّر المهنة في تفان[2]، وحسر عن ذراعيه وأعطى كلّيته للعلم ورابط فيه[3]، والتحق بالمعهد معلما، وحُقّ لمعهده

1 -تأسس على يد الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر في 18شوال1343هـ /21 ماي1925م

2- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، حياته وآثاره، ج1، عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر، ص41، محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، نشر مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، بريان، ص17

3-محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921م إلى عام 1975م، ج5، عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر، ص7.

أن يجني الذي غرس[1]، فاستقبل باحتفال عظيم، باعتباره من بواكير معهد الحياة الذين طرقوا أبواب الجامعات- وإن لم يتحصل على شهادة رسمية-، وكان له الفضل في تطوير برامج الدراسة بالمعهد، وأدخل مواد جديدة مثل: علم النفس والتربية[2]،وقد أسندت إليه المواد التي كانت تخصصه في الجامعة وهي: الأدب العربي وتاريخه، والبلاغة والصرف والنحو، والفلسفة وعلم النفس[3]، والمنطق ومناهج التعليم، إلى جانب التاريخ[4] بمختلف حقبه الزمنية، وأمكنته الجغرافية مشرقه ومغربه، قديمه ووسيطه وحديثه، وكان دوامه بالمعهد يأخذ منه حوالي 20 ساعة أسبوعيا، تتوزعها المواد المختلفة المذكورة آنفا.

نذكر بالمناسبة معهد الحياة أو معهد الشباب-تسميته الأولى- ودوره الكبير في الحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية والهوية الوطنية، أيام كان الاستعمار الفرنسي في عز جبروته، يحاول طمس

1-دبوز: أعلام الإصلاح، نفسه،ج5،ص7.

[2] -مجموعة مؤلفين: معجم أعلام الإباضية (منذ القرن 1هـ إلى 15هـ) قسم المغرب، جمعية التراث،1999، القرارة، مج4، تر840، ص813.

[3] -"كان الشيخ دبوز عظيم الشغف بعلم نفس الطفل وهي مادة أساسية لطلاب معهد الحياة المتأهبين للتخرج إذ قد يكون من بينهم من يتوجه إلى التعليم، حيث تكون هذه المعلومات أساسية للمعلم الناجح." أنظر: محمد ناصر: مرجع سابق، ص31.

[4] -محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر، ج2، ص10. محمد ناصر: مرجع سابق، ص18.

الهوية والثقافة الجزائرية بكل ما أوتي من قوة ووسيلة[1]، إذ تعرض كأمثاله من المدارس القرآنية والمعاهد في كل ربوع الوطن إلى المضايقات ومحاولات الغلق مرات عدة، لكن حكمة مسيريه وإدارته بصفة عامة حالت دون ذلك، وبقي يزاول مهمته النبيلة في غرس القيم والأخلاق الحميدة إلى جانب تعليم المواد الدينية والدنيوية إلى يوم الناس هذا.

انصب اهتمام الشيخ رحمه الله على مادة التاريخ التي أولى لها بالغ العناية ودعته للتأليف، لما رآه من أضرار ناجمة عن كتب الاستعمار2 التاريخية، المملوءة بالأكاذيب والأغلاط والسموم، فأضرّت بأبناء الوطن وكتّابهم ومدرّسيهم، الذين يعتمدون عليها في التأليف والتدريس[3]، لذلك آل على نفسه تصحيح ذلك في الأذهان والعقول قبل الكتب والمؤلفات، ومما دفعه للتدريس أيضا رؤيته للتاريخ بأنه أكبر وسيلة

1- وقد أشار الشيخ دبوز إلى ذلك عديد المرات في مؤلفاته. مثال ذلك: تاريخ المغرب الكبير، ج2، مقدمة، ص9.

2 -"كان معهد الحياة الثانوي بالقرارة ولاية غرداية من تلك المدارس الحرة التي أنشئت... لنشر التربية الإسلامية الصحيحة واللغة العربية، ....وكان غلاة المستعمرين الذين يقصدون التجسس على مدارسنا ومناهجنا يطرقون أبوابه متظاهرين بالزيارة البريئة، والاطلاع على سير التعليم العربي في الجزائر....وكان أول سؤال يواجهنا به هؤلاء المستعمرون ...قبل الثورة: هل تدرّسون التاريخ الإسلامي؟ فإذا قلت نعم، اسودّت وجوههم وبدت علامات التشاؤم والارتياع عليهم." انظر: دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مرجع سابق، ج2، مقدمة ص9.

3 -دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج2، مقدمة، ص5.

للتربية العقلية والخلقية[1]، وأعظم عامل يحرك الشعوب وينهضها ويدفعها إلى أسمى الغايات، وهو أقوى مطهّر للأمم من أمراضها[2]، وهو رسالة تربوية سامية تهدف إلى تربية الجوانب الأساسية في شخصية النشء المسلم مثل جانبه الديني والوطني والعلمي[3]، والتاريخ عنده للعبرة إذ يقول: "التاريخ للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة، فإذا خلا من هذه فهو قشور لا نفع فيها، وكلام غث لا فائدة منه"[4]، و يضيف أن: "التاريخ للاتعاظ والاعتبار، فيجب أن نقف عند هفوات الأجداد، وما أثار الأعاصير عليهم، فنصوره للأحفاد، فنحذرهم منه، ونفتح عيونهم....من العاقبة الوخيمة التي جرتها على أجدادنا تلك الذنوب"[5].

كما ينظر إلى المادة التي أحبَّها من أهم العوامل التي تساعد على توجيه الناشئة توجيها إسلاميا صحيحا، ففي استطاعتها أن تغرس الفضائل الحسنة في نفوسهم، وتزرع بذرة الخير والصلاح في أعماقهم، لذلك كان يركز على استخلاص العبرة من كل حادثة ومشهد، ويحرص الحرص كله على تنبيه أذهان الطلاب إلى النتائج المستخلصة من الوقائع والحوادث، وربما أخذ ذلك من وقته أكثر

---

[1]- دبوز: تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج2، ص14.

[2] -دبوز: نفسه، ص13 و22.

[3] -محمد ناصر: مرجع سابق، ص36.

[4] -دبوز: أعلام الإصلاح، مرجع سابق، ج1، ص8.

[5] -دبوز: تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج2، ص21.

مما يأخذ سرد الحادثة أو وصفها[1].

كان حبه للتاريخ واهتمامه به منذ صباه، ويعود الفضل في ذلك لأبيه إذ يقول: " لقد كنت مهتما بتاريخ علمائنا المصلحين وأعلام الإصلاح، منهم بالخصوص منذ طفولتي،...كان والدي رحمه الله وأنا طفل في العاشرة من سني يحدثني فيها عن أعلام الإصلاح الذين يعرفهم...ليغرسهم مثلا عليا في نفسي فأكون مثلهم للدين والعلم"، مما جعل الابن محمد يقتفي أثر أولئك العظماء، ويرسم هدفا وطريقا في حياته لبلوغ هدفه، "بدراسة حياة العظماء دراسة نفسية تهدف سبر أغوار شخصياتهم، والوقوف على أهم ما تمتاز به، والتنويه بالأدوار التي قامت بها في معترك الحياة، وربط كل ذلك بالميول الفطرية والمواهب والظروف النفسية والاجتماعية التي مرت بها "[2]، وأكيد أن هناك دورا كبيرا لأمه الفاضلة[3] التي زرعت فيه الأخلاق النبيلة، وهذا غاية ما يتمناه كل والدَين لأبنائهم، الاستقامة والصلاح وخدمة المجتمع.

2/ صفاته وأخلاقه:

كان رحمه الله مثالا للجد والمحافظة على الوقت والإخلاص

---

1 -محمد ناصر: مرجع سابق، ص29-30.

2 - دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص96.

3 - ورث عنها الحزم حتى في مشيته وسيره وكان يدعو طلبته إليها . أنظر: دبوز: نفسه، ص45.

في العمل، ممتازا بالبراعة وطول النفس[1]، حازما في الأمور كلها، فصيح اللسان، ذو عزيمة فولاذية، لا ييأس ولا يستسلم [2]، أي هي إجمالا العلم والوقار والخلق الرفيع، كما يصف بها الدكتور إبراهيم بحاز الأستاذ الجامعي[3]، وقد اجتمعت في شخص الشيخ محمد علي دبوز، ومن جهة أخرى كان خفيف الروح دائم الابتسام، يعشق النكتة الظريفة[4]، تلك إذن هي أهم الصفات الأخلاقية التي اتصف بها الشيخ رحمه الله، والتي يتوجب على كل أستاذ أن يتحلى بها حتى يظهر أثرها في الناشئة.

تخرج على يدي الشيخ محمد علي دبوز أفواج عديدة من الطلبة، والذين أصبحوا أعضاء عاملين سدوا ثغورا علمية وعملية، دينية ودنيوية في المجتمع المزابي والجزائري عامة، وحتى خارج الوطن، يحملون معهم صفاته وأخلاقه أينما حلوا وحيثما ارتحلوا، فأناروا بفضل بصمته زوايا كانت مظلمة في مختلف المجالات.

3/ الأسلوب المتبع في عهده للتدريس:

للإجابة عن السؤال يجمل بنا أن نعرج على الأسلوب السائد المعتمد في التدريس في العقد الخمسين والستين والسبعين تقريبا من

---

[1]- دبوز: أعلام الإصلاح، مرجع سابق، ج5، ص7.

[2]- محمد ناصر: مرجع سابق، ص14.

[3]- إبراهيم بحاز: الأستاذ العنصر المهم في عملية التدريس الجامعي، دورية الحياة، ع18، جويلية 2014، المطبعة العربية، غرداية، ص168.

[4]- محمد ناصر: مرجع سابق، ص21.

القرن الماضي، ونقارنه بالأساليب المتبعة اليوم في مختلف الأطوار التعليمية ابتدائي ومتوسط وثانوي، فقد تغيرت الطرق والمناهج والأساليب كثيرا باعتماد طرق حديثة أغلبها مستورد من الغرب، ولكل منهج عيوبه ومزاياه، فالفترة الماضية قد تميز التعليم فيها بـ: "الأسلوب العلمي الجاف الذي يقدم المعلومات في قوالب حجرية جامدة، لا تستثير عاطفة ولا تحرك إحساسا، أو هي تستطرد في متاهات من التفاصيل التي تشوش الذهن، وتنأى عن الحقائق إلى جزئيات هامشية لا غناء وراءها"[1]، أي الذي كان يعتمد على عنصرين هما المعلم أي الملقن، والطالب أي المتلقي للمعلومة، مع ما في ذلك من حشو للأفكار والمعارف، وما على الطالب سوى حفظها واسترجاعها عند الامتحان، وهنا لسنا بصدد ذكر عيوب ومزايا تلك الأساليب، إنما للتعريف بها، ووضع القارئ على الصورة السائدة آنئذ.

تلكم إذن طريقة التدريس المعروفة والتي كان أغلب الأساتذة يسيرون وفقها، والتي جعلت الكثير من الطلاب يحفظون الكثير من المتون والشعر وقواعد النحو وغيرها، "وهو يجسد بأسلوبه ذاك مرحلة من مراحل التعليم في الجزائر إن لم نقل في الوطن العربي، حين كانت المواد الأدبية الكلاسيكية طاغية على مناهج التعليم، وحين كانت الأساليب التي ينسج على منوالها الطلاب، هي أساليب العصر العباسي من أمثال الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب

[1] -دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص42-43، محمد ناصر: مرجع سابق، ص17.

وأضرابهم، أو هم يترصدون خطوات العمالقة من العصر الحديث مثل: الرافعي والزيات وزكي مبارك"[1].

ولاشك أن السنوات الخمس التي قضاها في مدرجات جامعة القاهرة مع نخبة من أساتذتها، قد أثرت فيه أيما تأثير، ونقل طريقة تدريسهم إلى المعهد، وهي أسلوب المحاضرة ورآها الأنسب في البداية[2]، لكن ما لبث أن استحدث لنفسه طريقة وأسلوبا جديدا، رآه الأجدى نفعا لطلابه بمختلف مستوياتهم.

4/ أسلوبه و قواعده في التدريس:

أكد الشيخ محمد علي دبوز على أن التاريخ يجب أن لا يقتصر على السرد والحكاية ومجرد الاطلاع، بل يجب أن نتبع فيه طريقة مجدية، ونختار له نهجا قويما، ونبتكر منهاجا صحيحا، حين نقدمه إلى الناشئة بخاصة، ليكون لهم عامل اجتذاب بدل أن يكون عامل نفور[3]، وكان يفضل انتقاء الصور الجميلة من تاريخنا نظرا لمستوى أعمار التلاميذ ومداركهم ومدارج تربيتهم، ولا بأس من ذكر هفوات الأجداد ليتجنبها الأحفاد[4].

---

[1] -محمد ناصر:نفسه، ص36.

[2] -يقول تلميذه الدكتور محمد ناصر بوحجام: هي الطريقة التي كان يدرسنا بها في معهد الحياة، كان يقدم لنا دروسه على شكل محاضرات. انظر: محمد ناصر بوحجام: مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، جمعية التراث، القرارة، ط1، 2011، هامش ص59.

[3] -بوحجام: نفسه، ص57.

[4] - محمد ناصر: مرجع سابق، ص35.

لذلك فقد أوجد لنفسه منهجا فريدا لتقديم المادة التاريخية لطلابه، إذ صار يقدّمها على شكل "خلاصات مركزة بأسلوب أدبي رائق، يزيد للتاريخ وضوحا، ويضفي عليه رونقا ويكسبه طلاوة تحببه إلى النفوس، وبروح مؤثرة تجعله ذا آثار بالغة في النفس"[1]، وتكون تلك الخلاصات بعد كل محاضرة يكتب نصوصها، واستمرت تلك الخلاصات إلى آخر الدروس، فتكوّن منها كتاب هو الذي أقره المعهد في تاريخ المغرب العربي[2].

كان يهتم الاهتمام البالغ بتحضير دروسه مسبقا، ويرى هذا أمرا ضروريا أكيدا عليه[3]، ويقوم بتهيئة الخلاصات التي يمليها على تلاميذه، والتمارين التي يختبر معلومات الدرس السابق، ودائما كان يسبق تلاميذه إلى الفصل (القسم)، يقوم بتهيئته وتعطيره بالبخور وفتح النوافذ، وما إن يصل تلاميذه حتى يجدوه في أتم الاستعداد لهم، وكان يبكّر إلى المعهد أيضا بوقت طويل قبل الموعد الدراسي حتى يرسم الخريطة التاريخية على السبورة، ويبين معالمها بالألوان الزاهية، كما كان يرسمها في إطارات كبيرة، ويعلّقها لوقت الحاجة في جدران قسمه، ومازالت باقية تدل على مجهوداته فيها، "فخارطة الحائط تبقى جمة الفائدة إذا ما استخدمت لدى العمل الجماعي للتلاميذ"، "إذ تشكل الخارطة أهم وسيلة معينة في درس التاريخ سواء منها أكانت

[1] -دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص43، محمد ناصر: مرجع سابق، ص17.

[2] -دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص43.

[3] - إبراهيم بحاز: مرجع سابق، ص168 وما بعدها.

تاريخية أم جغرافية، إذ هناك صلة وثيقة بين المناطق الجغرافية والحوادث التاريخية، فالعناصر الجغرافية لمنطقة ما، من هضاب ووديان وسهول وأنهار تؤثر في تاريخ هذه المنطقة، سواء أكنا بصدد دراسة الحوادث السياسية أو الاجتماعية أو العسكرية التي كانت المنطقة مهدا لها"[1]، وكم كان يضنيه هذا العمل الشاق إذ ليس بالأمر الهين، ولم تكن الخرائط متوفرة في الأربعينيات من القرن الماضي[2].

كان الأستاذ يستعمل الوسائل البيداغوجية المتاحة للشرح، والتي كانت من صنع يديه، إذ كان يؤمن بأن الصورة والخريطة من أهم الطرق التي بها تترسخ المعلومة في ذهن التلميذ، وكان صائبا كل الصواب في ذلك، فلا يمكن تدريس التاريخ بأحداثه وأزمنته دون وسيلة إيضاحية، وإن كانت اليوم قد تعددت وتنوعت، فلو كانت متاحة بين يديه لما توان في استعمالها، تعميما للفائدة، وإيصالا للفكرة المراد تبليغها لتلاميذه.

كانت شخصيته المرحة تضفي على فصله روح الدعابة والفذلكة بين الفينة والأخرى، وتكون محطات استجمام لنفوس التلاميذ من كد الانكباب ووصب الجد، مما يدفع بهم للشوق إلى ساعاته الدراسية التي كانت أحلى أوقاتهم وأمتعها في نفوسهم[3]، وذلك أمر ضروري للتلاميذ والأستاذ على حد سواء، خاصة إذا كانت الحصة متأخرة

---

[1]- ناديا شبيب: طرق تدريس التاريخ، ص24.

[2] -دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص49.

[3] - دبوز: نفسه، ص44.

زمنيا صباحا أو عشية، فالتلميذ يفقد التركيز والمتابعة بعد حوالي 20 دقيقة من بداية الحصة، لذلك لابد له من وقت مستقطع لتجديد النفس من جديد.

يلجأ الأستاذ محمد دبوز أحيانا إلى العقاب البدني، إذا تحتم الأمر وكان ضروريا، لكنه نادر الحدوث، إذ يستعمل العقاب النفسي بدلا منه عن طريق تشابيهه القارصة اللاذعة، وهو العقاب الأنجع لديه، حيث يشعر التلميذ بمرارة ما اقترفت يداه من جرم، حين يصوره له أستاذه في صورة بيانية حسية قبيحة، فيستيقظ ضميره من غفوته ليجبر فيما قصّر[1]، ولتكون عبرة لزملائه، تلك الطريقة السائدة عهده وإلى وقت متأخر من تسعينيات القرن العشرين للميلاد، أما اليوم فقد تم مُنع العقاب البدني، ولجأ الأساتذة بدل ذلك إلى التقويم المستمر واحتساب نقطة السلوك والانضباط، لكن هل سيغير ذلك من تصرف التلميذ المشاغب شيئا؟ وأيهما الأكثر نفعا في الجانب التربوي والأخلاقي للتلميذ، أهو العقاب البدني واللفظي، أم نقطة التقويم المستمر، أم هناك حلولا أخرى؟.

كان يدعو إلى تصحيح طريقة تقديم مادة التاريخ للطلاب، من مادة جافة إنصاتية إلى مادة مثيرة لانتباه الطلاب، تشاركية بينهم وبين المعلم، لذلك يرى الأستاذ محمد دبوز في مدرس التاريخ جملة

[1] - دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص47.

من المواصفات والقواعد[1] يجب أن تتوفر فيه، قام بتلخيصها الدكتور محمد ناصر بوحجام فيما يلي :

- أن يلقي دروسه التاريخية بتحليل علمي وروح خطابية وفي أسلوب طليّ.
- أن يتمتع بشخصية قوية، يكون لها التأثير الكبير في النشء، حين يقدم لهم الحقائق التاريخية.
- أن ينبع التاريخ من أعماقه متأججا بوجدانه، متشبعا بفلسفته، حتى لا يقتل هذا التاريخ حين يقدمه، وحتى لا يكون أخبارا باردة، وأنباء قديمة يحكيها.
- يجب أن يأتي بدروسه ومقرراته في رأسه، لا في كراسه.
- يجب أن يتحمس المدرس المربي للفضيلة في تاريخ العظماء ولكل الأشياء الحسنة، كما يجب أن يظهر مقته للرذيلة ولكل الأشياء السيئة.
- يجب أن لا يسند التاريخ لمن كانت شخصيته علمية محضة، فإنه يقتله، ولا تجدي معلوماته الغزيرة فيه، وذاكرته المحشوة بمادته.
- يجب أن لا يسند تدريس التاريخ إلا للفصحاء الذين وهبهم الله اقتدارا في التعبير، وكانت الشخصية الخطابية فيهم قوية[2].
- يجب أن نكون نزهاء أمناء في التاريخ، لا نتعصب ولا نقلد، وأن

---

[1] -دبوز: تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج2، ص23-24، دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص48-49.

[2] -بوحجام: مرجع سابق، ص57-58.

ننظر بعقولنا ونبحث بحثا منطقيا خالصا لا توجهنا فيه العواطف الموروثة، ونعتمد في أحكامنا على الأدلة القوية والبراهين الساطعة والنصوص الصحيحة[1].

تلك إذن جملة من القواعد العامة في طريقة تدريس التاريخ، قدمها الأستاذ محمد دبوز للمربين، تنفعهم في أداء رسالتهم التربوية، فهي تكشف عن تجربة طويلة في الميدان، وتفهّم عميق لعمل المربي الذي يتوخى السبل القويمة والطرق الناجحة في التربية والتعليم[2].

والقارئ لتلك المواصفات يمكن أن يجعل منها قانونا أخلاقيا، فيما يدعى اليوم بأخلاقيات المهنة، وهي ذات مستوى عال، تليق بأن يتحلى بها أساتذة الجامعات أمام طلبتهم حتى يكونوا قدوة لهم، كيف لا واليوم نسمع عن بعض الانحرافات الأخلاقية في الجامعة يرتكبها الأساتذة والعمداء وغيرهم من الموظفين فيها فضلا عن الطلبة، بسبب غياب الوازع الديني والضمير المهني، وغلبة العاطفة والمحسوبية وغيرها على أمورهم.

إضافة إلى المواصفات السابقة هناك أيضا مبادئ يراها الأستاذ محمد دبوز يجب توفرها في المربي عامة، فهو يرى إليه من خلال المفهوم الإسلامي الذي ينظر إلى دور المعلم الذي يسمو إلى درجة تقربه من دور الرسل، ولا ينظر إلى تدريس المادة من خلال المفاهيم

---

[1] -محمد ناصر: مرجع سابق، ص35.

[2] -بوحجام: مرجع سابق، ص60.

الغربية التي أغرقنا بها المستشرقون والمتمغربون ومن تلك الأوصاف[1]:

- حب المادة العلمية والغرام بها، مما يؤدي إلى التفاني فيها[2].
- إبراز الفوائد العظيمة التي يجنيها الطالب من المادة بتبيان الهدف من دراستها.
- تقديم المعلومات التاريخية في أسلوب أدبي يستحوذ على اهتمام النفس ويتحاشى الأسلوب العلمي الجاف[3].
- الاقتناع التام بما يقوله لتلاميذه والانفعال القوي مع دروسه أثناء العرض والتحليل[4].

وكل تلك القواعد والطرق والأساليب لا يمكن تحقيقها إلا إن اتصف المعلم المربي بجملة من الفضائل كان يتحلى بها الأستاذ محمد دبوز، ويدعو إليها تلاميذه وزملاءه في الميدان، منذ أن كان طالبا في مقاعد الدراسة بالجامعة، ومن بين تلك الفضائل:[5]

- **الصفاء**: صفاء الطوية من كل الأحقاد وأدران النفس، وسلامة القلب.
- الحزم: ويراه من مقومات نجاح التلميذ في حياته العلمية والعملية.
- **الانضباط في الوقت**: استطاع الأستاذ محمد دبوز أن يدرّس كل

---

[1] -محمد ناصر: مرجع سابق، ص32.

[2] -محمد ناصر: نفسه، ص32.

[3] - دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص43-44.

[4] -محمد ناصر: نفسه، ص32.

[5] - دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص44-46.

هذه المواد الأدبية والاجتماعية والإنسانية لكافة الطلبة وفي مختلف المستويات مع ما يلزمها من تحضير يومي وأسبوعي، فضلا عن الالتزامات الأخرى، بانضباطه ونظامه اليومي.

- **استغلال وقت السحر للتحصيل والكتابة**: ويرى أنه أحسن فرصة للذهن ينشط فيه حيث يكون هادئا مستريحا، مستعدا كل الاستعداد لتخزين المعلومات وللكتابة واختراع الأفكار الجديدة[1].
- **النظافة**: نظافة الملبس مع الاعتناء بالرائحة الطيبة للجسم.
- **المطالعة**: وكثيرا ما كان يوصي زملاءه –أيام الجامعة– على مصاحبة أمهات الكتب، ومراقبة النفس في العمل الجدي المفيد[2].

مواصفات وأخلاق سامية اتصف بها ويدعو الأساتذة والمربين، وكل إنسان غيور على العلم ونشره أن يتحلى بها، مصدرها الأول والداه اللذان ربياه على أخلاق القرآن، وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين، ثم شيوخه الذين زاول على أيديهم دراسته الأولى أيام الشباب، والمجتمع أو البيئة النقية الصافية التي ترعرع فيها وبين أحضانها، والتي استلهمها أيضا من تجربته مذ أن كان طالبا في مقاعد الجامعة مع أساتذته وأقرانه.

5/ أثر أسلوب تدريسه على التلاميذ:

---

[1] –له في الانضباط واستغلال الوقت مواقف ذكرها الدكتور محمد ناصر. انظر: دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص46.

[2] –"تعلمنا منه ذلك الشعار الذي مازال يدوي في أنحاء النفس: عليكم بالفرس الأدهم. وهو يعني المطالعة والكتابة والعمل الجدي في السحر. انظر: محمد ناصر: مرجع سابق، ص20.

أكيد أن أسلوب التدريس والمنهج المعتمد لدى الأستاذ محمد دبوز، فضلا عن الفضائل التي اتصف بها ودعا إليها تلاميذه وأقرانه، قد تركت بصمتها وأثرت فيهم وفي حياتهم، فجعلوها نبراسا في تعليمهم وتعلمهم في مقاعد الدراسة وفي حياتهم اليومية.

فطريقة الخلاصات التي سلكها لم يعهدها التلاميذ من قبل، لذلك قد وجدت بينهم إقبالا وصدى عظيما ورغبتهم فيها قوية، لأنهم اكتشفوا منهجا جديدا لم يألفوه في الأساتذة، وكان انتشاؤهم بدراستها ورغبتهم فيها وتأثرهم بها أكثر مما كان ينتظر، وأبلغ مما رجا[1]، لذلك اعتمدوها في مراجعاتهم اليومية، وتحضيراتهم الأسبوعية والفصلية قبل الامتحانات، وهي طريقة تجعل المتعلم يلخص كل دروسه، في قصاصات يسهل عليه مراجعتها وحفظها، إما بطريقة فردية أو جماعية، ويمكن هنا أن نجري ما يسمى باستبيان بسيط لنرى مدى نجاعة تلك الطريقة في تعلم التلاميذ، أمام الطرق الأخرى المتبعة، فالنتيجة المؤكدة هي أن أغلبهم سيفضلها على غيرها من الطرق.

6/ الطرق الحديثة في التدريس:

قبل أن نأتي إلى تبيان ايجابيات وسلبيات الأستاذ محمد دبوز في منهجه وأسلوبه التدريسي، نذكر بعضا من الطرق الحديثة المنتهجة في التدريس، وأغلبها مستوحى من نظريات غربية محضة، وضعها مختصون في التربية، ويرون أنها هي الأنسب في تقديم المعلومة

[1]- دبوز: نهضة، مرجع سابق، ج1، ص43، محمد ناصر: مرجع سابق، ص17.

للتلميذ والتقرب منه، والإجابة عن إشكالاته التعليمية والتعلمية، وتبقى كلها عبارة عن اجتهادات وحوصلة لخبرات وتجارب سابقة، قد طبقت على العديد من طلبة المدارس في مختلف المستويات الدراسية، لكن الأستاذ محمد دبوز لم يرد اللجوء إليها، بما أنه وجد في الإسلام منهجا يغنيه عنها، مع أن منهجه وأسلوبه في التدريس قد تشابه إلى حد كبير مع تلك الطرق المستحدثة، والتي استخدمت في الجزائر منذ الأربعينيات إلا في بعض التفاصيل التي انفرد بها، ومن تلك الطرق:

أ-المقاربة بالأهداف:

وتقوم على تحديد مجموعة من الأهداف حول المعارف والمهارات التي ينبغي تعليمها من قبل المعلم وحفظها واكتسابها من قبل الطالب ومن ثم تقويمها أي أن المعلم هو محور العملية التعليمية التعلمية، وهذا النظام لا يتطلب من التلميذ سوى حفظ الدروس، وتهيئة نفسه لتلقي السؤال والإجابة عليه[1]، ولا تترك مجالا للتلميذ كي يعمل عقله أي أن يفكر أو يبدع أو يحلل أو يناقش المعلومة، مهما كان مصدرها، والمطلوب منه في الامتحانات أن يرد للمعلم بضاعته التي أخذها منه فحسب.

وهي من أوسع الطرق وأكثرها انتشارا في الجامعات، خاصة في المحاضرات، إذ المحاضر يقف ساعات طويلة أمام طلبته،

[1]- نادبا شبيب: مرجع سابق، ص23.

مخاطبا، شارحا، رافعا صوته أحيانا ومخفضا أحيانا أخرى، لا ينتظر من الطالب انتباها أو تركيزا، همه الإملاء الممل وإنهاء محاضرته، مما يصيب الطلبة بالملل والتعب وعدم تدوين المعلومات التاريخية والتواريخ الأساسية بسبب سرعة الإلقاء أو ضعف الصوت، أو أسباب أخرى.

نجد الأستاذ محمد دبوز قد استخدمها بشكل واسع –كما ذكرنا- متأثرا بأساتذته في الجامعة، وهي طريقة المحاضرة، التي تعتمد على الأستاذ كدور محوري وأساسي في العملية التربوية، إيمانا منه بأن هناك جملة من الأحداث التاريخية وتواريخ هامة يجب أن يتلقاها الطالب، ويقوم بتسجيلها على السبورة أو توضيحها من خلال خارطته، فالعلم صيد والكتابة قيده.

ب-المقاربة بالكفاءات:

تعتمد على مقاربة منهجية تجعل من المتعلم أي التلميذ محور العملية التعلمية، فهي تساهم في بناء كفاءات معينة، ويستثمرها في وضعيات إشكالية تواجهه، وذلك من أجل إبعاد الملل عنهم وتثبيت المادة في أذهانهم وتعليمهم كيف يفكرون[1]، يعني إشراك التلميذ في عملية التحضير للدرس، والمشاركة في تقديمه أثناء الحصة عنصرا بعد عنصر من خلال سندات مقدمة من مختلف المصادر، والوصول في النهاية إلى نتيجة أو خلاصة يستخلصها التلميذ من تلك الوضعية

[1]- ناديا شبيب: مرجع سابق، ص23.

التعلمية، وإيجاد حل للإشكالية، وقد تكون هذه الطريقة ايجابية أكثر من سابقتها، لكن من الممكن أنها ستأخذ وقتا أطول بكثير من سابقتها، وتجعل فئة قليلة من التلاميذ يهتمون ويشاركون في العملية من الإشكالية إلى نهاية الحل، بينما الأغلبية منهم قد يتوقف في جزئية من الجزئيات المستعصية.

في هذه الطريقة نجد الأستاذ محمد دبوز يدعو إلى استثارة عقل التلميذ وتنشيطه لا إلى تعطيله [1]، إذ يشعرهم بأنه صديق لهم أكثر من كونه مسؤولا عنهم، وذلك لزرع الثقة بالنفس لدى طلبته، وثقتهم أيضا بأستاذهم، إذ كان يهتم بأمورهم الخاصة.

7/ نقده في طريقته:

لا يمكن القول أنه نقد بأتم معنى الكلمة، فهو يستلزم تحليلا معمقا مع ذكر الايجابيات والسلبيات معا، مع دراسة ظروف تلك المرحلة والأوضاع العامة، الاجتماعية والتعليمية التي من المؤكد لها تأثير في ذلك، وأنّى لأستاذ مبتدئ متربص أن يذكر عيوب شيخ له في المهنة زهاء الثلاثين سنة، إنما هي مجرد ملاحظات مجموعة من معاصريه من الأساتذة وكبار التلاميذ الذين تخرجوا على يديه، ويزاولون اليوم مهنة التدريس.

إذا قمنا بإسقاط أسلوب ومنهج الأستاذ محمد دبوز على معايير التدريس والتعليم اليوم، قد نجدها تتوافق معها إلى ابعد

[1] - بوحجام: مرجع سابق، ص59.

الحدود، وقد تكون طريقة المحاضرة والخطابة هي الطريقة الأنسب التي رأى الأستاذ محمد دبوز نهجها لإيصال المعلومة التاريخية لطلابه، وتوظيفها يستلزم جملة من الشروط لدى المعلم والطلاب على حد سواء، فطول النفس والتحضير الجيد واللغة السليمة، والصوت الجهوري من أهم ما يجب أن يتحلى به المعلم، كما أن الإصغاء والاهتمام وطرح الأسئلة، والتركيز الجيد وتدوين الأفكار من جانب الطلبة حتى يتحقق المطلوب.

وبحكم تكوين شخصية الأستاذ محمد دبوز في فن الخطابة نجد هذا الأسلوب طاغيا على الأساليب الأخرى لديه في التدريس وقد يكون المفضل لديه، إذ "ما يمكن أن نلحظه من أسلوب يطغى عليه الخيال الشعري والمبالغة العاطفية أحيانا، فإن هذا الأسلوب هو جزء من شخصية الشيخ محمد علي"[1]، كيف لا وهو الذي حضر محاضرات كبار الأدباء المصريين أيام الجامعة من أمثال: محمد عطية الأبراشي، وأنور الجندي وندواتهم الفكرية، وقد تشبع بأفكارهم وأسلوبهم ومنهجهم، وقبل ذلك لا ننسى أنه خريج معهد الحياة، أي أنه كان تلميذا للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، والشيخ سعيد شريفي(الشيخ عدون) وأمثالهم، من أقطاب الإصلاح ورجالاته[2] في التدريس والوعظ والإرشاد، والتفسير وسائر الفنون، الذين نهل من

[1]- محمد ناصر: مرجع سابق،ص 36.

[2] -مجموعة مؤلفين: معجم، مرجع سابق، مج4، تر840، ص812.

علمهم وأسلوبهم التعليمي والدعوي، ومؤكد أن التلميذ محمد دبوز قد تأثر كثيرا بهم.

أما الذين تحدثوا في أسلوبه ومنهجه فمنهم تلميذه محمد ناصر بوحجام الذي يتحدث عنها قائلا: "هي الطريقة التي كان يدرّسنا بها التاريخ في معهد الحياة، كان يقدم لنا دروسه على شكل محاضرات، ليس لنا في دروسه، أي جهد يذكر، نبذله لنعمل عقولنا فيه، وفي التاريخ المقدم لنا"[1].

ويرى الدكتور محمد ناصر بوحجام أن الطريقة المثلى هي: "التي تقوم على إثارة التلاميذ وتحفيزهم على العمل، وبذل الجهد، وتقوم على النشاط الايجابي من التلاميذ، والتوجيه والقيادة والإشراف من المدرس، وتسمح بالتعاون والعمل الجماعي على أسس ديمقراطية، ولا تهمل في نفس الوقت العمل الفردي الاستقلالي، وتشجع التفكير المستقل والحكم المستقل من التلاميذ"[2].

إذ أن التاريخ الذي يقدم للنشء بروح خطابية، يُخشى منه أن يسرف المربي أو المدرس في هذه الخطابية، فيهمل دور المتلقي أو التلميذ في درس التاريخ، فيكون الجهد مبذولا من جهة واحدة، وهي جهة المعلم، بينما طرف التلميذ يبقى سلبيا، يغرق في الاستماع، وينشأ على السلبية في النشاط، وعلى التسليم بما يقدم له، فيتعطل

---

[1] -بوحجام: مرجع سابق، الهامش ص59.

[2] -بوحجام: نفسه، هامش ص59،60 نقلا عن: الدكتور جعفر سعادة، دور القراءات الخارجية في تدريس التاريخ، ص68،69

عقله أو تفكيره[1].

ومن جهة أخرى يدافع الدكتور محمد صالح ناصر عن الأستاذ محمد دبوز ونظريته إذ يقول: "وما من شك في أن الكثير من أساتذة التاريخ اليوم قد يختلفون مع الشيخ في هذه النظرية، ولاسيما أولئك الذين يؤمنون بمناهج الغرب فيما يسمى بالموضوعية، والحياد العلمي، والبحث النزيه وما أشبهه..والواقع أن الشيخ دبوز يوضح نظريته هذه وهو يتحدث عن دور المربي من خلال المفهوم الإسلامي...ولا ينظر إلى تدريس المادة من خلال المفاهيم الغربية"[2].

خاتمة:

بعد الاطلاع على جانب من حياة الشيخ محمد علي دبوز التعلمية والتعليمية، وأسلوب الشيخ محمد علي دبوز ومنهجه في التدريس، وإسقاط جهوده على الطرق الحديثة المتبعة، وسرد ما كتبه بعض من تلاميذه عنه وما كتبه ناقدوه عنه، يمكن الوصول إلى بعض الحقائق المهمة التي يمكن لأي أستاذ في أية مرحلة من مراحل التعليم أن يسير وفقها وعلى منهجها، وسيجني ثمرات عمله عاجلا أم آجلا، منها أن:

-البيئة والزمن اللذان عاش فيهما الشيخ محمد علي دبوز لم يكن من السهل بمكان تغيير الطرق والمناهج فيها نظرا لأسلوب تعليمي متوارث أبا عن جد، ومن الصعب استبداله بطرق ومناهج جديدة نظرا

[1] -بوحجام: مرجع سابق، ص59.

[2] -محمد ناصر: مرجع سابق، ص32.

للمستوى التعليمي العام في المجتمع.

-استطاع الشيخ أن يكتسب مهارات عدة بعد تمدرسه في المراحل التعليمية بالقرارة، ودراسته الجامعية بتونس والقاهرة التي أكسبته خبرة كبيرة في ميدان التعليم، لم تكن موجودة لدى أقرانه من الأساتذة في عصره.

-استطاع أن يجمع بين عديد الطرق التي يراها مناسبة في كل مرحلة من مراحل التعليم، فهو بطرقه تلك أستاذ بالمتوسط والثانوي، وحتى الجامعة.

-استحسن الأساتذة والطلبة طريقة الخلاصات التي لم تكن معهودة في زمانه ولا قبلها، واتخذوها طريقة للدراسة، لما لها من مزايا عديدة في الحفظ والمراجعة.

-لم يكن مهتما بالطرق الغربية في التدريس، وإنما حاول جاهدا أن يتخذ المنهج الإسلامي كأسلوب رآه يغني عن أي منهج آخر دخيل.

-ضرب لنا المثل الأعلى في الصفات الأخلاقية والتربوية الأساسية التي يجب أن يتحلى بها الأستاذ والتلميذ على حد سواء، من خلال جملة الآداب والأخلاق التي وصفه بها أقرانه وتلاميذه، ونصحنا بها في كتبه.

-كان يحضّر دروسه بعناية قبل عرضها أمام تلاميذه، مستخدما في ذلك كل الوسائل المتاحة، رغم نقصها في عهده.

-يضرب المثل بالواقع –فهو ابن بيئته- الذي تعيشه الجزائر في ظل الاستعمار والأمة الإسلامية، عند سرده لأي حادثة تاريخية، وذلك من أجل استخلاص العبر والفوائد.

-ألف كتابا في تاريخ المغرب العربي، وهو معتمد معهد الحياة وهي رسالة لكل أستاذ أن يكون مرجعا لتلاميذه من خلال مؤلفاته، لا أن يعتمد على كتابات غيره فحسب.

- تدريسه لمواد أخرى إضافة إلى التاريخ هي إشارة لكل أستاذ أن يتبحر في مختلف العلوم والفنون ليوسع مداركه ومعلوماته، وينمي قدراته، فالمعلم عليه أن يكون ذا بضاعة علمية، يستطيع بها إجابة طلابه، وذلك بالمطالعة المستمرة، لمختلف التخصصات العلمية، والشرعية وغيرها ولكل ما هو جديد، إذ كل المواد تساعد وتكمل بعضها البعض.

هي غيض من فيض وقطرة من بحر، فالجوانب عديدة تلك التي يمكن استخلاصها من سيرة شيخنا محمد علي دبوز، والتي يمكن جعلها نبراسا في حياتنا ناهيك عن مؤلفاته وعلاقاته الاجتماعية مع المشايخ والطلبة داخل الوطن وخارجه.

وتاريخ سيرته من الأهمية بمكان البحث فيها، إذ الدراسات والبحوث الأكاديمية فيها قليلة وإن لم تكن نادرة، ومنه ندعو الطلبة والباحثين ومخابر البحث إلى اتخاذها بحوثا في مختلف مراحل دراستهم الجامعية في التدرج وما بعده، وحتى مناقشتها في الملتقيات الوطنية والدولية وترجمتها إلى اللغة الانجليزية وغيرها، لنولي لها الأهمية القصوى فتاريخ الرجال وسيرهم والترجمة لهم- كما اهتم به بنفسه ودوما كان يدعو إليه- يجعل الناشئة والأجيال تتأسى وتقتدي

بالأخيار من المشايخ والعلماء خلفا عن سلف.

المصادر والمراجع المعتمدة:

- محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، حياته وآثاره**، 3أجزاء، عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر.

- محمد علي دبوز: **أعلام الاصلاح في الجزائر من عام 1921م إلى عام 1975م**، 5أجزاء، عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر.

- محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، 3أجزاء،عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر

-محمد ناصر: **محمد علي دبوز والمنهج الاسلامي لكتابة التاريخ**، نشر مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، 1989، بريان، غرداية

-محمد ناصر بوحجام: **مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز**، نشر جمعية التراث، ط1، 2011، القرارة.

- مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الاباضية (منذ القرن 1هـ إلى 15هـ) قسم المغرب**، 4 مجلدات، جمعية التراث،1999، القرارة،

- ابراهيم بحاز: **الاستاذ العنصر المهم في عملية التدريس الجامعي**، دورية الحياة، ع18، جويلية 2014، المطبعة العربية، غرداية .

-ناديا شبيب: **طرق تدريس التاريخ**

تقييم الأداء التدريسي للأستاذ محمد علي دبوز
من وجهة نظر طلبته بمعهد الحياة

أ. بوسنان بكير
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
أ. الواهج ربيع
جامعة عمار ثليجي - الأغواط

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقييم أداء الأستاذ محمد علي دبوز في التدريس من وجهة نظر طلبته من مختلف الدفعات التي تخرجت على يديه بمعهد الحياة، والتعرف على أهم الأساليب التربوية والبيداغوجية والمهارات التواصلية التي كان يستعملها في التدريس، من خلال إجراء دراسة استكشافية وتوزيع استبانة تقييمية تشمل خمس مجالات هي: مجال الممارسات المتعلقة بالأهداف، والممارسات المتعلقة بالأبحاث العلمية - التاريخية -، والممارسات المتعلقة بطرائق التدريس، والممارسات المتعلقة بالمدرس، والممارسات المتعلقة بالتقويم.

الكلمات المفتاحية: التقييم والتقويم – محمد علي دبوز- أسلوب التدريس - الأداء التدريسي

مخطط الفصل النظري:

تمهيد:

1- أساليب التدريس -تعريفها، الحاجة إليها، شروط استخدامها.

2- أساليب تدريس مادة التاريخ.

3- كفايات المدرس الفعال.

4- تقويم الأداء التدريسي للمعلم.

خلاصة.

تمهيد:

يعد التقويم أحد الجوانب الرئيسية في عملية التدريس، إذ يتم من خلاله الحكم على مدى تحقيق نتاجات التعلم لدى المتعلمين ومدى فعالية أساليب وإجراءات التدريس المستخدمة، كما يوفر للمعلمين بيانات ومعلومات كمية ونوعية تمكن من إصدار الحكم على مدى نجاح عملية التدريس في تحقيقها للغايات والأهداف المرجوة، وبالتالي إصدار القرارات المناسبة التي تهدف إلى تحسين عملية التعليم وجودة الأداء.

1- أساليب التدريس -تعريفها، الحاجة إليها، شروط استخدامها:

1-1- تعريفها:

تعريف سعيد خليل (1995): أسلوب التدريس يعني شكلا مميزا في تنفيذ الدرس، يتخذه المعلم كوسيلة لتعليم المتعلمين، فقد يتبنى المعلم أسلوبا واحدا أو أكثر، وقد يفرض الموضوع المطلوب تعليمه أو المراحل العمرية استخدام أسلوب خاص يسهل وصول المعلومات. (إدير، 2012، ص 22)

تعريف أمجد قاسم (2013): " أسلوب التدريس هو الكيفية التي يتناول بها المعلم طريقة التدريس أثناء قيامه بعملية التدريس، أو هو الأسلوب الذي يتبعه المعلم في تنفيذ طريقة التدريس بورة تميزه عن غيره من المعلمين الذين يستخدمون نفس الطريقة، ومن ثم يرتبط بصورة أساسية بالخصائص الشخصية للمعلم، ومفاد ذلك أن أسلوب التدريس قد يختلف من معلم إلى معلم آخر على الرغم من استخدامهم لنفس الطريقة." (http://al3loom.com)

1-2- الحاجة إلى نماذج تدريس حديثة:

لقد دعت الحاجة إلى ابتكار نماذج تدريس حديثة وذلك للأسباب التالية:

أولا: عدم كفاية التدريس الصفي في المدارس:

ظهرت في الآونة الأخيرة مؤشرات لتزايد الاهتمام بعدم كفاءة التدريس الصفي في المدارس، إذ أن الطلاب يطورون مفاهيم متدنية

عن أنفسهم وقدراتهم، نتيجة تكرار الفشل فيما ينبغي تعلمه، وقد أظهرت الإحصاءات أن نسبة كبيرة من تسرب الطلاب من المدارس الثانوية تزداد في مختلف المناطق في العالم ويبدو أن الطلاب قد بدأوا يتجنبون طرق التعلم، على الرغم من أهميتها التي تبدو متزايدة في التكيف مع مطالب المجتمع التكنولوجي المعاصر.
(قطامي، 2011، ص 14)

ثانيا: تزايد كلفة التعليم:

مع تزايد تكلفة التعليم، فقد تزايد الاهتمام باختيار الأساليب الأكثر فاعلية لتربية الناشئة، والتي تقدم البديل عن طرق التدريس القديمة وتحقق أقل كلفة على المدرسة.

ثالثا: حاجات الطلبة التربوية والذهنية:

هناك سبب آخر يستدعي الاهتمام بالتدريس ونماذجه والتعلم عنه، ويتركز هذا في التعرف على حاجات الطلبة التربوية والذهنية، فإذا ما استطعنا توفير نماذج أو مصادر تدريس نافعة فإن ذلك يمكن أن يتيح فرصا أمام المعلمين لتنمية جوانب مختلفة لدى الطلاب مثل: الجوانب الاجتماعية، العاطفية، والخلقية.

رابعا: تغير دور المعلم ووظيفة المدرسة:

من المحتمل أنه بتوافر نماذج تدريس مناسبة وواضحة في مخططاتها،

وأساليبها، وما توفره هذه النماذج من أساليب التعلم، فإنه بذلك يمكن أن يسهم في تغيير دور المعلم ووظيفة المدرسة.

فبدلا من أن تكون المدرسة المكان الوحيد الذي يتلقى فيه الطلاب المعرفة فإنها تصبح أحد الأماكن المتعددة المتوافرة أمام الطالب، والتي يمكن أن يرتادها، لتسهم في إثراء معرفته وإغناء ثقافته. (قطامي، نفس المرجع السابق، ص 15)

1-3- نواتج التدريس بأساليب تعلم مختلفة:

أولا الفعالية:

تقاس فعالية التدريس بمستوى تحصيل الطلاب وفق جانب من جوانب النواتج التعليمية: المعرفية، النفسحركية، العاطفية.

ومهارات الفعالية تتضمن أن يكون المعلم:

1- حساسا للمشكلة، 2- مشخصا للمشكلة، 3- خبيرا في اختيار طريقة التدريس، 4- مرنا في تعديلها.

ثانيا الكفاءة:

تقاس كفاءة التدريس بالوقت الذي يستخدم الطلاب في موقف التعلم وكلفة التدريس، فالكفاءة تعني الوصول إلى الهدف بأقل وقت وأقل جهد وتكلفة.

ثالثا: استمرار التدريس:

يقاس استمرار التدريس بمدى ميل الطلاب لمواصلة التعلم واستمراره.

1-4- شروط استخدام أساليب التدريس:

من المهم أن تحدد نماذج التدريس الشروط التي يتضمنها الموقف التدريسي فعلى سبيل المثال: إن استخدام استراتيجية محددة يمكن أن تكون مهمة لتحقيق نواتج مرغوب فيها، إذا كان الطالب متدني الدافعية، ويمكن أن تكون هذه الاستراتيجية عديمة النفع للطلاب الذين يتمتعون بدافعية عالية، ولعل أهم الشروط الموجهة في استخدام أسلوب التدريس المناسب هي:

أولا: خصائص الموضوع الدراسي.

ثانيا: الأهداف الخاصة بالدرس والمادة.
(قطامي، نفس المرجع السابق، ص 19)

ثالثا: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وخصائصهم: العقلية، العمرية، الاجتماعية، النفسية.

رابعا: استخدام التقنيات والوسائل الحديثة في التدريس.

خامسا: اختزال الوقت والجهد والتكلفة.
(عطية، 2009، ص 345)

2- أساليب تدريس مادة التاريخ:

قبل أن نتحدث عن الأساليب الحديثة في تدريس مادة التاريخ لا بأس أن نذكر أهم الشروط التي أوردها الأستاذ محمد علي دبوز عند مُدَرّسِ التاريخ، وهي كالآتي:

أولا: لكي يؤتي التاريخ ثماره ونتائجه التربوية، يجب أن تلقن دروسه بتحليل علمي، وروح خطابية في أسلوب طلبي.

ثانيا: يجب أن يتمتع المدرس بشخصية قوية، حتى يؤثر في النشء حين يقدم الحقائق التاريخية.

ثالثا: يجب أن ينبع التاريخ من أعماق الأستاذ، متأججا بوجدانه، ممتلئا بفلسفته لا من لسانه، فيكون بذلك أخبارا باردة يسردها.

رابعا: إن المربي لا يستطيع أن يحافظ على ذلك الحماس، وعلى تلك الروح المؤثرة القوية في التاريخ إلا إذا أتى بدروسه وبمحاضراته في رأسه، لا في كراسه.

خامسا: لا يسند التاريخ لمن كانت شخصيته علمية محضة، فإنه بذلك يقتله ولا تجدي معلوماته الغريزة فيه، وذاكرته المحشوة بالمعلومات. (دبوز، 1998، ص 36)

2-1- أسلوب القصة التاريخية:

يعتبر أسلوب القصة التاريخية من الأساليب المشوقة التي تستعمل في أساليب تدريس المادة التاريخية، ولعلها من أكثر النشاطات القرآئية التي يقبل عليها تلاميذ المرحلة الابتدائية والمتوسطة في أثناء وقت فراغهم.

ولأسلوب القصة التاريخية العديد من الأهداف التربوية التي تجعل الحاجة إليها ماسة لتنمية المفهوم التاريخي لدى الطلاب، ومنها:

- تنمية مهارة التفكير التاريخي لدى الطلاب.
- تنمية القدرة على الخيال والتذوق الفني.
- غرس القيم الخلقية والدينية.
- تنمية مهارة المحادثة والإلقاء.

(الشاذلي، 2014، ص 94)

وتدريس التاريخ بأسلوب القصة يمر عبر مراحل أهمها:

أولا: مرحلة التخطيط: وتعني اختيار القصة المناسبة وقراءتها قراءة متأنية متعمقة، تستهدف استيعاب أحداث القصة وشخصياتها.

ثانيا: مرحلة التنفيذ: يقوم المعلم بتقديم الدرس مستخدما القصة التاريخية عبر تمثيل المعاني بالصوت المناسب وتهيئة القسم لذلك

وذلك بتنظيم جلوس الطلاب بالشكل المناسب لعرضها عليهم.

ثالثا: مرحلة التقويم: على الرغم من أهمية هذه المرحلة فإن الكثير من المعلمين يهملون هذه المرحلة ولعلها الأهم في هذا الأسلوب إذا يقف المعلم على أثر القصة في أذهان الطلاب وشخصياتهم، وأهم الملاحظات الممكن استنتاجها وتوظيفها في مواقف الحياة المختلفة.

(الشاذلي، نفس المرجع السابق، ص 95)

2-2- أسلوب المحاضرة:

تعتبر طريقة التدريس بالمحاضرة من الطرق الشائعة في تدريس التاريخ نظرا لملاءمتها مع المادة والتي تتطلب التسلسل في عرض الأفكار والوقائع التاريخية، والمحاضرة هي عملية عرض المعلومات ونقلها من المعلم إلى المتعلم، حيث تتركز على المعلم باعتباره المحور الرئيسي فيها.

ولأسلوب المحاضرة العديد من المزايا التي تجعل منها أفضل طريقة يعتمد عليها المعلمون في تدريس المادة التاريخية ومنها أنها:

- طريقة تدريس اقتصادية.
- تسمح بعرض المادة عرضا متصلا منظما.
- طريقة مناسبة لتقديم موضوعات علمية جديدة.

-تساعد في توجيه المتعلمين إلى مصادر المعرفة.

- تستخدم في عرض المادة العلمية التي لها طابع الخيال أو المعلومة التاريخية.

وتدريس التاريخ بأسلوب المحاضرة يمر عبر مراحل أهمها:

أولا: المقدمة: لتهيئة التلاميذ نحو الموضوع المراد نقله إليهم.

ثانيا: العرض: ويشتمل على موضوع الدرس وما يحتوي من حقائق ومعارف وتجارب.

ثالثا: الربط: وتعني الربط بين أجزاء النقاط المطروحة في المحاضرة وإيجاد العلاقة بين جزئياتها.

رابعا: الخلاصة: وهي الخطوة الأخيرة في هذا الأسلوب بعد الانتهاء من تقديم المادة والتوصل إلى الاستنتاجات النهائية.

(سبيتان وخاطر، 2010، ص 89)

2-3- أسلوب التحري الاجتماعي:

يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب الحديثة في تدريس المواد الدراسية بصفة عامة والمواد الاجتماعية بصفة خاصة، وسمى بنموذج العائلة الاجتماعية، وذلك لاعتماده على التفاعل الإنساني والعلاقات الاجتماعية داخل القسم والمدرسة.

افتراضاته:

- توفير مواقف تعلم موجهة نحو الخبرة القابلة للانتقال لمواقف حياتية حقيقية.

- غرفة الصف تشبه المجتمع الكبير فلها نظامها الاجتماعي، وثقافتها، ومعاييرها وتوقعاتها.

عدم محاولة تعليم المعرفة في أي مجال أكاديمي بدون تعليم العملية الاجتماعية التي ترافقها. (Joyce, Weil , 1986, p 225)

طريقة التدريس بأسلوب التحري الاجتماعي:

أولا: تقديم مشكلة للطلاب تتضمن مواقف محيرة.

ثانيا: التعرف على ردود الأفعال تجاه الموقف وسبر أغواره.

ثالثا: تحديد المشكلة وصياغتها في صورة قابلة للعلاج والبحث، وتحديد أدوار الطلاب ومسؤولياتهم في العمل ضمن جماعة.

رابعا: رصد مدى التقدم الذي حققه الطلاب، وتحليل العمليات الذهنية المستخدمة والأنشطة الاجتماعية.

خامسا: استثارة البحث الاجتماعي، وتشجيع أنماط مختلفة من النشاط بما يسهم في تحقيق الأهداف والنواتج المرصودة.

(قطامي، 2011، ص 307)

3- كفايات المدرس الفعال:

حظي مصطلح كفايات المدرس باهتمام كبير منذ منتصف القرن العشرين وحتى عصرنا الحاضر، فقد ظهر أول برنامج لتكوين المعلمين على أساس الكفايات في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1968، وبهذا دخل مفهوم الكفاية إلى الأدب التربوي بعد أن كان معروفا في الأوساط العسكرية والصناعية، ومن المعروف أن مفهوم الكفايات ارتبط منذ ظهوره بمفهوم الإتقان الذي كان أحد العوامل لسيرورته في عدد من ميادين الحياة ومنها الميدان التربوي.

(المطلق، 2016، ص 57)

فإذا ما تبنى المعلم مدخل الكفايات في عمله، واقتنع بضرورة السعي لاكتساب كفايات جديدة تتناسب وطبيعة المادة الدراسية من جهة وطبيعة الحياة المتجددة من جهة أخرى أمكن له تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية وإظهارها على شكل أداءات ظاهرة لدى الطلبة في مراحل التعليم المتنوعة، ومن أهم الدراسات التي تناولت هذه الكفايات:

3-1- دراسة فرح سليمان المطلق (2016): خلصت إلى دراسة أهم الكفايات الأكاديمية والنفسية لدى معلمي المرحلة الثانوية من وجهة نظر الطلبة، مرتبة حسب الأهمية إلى خمسة: وهي:

1- متمكن من مادته، 2- يحترم الآخرين، 3- ذكي، 4- مخلص ومتفان، 5- محاور ومناقش. المطلق، نفس المرجع السابق، ص 47)

3-2- دراسة منيرة هارون (2013): ذكرت مجموعة من خصائص المعلم التي تنتظم في مجموعة من السمات السلوكية، وهي:

- السمات المعرفية: والتي تعني الذكاء والقدرات العقلية العامة والخاصة.

- السمات الاتجاهية: والتي تشير إلى الاتجاهات والقيم والميول نحو المادة الدراسية والتدريس بصفة عامة.

- السمات الوجدانية: أو السمات المزاجية كالاتزان الانفعالي والانبساط، والثقة بالنفس والسيطرة على المواقف.

- السمات البدنية: وهي السمات المتعلقة بالصحة البدنية العامة والقدرة على التدريس والتعبيرات الجسدية الغير لفظية، واستعمال الحواس ونغمات الصوت المختلفة حسب الموقف التعليمي.

(هارون، 2013، ص 37)

3-3- دراسة ميكاليس كوتسوليس (Michalis Koutsoulis, 2003): خلصت إلى دراسة أهم الكفايات التي لابد أن يتمتع بها المعلم، حيث قام الباحث بإحصاء 94 كفاية إلا أن أهمها كان: القدرة على إظهار التفاهم، القدرة على التواصل بفاعلية مع الطلاب، القدرة على إدارة

القسم، القدرة على خلق الدافعية والتحفيز الداخلي لدى الطلاب.

(Koutsoulis, 2003, p 01)

3-4- دراسة ويتشر وأنتوني (Witcher & Anthony,1999): خلصت إلى دراسة كفايات المعلم الفعال، وأظهرت النتائج الخصائص التالية:

1- تمحور التدريس حول الطالب،

2- الحماس للتدريس،

3- الأخلاق،

4- الإدارة الفعالة للقسم،

5- تعلم منهجية تدريس المادة،

6- المعرفة المتخصصة بالمادة الدراسية. (Witcher & Anthony, 1999, p 01)

وفي هذا المجال فإن الأستاذ محمد علي دبوز يرى أن من خصائص المعلم الفعال أن يؤمن برسالته التربوية ويحب مادته العلمية حتى يحبب لتلاميذه تلك المادة، كما يرى الأستاذ محمد دبوز أن من أسباب نجاح التلاميذ في تعلم المادة الدراسية يكمن في إبراز أهمية المادة في حياتهم العلمية والشخصية والهدف منها وماذا سيجنون منها، وأن على الأستاذ أن يقدم المعلومة في أسلوب متوافق مع المستوى الذهني التلاميذه ويتحاشى الأسلوب العلمي الجاف. (دبوز، 1998، ص 34)

4- تقويم الأداء التدريسي للمعلم:

4-1- تعريف الأداء التدريسي:

يعرفه متولي (1991) بأنه: " تنفيذ المعلم للدرس وربط موضوع الدرس بالواقع الاجتماعي للطلاب، واستخدام طرق تدريس متنوعة ووسائل تعليمية مناسبة، وكذا ربط المادة العلمية بمشكلات الطلاب اليومية وتعميق معلومات المدرس أكثر مما في الكتاب المدرسي."

ويعرفه حديد يوسف (2009) بأنه: " ما ينجزه المعلم من مهام قابلة للقياس، فمن الممكن قياس أداء المعلم وفق استمارة الملاحظة الموضوعية التي تعد لهذا الغرض، كما أن من الممكن قياس أداء المعلم عن طريق قياس سلوك المتعلم الذي يعد حصيلة التدريس الفعال، وأن الأداء كي يكون فعالا يجب أن يكون ذا كفاءة عالية." (حديد، 2009، ص 86)

4-2- تقويم الأداء التدريسي للمعلم وفقا لـ:

4-2-1- أنماط التفاعل الصفي:

يشير هذا المحك إلى أنماط السلوك التفاعلي السائدة أثناء العملية التعليمية التعلمية، الأنماط الخاصة بالمعلم تتضح من خلال الطرق التي يتبعها في شرح المادة الدراسية وإثارة الأسئلة وإدارة الحوار والنقاش داخل القسم، أما الأنماط السلوكية للمتعلم فتتضح من خلال طريقة استجابته للنظام والتركيز وبذل الجهد والمثابرة والقيام

بالتجارب، والاستجابة إلى النقاش والحوار مع المعلم والزملاء. (يوسف، 2009، ص 73)

4-2-2- اعتماد المعايير والمهام الأدائية:

عملية تقويم المعلم اعتمادا على معايير ومهام أدائية يركز على الأداء الحقيقي للمعلم ويزوده بفرصة حقيقية للتقويم الذاتي وذلك بإفساح المجال له للتفكير بما يقوم به ومراجعة أدائه باستمرار للحصول على التغذية الراجعة المستمرة، كما يراعي الفروق الفردية بين المعلمين ويفسح المجال للإبداع والتميز من خلال عرض مستويات التفكير العليا وإظهار مهارات متعددة في معالجة المواقف وبث روح المنافسة والعمل بروح الفريق. (هارون، 2013، ص 50)

4-2-3- الأثر الذي يحدث لدى المتعلمين:

يشير هذا المحك إلى ما يتعلمه الطالب ويكتسبه من خبرات، نتيجة للنشاطات التعليمية المدرسية، ويمكن مقارنة النتاج التعليمي من خلال مقارنة أداء المتعلم قبل التعليم، بأدائه بعد التعليم، أي بالتغيرات التي تطرأ على سلوكه. (يوسف، 2009، ص 72)

4-2-4- أسلوب التقويم الشامل (ملفات الأعمال المهنية):

يعتبر من أكثر الطرق فعالية وذلك باستخدام نظام (portfolio) حيث تركز أساسا وبصفة مستمرة على المستويات المهنية للتدريس، استنادا إلى النواتج التعليمية ذات القيمة الوظيفية، بحيث تقدم أدلة

قائمة على الأداء تبرهن على اكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات المتعلقة بالكفاءات المهنية للمعلم، وهي تساعد في توثيق نمو المعلمين وتطور أدائهم عبر الزمن، بحيث ينتقل أثر ذلك إلى ممارستهم الفعلية. (هارون، 2013، ص 51)

خلاصة:

تناولنا في هذا الفصل أساليب التدريس والحاجة إليها وشروط نجاحها واستعمالها داخل الفصل الدراسي، كما تطرقنا إلى أساليب تدريس مادة التاريخ وركزنا على ثلاثة أساليب هي القصة التاريخية والمحاضرة وأسلوب التحري الاجتماعي، كما تناولنا في هذا الفصل كفايات المدرس الفعال وأوردنا أربع دراسات اثنتين منها عربية واثنتين منها أجنبية، وأخيرا أدرجنا تقويم الأداء التدريسي للمعلم وفقا لأنماط التفاعل الصفي والأثر الذي يحدثه لدى المتعلمين واعتماد المعايير والمهام الأدائية وملفات الأعمال المهنية.

قائمة المراجع:

1- الكتب:

1- دبوز بيوض إبراهيم، (1998)، الشيخ محمد علي دبوز -تاريخه، شخصيته، جهاده، آثاره-، دون طبعة، غرداية، مكتبة الصفاء للنشر.

2- عطية محسن علي، (2009)، المناهج الحديثة وطرق التدريس، دون طبعة، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع.

3- نصري ذياب خاطر، فتحي ذياب سبيتان، (2010)، أساليب وطرائق تدريس الاجتماعيات، الطبعة 01، عمان، دار الجنادرية للنشر والتوزيع.

4- يوسف قطامي، (2011)، نماذج التدريس Models of Teaching، الطبعة 01، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.

2- المذكرات الجامعية:

5- حديد يوسف، (2009)، تقويم الأداء التدريسي لأساتذة الرياضيات في التعليم الثانوي في ضوء أسلوب الكفايات الوظيفية -دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم ثانوي لولاية جيجل-، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري – قسنطينة.

6- منيرة محمد عبد الرحمان هارون، (2013)، درجة ممارسة المشرفين التربويين لدورهم في تقويم أداء معلمي المرحلة الثانوية في محافظات غزة وسبل تفعيلها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية - غزة.

3- المجلات العلمية:

7- حديد يوسف، (2009)، أساليب معاصرة في تقويم الأداء التدريسي للمعلمين، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد (01)، العدد (31)، ص 83- 99، جامعة قسنطينة.

8- عادل إبراهيم عبد الله الشاذلي، (2014)، أثر تدريس مقرر الدراسات الاجتماعية والوطنية باستخدام القصة التاريخية في تنمية بعض المفاهيم التاريخية والقيم الاجتماعية لدى طلاب الصف الأول المتوسط بمحافظة الأحساء بالمملكة العربية السعودية، مجلة العلوم التربوية، دون مجلد، العدد (01)، ص 77- 181، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

9- عبد النور إدير، (2012)، أثر استخدام أسلوبي التدريس بالأمر والمهام على التحصيل المعرفي لدى متعلمي المرحلة الثانوية، مجلة تقنيات النشاطات الرياضية، دون مجلد، العدد (03)، ص 22- 27، جامعة باتنة.

10- فرح سليمان المطلق، (2016)، كفايات المدرس الناجح وصفاته من وجهة نظر الموجهين الاختصاصيين والطلبة -دراسة ميدانية في المرحلة الثانوية بمدينة دمشق، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد (14)، العدد (02)، ص 47- 82، جامعة دمشق.

4- المواقع الالكترونية:

11- http://al3loom.com.

5- المراجع الأجنبية:

12- Ann Witcher,Anthony J. Onwuegbuzie, (1999), Characteristics of Effective Teachers : Perceptions of Preservice Teachers, Point Clear, p 01- 22, Alabama.

13- Joyce.B, Weil.M, (1986), Models of teaching, Englewoodcliffs, Prentice Hall. New York.

14- Michalis Koutsoulis, (2003), The caracteristics of the Effective Teacher in Cyprus Public High School : The students perspective, Educational Research Association, p 01- 13, Chicago.

النّخلة في أدبيات التربية عند الشيخ محمد علي دبّوز

د.محمد حدبون
جامعة غرداية

الملخص:

يُشكِّل الاهتمامُ بالفلاحة والنَّخيل شكلاً من أشكال التربيةِ عند المؤرِّخ محمد علي دبُّوز، وبالتنقيب في أصول تنشئة الأعلام الذين ترجَم لهم، وبخاصة أعلام الإصلاح في الجنوب، المحضن الطبيعيّ للنخلة، نجد أنَّ النخلة وقبلَها الفلاحةَ محضن تربويٌّ هام، "تُربِّي الإنسان أحسن تربية، وتحدث أعظم الآثار في كلِّ أنحائه، وتجعله قويا بطلا! هذا ما جعل الدبُّوز ينعى على شباب زمانه، حين تركوا أصول الأجداد في التربية ونمط العيش والحياة، بله شباب اليوم!

وفي المقال رصدٌ لمَكانة النّخلةِ في فكر مؤرِّخنا ووجدانه، ولحظ دقيقٌ لجنباتِ الاهتمام بالفلاحة، في اللَّغة التي كتبَ بها، وفي الجوانب الوظيفيَّة المنبِئةِ عن خبرته بالموضوع.

الكلمات المفتاحية: الدبُّوز، الفلاحة، النخلة، التربية، مزاب، أعلام الإصلاح.

abstract

The interest in the cultivation and palm trees is a form of education according to the historian Muhammad Ali Dabbouz, and by exploring the origins of the upbringing of the flags for whom he translated, especially the flags of reform in the south, the natural nursery of the date palm, we find that the palm tree and before it the cultivator is an important educational incubator. This is what made Debbouze mourn for the youth of his time, when they left the ancestral origins in their upbringing, lifestyle and life.

In the intervention, there is a monitoring of the date palm's position in the thought and consciousness of our historian, and a careful note of the aspects of interest in agriculture, in the language in which he wrote, and in the functional aspects that predict his experience with the subject.

Key words: Dabbouz, cultivation, palm, education, flags of reform

1. محمد علي دبّوز (1919-1981م):

أحد أعلام التاريخ والأدب والفكر في النهضة الإصلاحيَّة، بوادي مزاب، ينحدر من بلدة بريان ولاية غرداية، تلقَّى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، ثمَّ انتقل إلى القرارة ليلتحق بالبعثة العلمية في أوائل الثلاثينيات، ويزاول دراسته الثانوية بمعهد الشباب – معهد الحياة – في أواخر الثلاثينيات، ثم التحق بالبعثة المزابية بتونس، سنة 1942م.

ومع اشتداد رحى الحرب العالمية الثانية غامر سنة 1944 بالسفر إلى القاهرة، عبر حدود ليبيا، مشيًا على الأقدام؛ وهناك رابط بدار الكتب المصرية قارئا، والتحق بجامعة القاهرة مستمعا، إذ لم يكن يمتلك الشهادة التي تخوِّل له الالتحاق بها رسميا.

عاد إلى وادي ميزاب سنة 1948م ، والتحق بمعهد الحياة معلِّما، وقام بدور كبير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد، وأدخل موادَّ جديدة، مثل: علم النفس والتربية.

له في مجال التأليف: «تاريخ المغرب الكبير»، في ثلاثة أجزاء؛ و«نهضة الجزائر الحديثة» في ثلاثة أجزاء؛ و«أعلام الإصلاح في

الجزائر» [1]

2. عمَّتُكم النخلة:

عمَّتُكم النَّخلة! مقولةٌ تُراثيَّة حُفِّظنَاها صغارًا حين ردَّدها الآباء على مَسامعنا، ووَعيْنَاها كباراً ونحن نشهد ما للنَّخلة من فوائد؛ هي مقولةٌ رسمت مكانة النخلة في حَياتنا، ومَع لبان أمَّهاتِنا ارتوينا حُبَّ النخلة، تلك الشجرةُ المباركة التي خصَّها اللهُ عزَّ وجلَّ وثمرَها بالذكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع؛ تنوَّع حضورُها ضِمن طيِّباتِ الدُّنيا ونعيم الآخرة. ومع تكرُّر ذكرها في القرآن الكريم، ساغَ لنا القولُ أنَّ الدافعَ الدينيَّ في إعطاء النخلة مكانتَها له حُضوره اللافت، بذلك يغدُو الاهتمام بالنخلة أُخرويًّا، قبل الاعتبارات المعيشيَّة والاقتصاديَّة، وهو ما عناه القطب اطفيَّش في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ "وذكر النَّخِيل دُون التمر مع أنَّ التمرَ هو المطابق للحَبِّ والأعناب تعظيما للنخل فإنَّ فيه مزيد نفع وإيثار الصنع".

وفي السنة أحاديثُ كثيرة وآثارٌ تعكِس مكانةَ النخلة، وتجُلِّي

---

[1]- ينظر. إبراهيم بحاز وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 53/2.

أبعادَها الاجتماعية والاقتصاديَّة، ولطالما تبادل العوامُ من الناس الأثر المحفوظ «أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ»1 والأثر وإن كان فيه مقال، إلاَّ أنَّه مُفعَم بمعنى الاعتناء بالنخلة؛ لكن يُقوّيه ويشهد له أحاديثُ أخرى ثبَّتت مكانة النخلة في النفوس، من ذلك ما روته عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ».(2) وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ".3وروى

---

1 – ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرموا عمَّتَكم النخلة، فإنها خُلقت من فَضلة طينة آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الولّد الرطب فإن لم يكن رطبا فتمرا». وهو ضعيف جدا. أخرجه أبو يعلى 455، وابن حبان في «المجروحين» 3/ 44، وابن الجوزي في «الموضوعات» 1/ 184، وأبو نعيم في «الحلية» 6/ 123.

2 – رواه مسلم، باب ادخار الأقوات ونحوه من الأقوات؛ حديث رقم: 2046. وأبو داود، باب في التمر، حديث رقم: 3831. ورواه ابن ماجة، باب التمر، حديث رقم 3327. ورواه أيضا عن عبيد الله بن أبي رافع، عن جدته سلمى مرفوعا: «بيت لا تمر فيه، كالبيت لا طعام فيه» حديث رقم: 3328.

3 – رواه أخرجه أحمد 164/3، أبو داود "2356"، والترمذي "696"، والدارقطني 185/2، والحاكم 432/1، والبيهقي 239/4 كلهم من طريق

الأصبهاني أبو نعيم في "الطبّ النبوي" حديثا عن سلمة بن قيس مرفوعا «أطعموا نساءَكم في نِفاسهن التمرَ فإنَّه مَن كان طعامُها في نِفاسها التمر خرج ولدُها حليمًا، فإنَّه كان طعامُ مريم حين ولدت التمرَ، ولو علم طعامًا هو خير لها من التمر لأطعمها إياه».[1] ونجد في الطبراني أيضا عن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّخْلُ وَالشَّجَرُ بَرَكَةٌ عَلَى أَهْلِهِ، وَعَلَى عَقِبِهِمْ بَعْدَهُمْ، إِذَا كَانُوا لِلَّهِ شَاكِرِينَ».[2] ولعلَّ مجموعَ هذه الأحاديث يُقدِّم لنا تفسيرا لعديد العادات التي تعرفها المجتمعات التي جعلت من التمر أساسا لقوتها ومعيشتها.

وامتدادا للنصوص الشرعيَّة وجدنا صدًى من الأقوال في كتب التاريخ والسِّيَر عند الإباضية، تحضُّ على العناية بالنخيل، وتُرغِّب في امتلاك الأجنَّة وعدم بيعها، من ذلك ما أورده الوسياني: "قال أبو عبد الله: بائـع النخل مُمحِقٌ، ومشتريها مُعَان" وعنه أيضا: «حبُّ النخيل من

عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، عن أنس، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الدار قطني: إسناده صحيح، قال الترمذي: حسن غريب.

[1] – الأصبهاني، أبو نعيم: الطبّ النبويّ؛ 727/2.

[2] – الطبراني: المعجم الكبير؛ 84/3.

الإيمان وبغضُها من النفاق». هذا الاهتمامُ بغرس النخيل واعتقاد البركة والأجر فيه متوارَثٌ لحدِّ الآن لدى سكَّان وارجلان وأريغ وسوف وبلاد الزيبان ووادي مزاب؛ وعلى مرِّ التاريخ كانت ولا زالت عماد الاقتصاد وأساس الأقوات، "فإذا أرادوا ضرب اقتصادها قطعوا النخيل وردموا الآبار وتركوها قاعًا صفصفًا كأن لم تغن بالأمس".[1]

وعبر التاريخ كان المزابيون أيضا يطبِّقُون مبدأ الاكتفاء الذاتي، وظلّت النخلةُ محورَ اقتصادِهم، منها يتقوَّتُون، وبعناصرها يتَّخذُون سقوفَ بيوتهم، ويصنعون أثاثهم وأوانيهم، وفي ظلالها يستريحون مِن تَعب الكدِّ وحرارة الطقس صيفا، وتحتها يزرعون البقول والفواكه.[2] ويوجد بمزاب ما يقربُ مِن مائة صنف من أصناف النخيل، سبعة عشر منها تغطي حوالي 90% من واحات مزاب[3]

3 - الفلاحة والنخيل، مبرِّرات التناول:

ما مناسبة حديثِ محمد علي دبّوز عن الفلاحة والنخيل؟ سؤال

---

[1] - بوعصبانة، عمر لقمان: معالم الحضارة في وارجلان، ص193.

[2] - الحاج سعيد، يوسف: تاريخ بني مزاب، الحاج سعيد، ص201.

[3] - bulletin d agronomie saharienne vol n3 juin 1975; 45. نقلا: الحاج سعيد، يوسف: تاريخ بني مزاب، ص201.

نريد أن نستشفَّ مِن خِلاله مَكانة النّخلةِ في فكر مؤرِّخنا ووجدانه، ونرصُدَ جنباتِ هذا الاهتمام بالفلاحة، في اللَّغة التي كتبَ بها، وفي الجوانب الوظيفيَّة المنبِئة عن خبرته بالموضوع.

حكايةُ الدبُّوز مع الفلاحة والنخيل تبدأُ مع البحث في أصول تنشئة الأعلام الذين ترجَم لهم، وبخاصة أعلام الإصلاح في الجنوب، المحضن الطبيعيّ للنخلة؛ فإن نحن ظفرنا بمادة معتبرة تتعلَّق بالموضوع في "أعلام الإصلاح في الجزائر" فإنَّا لم نظفر إلاَّ بنزر يسير من المادة في أعماله الأخرى مثل "تاريخ المغرب العربي الكبير" و"نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة". وسرُّ الاهتمام بأصول نشأة الأعلام باعتبار أنَّ "العبقريةَ ثمرةٌ لا تخلُق نفسَها، ولكن تكوِّنُها الأصولُ، وتُنعِشُها البيئةُ، فإذا أردنا أن نعرِف أسبابَها وجب دراسة الأجداد والبيئة، فهما أكبر الأسباب فيها"[1] وهنا نسجِّل للدبُّوز المؤرِّخ ضابطًا منهجيًّا يتعلَّق بأصول الكتابة التاريخية، إنَّه ينعى على الذين يتنكَّرون للبحث في الأصول والتفتيش في الجذور، وهو خلل منهجي في الكتابة التاريخية؛ "إنَّ هذه الأسباب [الأصول والبيئة] مما يغفل عنه أغلب المؤرِّخين العرب الذين يكتبون تاريخَ الزعماء، وترى البعضَ

[1] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 91/1.

يرى أنَّ دراسة هذه العوامل من الإسهاب المكروه، وفضول القول؛ إنهم يحصرون نظرَهم في الزعيم وأعماله، وهو الشيء السافر الذي يعرفه العامة، أما أصول عبقريَّتِه وهو ما لا يستطيع معرفته إلاَّ الخاصة فيسكتون عنه، فيكون تاريخهم مبتورا، وما كتبوه على غير أساس، يُحيط به الغموض وتكتنفُه الظلمات، ويورث للقارئ الألمعيّ الحيرة".1 وفي مقام آخر يقول: "إنّ الحديث عن العوامل التربويَّة العظيمة التي كوَّنت الشخصيَّة العظيمة من أهمّ ما يجبُ أن يهتمَّ به المؤرِّخ، لأنها أسرار خفيَّة تُنسى لا يستطيع الاهتداء إليها جميع الناس".2 وبالمحصِّلة نراه يضع قاعدة منهجيَّة في الكتابة التاريخية، "إن التاريخ للاقتداء، وبيان أسباب العبقريَّة فرض على المؤرِّخ، لتأخذ بها أمَّتُه وكلُّ قارئ، فيتقوَّى نبوغُها وتسطع فيها العبقريَّات".3 وهو ما جعل الدبُّوز ينعى على شباب زمانه، حين تركوا أصول الأجداد في التربية ونمط العيش والحياة، بله شباب اليوم!

إنَّ ما يهُمُّنا من دراسة نمطِ حياةِ علَمٍ أو أمَّةً ما، هو جعلُ الزمنِ الغابر محلَّ الدرس ماثلاً أمام العين، متحرِّكا تدبُّ فيه الحياة؛

---

1 – المصدر نفسه؛ 92/1.

2 – المصدر نفسه ؛ 08/1.

3) المصدر نفسه ؛ 92/1.

فالدراسة العميقة المشبَعة بالملاحظة الدقيقة تجعل الدارس يخرج من شرنقة زمانه ليَحيَا بيئةَ قومٍ بادوا وغبروا، وغنيٌّ عن القول إنَّ البحث في أصول تنشئة العظماء لم يكن حِكرا على مزاب، بل هو طبعُ العظماء أينما كانوا "تلك البيئة التي طبعتهم بالفضل، وثقفت عقولهم ثقافة صحيحة، فكانوا الأجيال المباركة التي بدأت للجزائر نهضتها، بما أنجبت من زعماء رفعا لواء الدين، وقادوا الأمة طريق إلى الصّلاح والإصلاح".[1]

الفلاحة المحضن التربوي للعظماء:

عرفَ مزابُ الفلاحة منذُ القدم، بل كانت هي أساسَ العيش ومورده قبل التِّجارة، ورغم أنَّ مزاب بلدٌ قحلٌ، وجبالٌ جرداء في صحراء يابسة، لا عيون جارية فيه، ولا أمطار موسميَّة تُغادِيه وتُراوحه كما يقع في الشمال، ولا مياه قريبة من السطح فيسهل استنباطها.. ومع ذلك كلِّه لم يمنع أن يكون لأغلب الأسر في مزاب بستان خارج المدينة، لقد كان "المزابيون يحترمون الفلاحة ويعتزون بها، فبعد رجوع التاجر منهم من تجارته في الشمال في شهور عطلته يعكف على الفلاحة في بستانه، لا يتسكَّع في الأسواق، وكذلك إذا تقاعد

---

[1]) المصدر نفسه ؛ 92/1.

وكفاه شركاؤه الذين كانوا أجراءه أمرَ التجارة، فإنه يعكف على فلاحة بستانه، لا يركن إلى الكسل والملذات".(1) ولم يكن إحياءُ أرضٍ مواتٍ بالأمر الهيّن بل كان يتطلَّب جهدا متواصلا حتى لا تضيع الجهود، كما يتطلَّب أيضا نفقات باهظة؛ إنَّ المسألة ليست مادةً فحسب، بل مبدأُ حبِّ الوطن وعمارته يغذِّي روح التحدِّي والإصرار، وإنّك لتعجبُ كيف أنَّ "صاحب البستان مع كدحه ينفق نفقات طائلة على الفلاحة من تجارته، إن الفلاحة لا تكفي نفسها، إنها عبء ثقيل على صاحبها، ولكن عمارة البلد واجبة.

ولم تُثنِ الصعوباتُ كلُّها المزابيَّ عن الفلاحة بل "الفلاَّح المزابي يقضي كلَّ نهاره وجزءا كبيرا من ليله في حقله وبستانه في كدٍّ وأعمال مضنية، يخدم الأرض ويهيِّئها للزراعة، ويصلِح زروعه، ويسقيها من الآبار العميقة، ينزح منها بجَمَله أو بغله أو حماره أو كليهما، وقد يكون فقيرا مدقعا لا يطيق ثمن دابة ومؤونتها فينزح الماء بساعديه، يجر الدلو الكبيرة التي تسع ثلاثين لترا وأكثر.. لا يرده الصيف بحره القاتل، ولا الشتاء ببرده القاسي وببرده الشديد عن عمله، وقد قدر بعض العلماء ما يقطعه الفلاح المزابي أمام بئره في النزح

---

1 – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 92/1.

ذاهبا وآيبا بأربعين كيلومتر في اليوم"[1]

ويروي الدبوزُ عن الشيخ بيوض في معرِضِ حديثه عن سيرة أجداده أنهم كانوا "يحترفون ثلاثَ حرف، الفلاحة، عندهم أجنَّة يفلحونها ويغرسون فيها النخيل والأشجار، ولهم عبيد وموال يستعينون بهم في أشغال الفلاحة الواسعة المضنية... والحرث في البادية مع الأعراب.. يعطونهم البذر والزاد، ويشتركون معهم في مصاريف الزراعة والحصاد، ويخرجون معهم للزراعة والحصاد، كما يشتركون مع الأعراب في تربية المواشي، الغنم والإبل، وكان الرعاة من البادية.. وكانت تلك الأراضي بورا وفي البادية القحلاء، ولكنها إذا أمطرت وزرعت تغلُّ لأصحابها خيرا كثيرا من البر والشعير، الذي هو قوتهم الضروري، لا يجلبون شيئا من الخارج إلا زيت الزيتون، وبقية ذلك من زراعتهم في القرارة والبادية، وقد عاشوا في يسر ورخاء بكدّ يمينهم، وبفضل نشاطهم في الفلاحة والزراعة... والتجارة، وكان أغلب التجارة بالمقايضة"[2]

وحين كانت الإرادة الصلبةُ والعزيمة الصخريَّة تميِّز إنسان ذلك

---

[1] - المصدر نفسه ؛ 1/96-97.

[2] - دبوز، محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة؛ 1/180.

العهد، حيث الناس يعتمدون في قوتهم ولباسهم على ما عملت أيديهم، و–على ما يحكي الشيخ بيوض- كنت "ترى القوافل الكبيرة التي تتركَّب من مائة جمَل وأكثر، ذاهبة آيبة بين القرارة والمدن المجاورة (مسعد، الجلفة، بوسعادة)، مثقلة بالصادرات والواردات".1 ومن جملة المزروعات التي كانت محلَّ اهتمامهم زرع "المزابيون القمح والشعير والفول وغيرها من المزروعات الشتوية والصيفية. وغرسوا "من الأشجار المثمرة: العنب والتين والخوخ والمشمس والرمان والليمون والبرتقال وغيرها"(2) وإن أفادتنا الفكرة بأنواع الثمار التي كانت تزرع إلى جنب التمر، فإنَّها كذلك تعطي لنا فكرة عن نمط من حياتهم في إعداد قوتهم، فالمشمس كان يؤكل غضا في حينه، وكانوا يجففونه ليكون مكمِّلا لبعض الأغذية (الهرماس)، وربما بعض أنواع الكسكسي المخلوط بالرمان، أو حتى بعض أنواع الأدوية والعقاقير.

ولله درُّ الدبوز حين لخَّص ذلك بقوله "إنَّ جَدبَ الأوطان أورثهم الخصب في النفوس، وفقره كان سببا للغنى في الأخلاق؛

---

1 – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 94/1.

2 – دبوز، محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة؛ 180/1.

بذلك اعتُبرت صعوبة تحصيل الأقوات بالفلاحة أو التجارة "تُربّي الإنسان أحسن تربية، وتحدث أعظم الآثار في كلِّ أنحائه، وتجعله قويا بطلا!".[1]

وإن بدا الأمر بالنسبة لجيل هذا الزمان ضربا من المبالغةً، أو دربا لتسلية النفس، فإنَّ الدبوز الذي تقصَّد الإيغالَ في جذور نشأة العظماء وتعمَّد إبراز طريقة عيشهم استبق السؤال عن ماهية "الغنى الذي تخلقه الفلاحة عامة وفي مزاب خاصة في نفوس الفلاحين"[2] سيجيب وفي حسبانه أنه سيضع قواعدَ تربويَّة تستهدف النشء الذي يكتب له، وهنا نلمس جانبا من شخصية الدبُّوز التربوية المرفرفة على أجنحة التاريخ، ومن الممكن أن نُوجِز ذلك في فوائد منها:

صقل الجوانب الشخصيَّة للفرد:

تحت عنوان الفوائد التربويَّة العظيمة للفلاحة في مزاب يُوردُ لنا مؤرِّخُنا جملةً من المزايا النبيلة للفلاحة، في كلام جاء بين يدي ترجمته لأعلام الجنوب في مزاب، بمعنى أنَّ ما سنجدُه من خِصال

---

[1] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 94/1.

[2] – المصدر نفسه؛ 94/1.

وسجايا لدى علَم ما إنما هو في -نظر الدبُّوز- أثرٌ من آثار الفلاحة، يُعلي مِن شأنها مُشِيدًا بفعلها الإيجابي "تلك هي الفلاحة في وادي مزاب، صعبةٌ مرهِقة، لكنها ذات شأن عظيم في كلِّ نواحي الإنسان، تُقوِّي إرداتَه، وتُكوِّن فيه الشجاعة والصبر والتضحيَة، وتعلِّمه التعاون والاتحاد، وتُورثُه بياضَ القلب، وسُهولة الطَّبع، وحُبَّ الخير، وغيرةً على الدين والوطن، وتقوي فيه الطبع الاجتماعي".[1] إنَّ الفلاحة بهذا المفهوم هي أكثر من مجرَّد سبب للقوت والمعاش، بل كانت وسيلةَ تربيَّة الأبناء عقلاً وجسمًا، وحاجزا منيعا من خِصال السوء التي تجعل الولد مُخنَّثا، جبانا كسولا، لا يعرف للرجولة معنى ولا لقوة الشخصية عنوانا، "وكان المثل السائر الذي تعيه كلُّ أمٍّ وكلُّ أبٍ وكلُّ أُسرة المثل الحكيم (من ليست له غابة يجيح أبناؤه)".[2] وبهذه المقولة فإنّي أتمثل الدور التربويّ للفلاحة والبستان مثل الدور الذي كان يُؤدِّيه رعيُ الغنم وبعض الحرف بالنسبة لبعض الأنبياء. لذلك وصف الدبوز ذهاب الأطفال إلى البستان كلَّ يومٍ للعمل واللعب "من الواجب الأكيد في

---

[1] - المصدر نفسه؛ 106/1.

[2] - دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 192/1

ذلك العهد المبارك".1

ومن جملة أعمال الفلاحة أيضاً اعتبر الدبُّوز الحرثَ في البادية سببًا تربويًّا عظيمًا! والسرُّ يكمُن في كونه عمَلاً يتمُّ بشراكةٍ مع الأعراب، تُزرَع الأرضُ شعيرا وقمحا إذا سالت الأوديةُ المحيطة، أوَّل الخريف وفي الشتاء، "وفي البادية يزداد اختلاط الفلاحين بالأعراب فيأخذون فصاحتهم، والفلاح المزابي فصيح في اللغة العربية الدارجة، يتكلَّمُها بلهجة الأعراب الفصحاء..كذاك يمهرون في الفروسيَّة، وفي البادية صيدٌ كثير، الغزلانُ والأرانبُ وأنواع الطيور، الحجل والحمام وغيرها، فيصيدون بالبنادق ويتمتعون بلذة الصيد ومباهجه، ويزدادون تعلما للرماية".(2)

وبعد كلِّ هذه المقوِّمات كيف للدبُّوز -ونحن بالتبع- أن نفوِّت فرصةَ الأسف عن الماضي الذي ضاع معه كثيرٌ من مقوِّمات الرجولة؛ إنه لم يغفل عن إرسال جُرعات تربويَّة في كتاباتِه والمواقف التي يؤرخ لها، "هذه الزراعة المباركة التي صار كثير من شباب هذا الزمان يُفرِّطون فيها لجهلهم بمنافعها الأخلاقية والوطنية العظمى".

---

1 - المصدر نفسه؛ 192/1

2 - المصدر نفسه؛ 112/1-115

وصدقا قال! فكم من شباب لنا اليوم يتقنون الفنون والمهارات التي ذكر؟ لقد خُوِّي جيل هذا الزمان مِن مُعظم مقوِّمات الرجل، أتصحُّ المقارنة بين شابٍ جلدٍ، قويِّ العزيمة، شجاع، خلوقٍ، فارسٍ، محسنٍ للرماية، مع شاب مُهلهل أفقده الفايسبوك وعديدُ الملهيات توازنَه ومسخه جنسا آخر.. رحمك الله يا دبوز.

التعاون والتكافل الاجتماعي:

ومع ضياع مقوِّمات الشخصية تفقد المجتمعات رأسُ مالها الاجتماعي، وإنما تفاوتُ الأُمم بالمبادئ والقيم؛ ومن جملة القيم نجد التعاون والتكافل ذلك الخلق النبيل الذي عرفتها المجتمعات العريقة مثلما هو عليه الأمر في مزاب، "إنَّ الفلاحة الصعبة في مزاب خلقت كلَّ الأخلاق العظيمة في الفلاح، وغرست فيه الخلق الاجتماعي، فكان محبًّا للتعاون، ذا نجدة وغيرة على الدين والوطن، يرأف على الضعيف، ويجود على المحتاج، ويسارع إلى إعانة غيره، يتعاونون في كلِّ أعمالهم الصعبة، في حفر الآبار، وغرس النخيل، وفي التأبير، والفرق والجذاذ،، ولولا التعاون الذي يغرسه الدين وهذه الصعوبة في الفلاحة المزابية، ما وقعت هذه العمارة، وما صار مزاب

في وسط الصحراء القاحلة بحضارته ونضارته"(1)

ولم ينس التاريخُ أصالة العمل الجماعي في النفوس، فالحرث والزرع والحصاد كان جماعيا، وغرس النخيل ونقلها مسافات على الأكتاف بأعمدة كان جماعات بحسب حجم النخلة، وكان لهم قاموس خاص من المصطلحات التي تنظم تلك العملية باحترافية مطلقة فلا يقع الثقل على أحد؛ ولموسم الجذاذ نصيبه من العمل الجماعي، فرب نخل كثير يكون ملكا للمسجد حُبوسا، أو لعشيرة أو هيئة في البلد، كلُّ ذلك يتمُّ بالتعاون، ولولاه ما كان ليعمُر مزاب.

ولم تكن الفلاحة العامل الوحيد الذي يغرس روح التعاون والتكافل بل كانت روح التربية والتعليم في مدارس مزاب تنفخُ في الطالب روحَ المسؤولية وحُبَّ خدمة الصالح العام، لقد كان شعار أغلب تلك المدارس "الخلق قبل العلم، ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد" شعارٌ طُبِع في النفوس طبعاً راسخا، هكذا كانت بيئةُ مِزاب وبيئة القرارة والمعهد ودار البعثة، "كلها تغرس في الطالب التضحية والاعتناء بالمصلحة العامة، إن مزاب هو وطن العمل لله. "ومِن الأعمال الجماعيَّة التي تعود بالخير الكثير على الطالب في

1 – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 157/3.

جسمه وخلقه، وتُعوِّدُه خِدمة الجماعة، جلب الحطب لمطبخ البعثة.. كانت البعثة منذ نشأتها تستعمل الحطب للوقود، وهي تحتاج إلى كميات كبيرة منه كل يوم، فاتجهت البعثة إلى غابة القرارة، تستورد منه وقودا بدون ثمن"[1]

الجانب الوجداني والجمالي في الفلاحة:

مِن اللاَّفِت حقًّا أن يكون للفلاحة أثرٌ حتى على الوِجدان! إنَّها في نظر مؤرِّخنا "تُربّي الوجدان القويَّ، بما يحُفُّ الفلاحَ في كلِّ أوقاته في كلِّ الفصول من جمال ساحر في بستانه وحقله، فينشأ قويَّ الوجدان، يحبُّ الجمالَ في كلِّ شيء، فيُغرَم به، ويُدرك الرذيلةَ وقُبحَها فيبغضها"[2] وقد وجدنا هذا الذوق الجماليَّ في شخصية الدبوز نفسه! فهو العلَم الذي درَج على ما درج عليه مشايخُه، وكانت الفلاحة محطةً من محطَّات حياته، وإن استرقنا السمع وخطفنا النظرة إلى مؤرِّخنا وجدناه وقد حلَّق به الوجدانُ وذهبُ به الخيالُ كلَّ مذهب، ويبدو أنَّ الشوقَ جنح به إلى زوجِه، لغربةٍ التي كَوَته، فجعلته يفتحُ كُوَّةً إلى المشاعر الزوجيَّة المرهَفة، ويهيمُ في الحبِّ متخذا من الفلاَّح

---

[1] - المصدر نفسه؛ 106/1.

[2] - المصدر نفسه؛ 107/1.

مطيَّة.. قال: "وربما كان في البستان الحصين يسقي نخلَه وأشجارَه في اللَّيل، فتتطلَّع إليه عروسُه مِن كوَّة السطح، فتراه وحيدا! فيستفزُّها جمالُ القمر ومُوسيقى البستان، فتُسرع إليه وفي أردانها البُخور المزابيُّ الذكيُّ، وفي شعرها العِطر الفوَّاح، وفي محيَّاها البِشر والحزم والمحبَّة فتساعد زوجها في السقي، ويجلسان على حافة الحياض ينتظران امتلاءها، وبينهما عناقيد العنب الحلو يتبادلان حبَّاتها بالشفاه لا بالأنامل! وخريرُ الماء البارد الحلوِ في الساقية والأحواض يستُر وسوسة القُبل ومناجاة الأحبة".[1]

وبعد هذا ليس غريبا أن يُقرِّر الدبُّوز أنَّ الجدَّ وصعوبةَ العمل في الفلاحةِ لم يُفقِد للفلاح ذوقَه الجماليِّ، بل الأمر على العكس تماما، فبالإصرار وتراكم التجربة في مغالبة الأرض، ازدهرت البستان وعمَّ الاخضرار، وتفنَّن المزابيُّ وارتقى إلى كمالات البستنة وما فيه الزينة، وغدا "بُستانُ المزابي يُغرس بذوق، ويُراعي فيه الجمالُ، إنَّه للنُّزهة وسُكنى العائلة في الصيف أيضا، فترى النخيل صفوفا، وبينها دروبٌ من الأشجار المثمرة: العنب والتين والخوخ والمشمس والرمان والليمون والبرتقال وغيرها. وتراهم يعتنون بزراعة الريحان

[1] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 108/1.

والنعناع، ويغرسون الورد والياسمين في بساتينهم، إن البساتين لغللها الضرورية للمعاش، وللجمال والمتعة، وترى كل بستان مسور بأسوار عالية من شدة نضارته وارتوائه، وتُراك إذا دخلت بساتين مزاب تنسى أنك في الصحراء القاحلة الجرداء".[1] وكان مما سجَّله المؤرِّخ عن أبي اليقظان، أنَّ هذا الشيخ والبطل الهُمام كان مغرما بالبستانِ والاخضرار إلى حدٍّ لا يوصف، وحين يهمُّ بالكتابة والنظم أو القراءة العميقة "كان يسرع إلى البساتين في القرارة وإلى الحدائق العامة في أحراج (الحامة) في الجزائر كلّما همَّ بكتابة شيءٍ مهمٍّ أيَّام جهاده الصحفي الطويل، فيجد نشوة نفسه في تلك الأحراج" ومَن منّا لا يحفظ للشيخ أبي اليقظان نشيده الرائع "شريعة".[2]

لقد كان في الجوِّ الذي يحيا فيه الفلاَّح محضنا يفيض بالجمال الوجدان، وبعد ذلك لا يُستغربُ إن كان الفلاَّح ذا حسٍّ مرهف ومشاعر جياشة، إنَّ "في بساتين مزاب موسيقى فتانة تُطرِب كلَّ مَن يسمعها، ويتمتَّع بها الفلاح أكثر؛ أصوات البكرات التي تزجر الماء في كل بئر، وجرجرة الدلاء في الأحواض، وخرير المياه في السواقي،

---

[1] - المصدر نفسه؛ 108/1.

[2] - المصدر نفسه؛ 278/1-279.

وأغاني الفلاحين التي تتعالى من كل بستان وتسمعها في كل ناحية، ورفيف النسيم في الجريد إذا راقصها، وحفيف الغصون في الشجر إذا عانقها، وهديل الحمام في الغصون، وصياح الأطفال في البساتين من شدة الطرب والنشاط.. هذه الأصوات كلها تمتزج فتتكون منها موسيقى فتانة تذكي النشاط في الإنسان".[1] ومن الذائقة الجمالية وقفةُ الدبُّوز مع وصفِ النَّخل في الربيع حين تبرز أكمام عراجِينها، "فما أجمل النخلةَ إذا عانقها الربيع فأنجبت عراجين في أكمامها الخضراء، ثم تنفضُّ عنها فتبدو صفراء غضة كبشرة الوليد الجميل، والفلاح يهدهدها بنشيد التأبير، وما أحلى نضارة البساتين".[2]

ومن زاوية التحقيق العلمي، من المهمِّ أن ننبّه أنَّ مؤرِّخنا الدبُّوز، وإن دقَّق الوصفَ في حديثه عن النخلة إلاَّ أنه لم يُعنَ بالقاموس اللغويّ الدقيق الذي تكلَّمت به العرب في تسمية ما ذكرَه؛ وفي بطون القوامس والمعاجم، بداية بالنخلة التي كانت محور الكتابة، فهي اسمٌ للشجرة الأنثى المنتِجة للتَّمر، أمَّا النَّخل المذكر الذي تُلقَّح

---

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين؛ 111/1.

[2] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 110/1

به حوائل النخيل هو **الفُحَّال**، واحدها فحَّالة. [1] "ولا يقال فُحَّال إلاَّ في النخل". [2] وما سماه "عراجين" هو في تحقيق أهلِ اللغة **طلعٌ**: وهو أوَّلُ ما يبرُز من الأكمام في الموسم. قال الخليل: "لكُلِّ شجرةٍ كِمٌّ وهو بُرعُومتُه؛ وقد كُمَّت النخلة كَمّاً وكُمُوماً، وقال الله جل وعزَّ: ﴿وَالنَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمام﴾. [3] وهو الغضيضُ أيضاً. وَقَالَ أَبُو زيد: يُقَال أطْلَعَ النخلُ الطَلْع إطْلاَعاً". [4] وبمرور الأيَّام ينمو الطلعُ ويعمُرُ، حتى ينشَقَّ كافُورُها، فَإِذا تفلَّق أوَّلُ الطَّلع قيل: تبسّمَ وضَحِكَ؛ أمَّا قبل ذلك فهو **الوليع**، أي ما دام في قِيقَائِه كأنّه اللّؤلؤ في شدّة بياضه، قال الشاعر:

تَبَسَّمُ عن نيّر كالوليع يُشقِّقُ عنهُ الرّقاةُ الجُفوفا [5]

وإذا انشق **الكافور أو الكُفَرَّى** (أخلاَّب) [1] انكشف عن **الإغريض** [2]

---

1 – ابن السكيت: إصلاح المنطق؛ ص207.

2 – الأزهري: تهذيب اللغة؛ 48/5.

3 – الخليل: العين؛ 286/5.

4 – الأزهري: تهذيب اللغة؛ 100/2.

5 – الأزهري: تهذيب اللغة؛ 127/3.

بالنسبة للنخلة، وعن الحُراق والحِرق[3] (اَمَرْصِيد) بالنسبة للفُحَّال. ومن الجدير التنبيه إلى أنَّ أهلَ مكَّة يستخدمون كلمة "كافور" بينما يتحدَّث أهل البصرة عن "الطلـع"؛ ومِن جملة ما حفظ الجاحظُ من مناظرة محمد بن المناذر شاعر البصرة مـع أهل مكَّة في كونِ لغة البصريين أفصحُ من قريش وأقربُ إلى القرآن قولُه: "وأنتم تُسمُّون الطلـع الكافور والإغريض ونحن نسميه الطلـع. قال الله تبارك وتعالى: وَنَخْلٍ

---

1 – **الكُفرَّى/الكافور (أخلاَّب)**: بِضَمِّ الْكَافِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ كِمُّ النَّخْلِ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ مَا فِي جَوْفِهِ. والجمـع: الكَوافير، يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان، والحمل بينهما منضود، والطرف محدد. وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ «هُو الطِّبِّيـع فِي كُفُرَّاه» الطَّبَّيـعُ: لُبُّ الطَّلْـع. وهو أيضا **الشِّرْعَافُ**: والشُّرْعَاف، بِكَسْرِ الشِّينِ وَضَمِّهَا: كافُور طَلْعَةِ الفُحَّال. قال الزبيدي: أَي قِشْرَ طَلْعَةِ الفُحَّالِ من النَّخْلِ، لُغَة أَزْدِيَّةٌ. وقال الخليل: القِيقاءةُ: قشر الطلـع. ينظر. الخليل: العين؛ 358/5- 237. المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب؛ ص411. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ 189/4. ابن منظور: لسان العرب؛ 185/9.

2 – **الإغريض**: الطَّلـعُ حِين ينشقُّ عَنهُ كافورُه. وقال البَحْرانَي: الإغرِيضُ: الطَّلعةُ الصغيرة. ينظر. الأزهري: تهذيب اللغة؛ 50/8. الشيباني: الجيم 8/3.

3 – **الحِرْقُ**: والحَروقُ، والحُروق، والحِراقُ والحُراقُ: الكُشّ الَّذِي يُلْقَح بِهِ. أعني بالكُشّ الشِّمْرَاخَ الَّذِي يُؤْخَذ من الْفَحْل فَيُدَسُّ فِي الطَّلْعَة. ينظر. الأزهري: تهذيب اللغة؛ 30/4. ابن سيّده: المحكم والمحيط الأعظم؛ 575/2.

طَلْعُها هَضِيمٌ"[1]

3. تعلُّم تسلُّقِ النخيل من أبجديات التربية في مزاب:

حسبُنا من المثل السائر في مزاب ترديدُ الأوائل (مَن ليست له غابة يجيح أبناؤه)"؛[2] ويكفي النخلة شرفًا أن تكون عروسَ البساتين، تحوزُ السبقَ في العناية والاهتمام؛ لقد "كانت النخلة هي الشجرة الغنية التي آثرها مزابُ وعوَّلوا عليها في العيش لخصائصها الكثيرة، وفضَّلها على كل الأشجار... وعكَف المزابيون على غراسة النخيل فغرسوا منها مئات الآلاف من الأشجار في وطنهم، وهي من ذوات التمر الجيد في ألوانه ومذاقه ونُكهته وقوته الغذائية".[3] ولِيَتغلْغَل حبُّ النَّخيل في نفوس الأبناء كان الناس يصطحبون أسرَهم في الجُمع والأعياد إلى بساتينهم، إمَّا للعمل أو النزهة العائلية؛ ويُرافق اجتماع الأسرة، أُنسٌ وتعاون على الأعمال الحقليَّة، مع ما يصحبُه من نقل للخبرات والجرعات التربويَّة.

---

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين؛ 40/1.

[2] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 192/1

[3] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 99/1.

لقد "كان الآباء يُعلِّمون أبناءهم الصغار تسلُّق النخيل، قد يسقط منها فينكسر ويشرف على الموت، وإذا شُفي أسرع إلى النخلة يستأنف تعلُّم تسلُّقها، تدعوه إلى ذلك أمُّه وأبوه".

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منَّاعلى ما كان عَوَّدَهُ أبوهُ[1]

إنَّه نمط من الحياة صعبٌ وقاسٍ، لكنَّه كان أجدى في التربية وصناعة الفحول من الرجال، وهو المحكُّ الذي مرَّ عليه أغلبُ زعماء الإصلاح في الجنوب، وهذا الشيخ بيوض يحكي حكايتَه مع النخلة فيقول: "وقد انزلقت رجلايَ ذات مرَّة في خشبة النَّخلة، فتزحلقتُ منها إلى حوضها، فارتطمت رجلايَ بالأرض، ودُمِيتُ ودُمِيتْ ذِراعاي وصَدري، فثار عليَّ والدي، فأمرني بمعاودة التسلُّق، فرجعت إلى نخلتي أستقلُّها وقد نسيت أتعابي ودمائي وأوجاعي"[2]

كما يروي الشيخ أبو اليقظان كيف أنَّ جدَّته لأمِّه (بيَّة بنت باعلي بكّوش) علَّمته العمل في البستان والغرام بالأجنَّة، وكانت

---

[1] – الهاشمي، أحمد: السحر الحلال في الأمثال والحكم؛ 112/1. ولم تذكر مصادر الأدب قائلَه.

[2] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 221/1

تصطحبه معها إلى البستان منذ الطفولة الأولى، فيعمل معها كلَّ ما يستطيع، ولما بلغ السابعة كانت تأمره بتسلق النخيل المتوسطة في الطول، فيجني تمرها، ويؤبِّرها، ويفرقها، ويحتطب منها، فبرع في تسُّق النخيل، وما كاد يصل العاشرة من عمره حتى كانت النخيل الطويلة لا تعجزه".[1]

هذه الجدَّة هي أصلا كانت تقوم بما لا يقدم عليه بعض الرجال، كانت تقوم بكل أعمال الفلاحة الصعبة "تتحزَّم فوق جلبابها الساتر، فتتسلَّق النخلة لجني التمر والاحتطاب، وتحمل على ظهرها قربة الماء من المدينة إلى دارهم في المدينة، وكانت تكسر أحواض البستان بالفأس، وتزجر الماء بالدلو الكبير على ظهرها".[2]

لكن، ما بالُ مَن فاته تعلُّمها لسبب أو آخر؟! يجيب الدَّبُّوز بأنَّ المزابيين كانوا "يرون الرجلَ الذي لا يُحسِن تسلُّق النخلة السحوق عاجزا ضعيفا، لا شرفَ له! فيحتقرونه ولا يبالون به، لأن تسلق النخلة تربية لا بدّ منها، فلذلك ألزموها كلَّ رجل ليكون شجاعا مغامرا قوي

---

[1] – المصدر نفسه؛ 275/1.

[2] – المصدر نفسه؛ 257/1.

الخلق والجسم".[1] إنها عبارات تنطوي على مقوِّمات الرجولة قديما، وتعكس ذهنية ذلك الزمان في اعتبار الرجولة، فالعبرة في مكانة الرجل بما يحسن ويجيدُ، وقد شاع في الأمثال السائرة العاميَّة "اللي ما يذبح شاتو، وما يطلعْ نخلتو، مُوتُو خير من حياتو"، إذ لا يتصور رجلٌ له نخل يستعين بغيره ليطلب له تمرا أو أيَّ خدمة تتطلبها النخلة مما ذكرنا آنفا.

هنا نجد الدبُّوز يتندّر لحال شبابِ زمانه هو، أمَّا شباب زماننا نحنُ فالخطب أعظم والداهية أفدح، وعن البحر حدِّث ولا حرج![2] يتأسَّف المؤرِّخ لشباب رضُوا بحياةٍ مترفة غلب عليها اللهو واللعب، وهجروا ما به قِوام الحياة والأخلاق، يتندَّر وهو المخضرم الذي محَّصته حياةُ الرجال والرجولةُ في عليائها، وعاين الخوَر في شباب زمانه حين تنكَّر كثير من الآباء لمنهج تربية الآباء، وأتمثَّله حريصا على حمل جيل الشباب على سيرة الأوائل، "ليت شعري نرجع إلى رياضة أبنائِنا في الحقول في وقت فراغهم من الدراسة والعمل، حيث يجدون وسائلَ مُجدِية تروض أجسامهم وتبني فيهم الخلق العظيم" ثم

---

[1] - المصدر نفسه؛ 100/1.

[2] - اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم؛ 103/2.

هو يبرز جوانب مما تتركه النخلة من أثر طيب في النفس والجسم "إنَّ تسلق نخلة واحدة ومصاحبة الفأس الذي يحرِّك كلَّ العضلات ساعة واحدة، أجدى على النشء من هذه الكرة التي يجري وراءها في الملاعب وتعلمه أن ينظر دائما إلى الأرض فينشأ خافض الرأس، أما النخلة المباركة وتربية الحقل العظيمة فتجعله شجاعا بطلا قويا رافع الرأس، لأن النخلة تعوِّده أن ينظر دائما إلى السماء وتجعله في الأعلى".[1] إن ما يشتكي منه الدبوز هو عين ما يشتكي منه الآباء في كل البلاد التي غيَّرت الحضارة طبعها.

وللدبُّوز وَقفةٌ مع تسلُّق النخلة، جاءت في وصفٍ بالغ الدقة، ينمُّ عن معرفة ودربةٍ بذلك، إنَّه لا يعرف صعوبة الأمرِ إلاَّ مَن كابده، فرُبَّ متسلِّق نخلةٍ "قد تكون سحوقا طولها عشرون مترا وأكثر، وهي بدون كَرَب في ساقها يتمسَّك به، يصلُ جريدَها المتشابك الملتف فيدخل بينه، لا يخاف السلى [السُّلاَّء][2] الشديد الذي يعترضه ويحوط

---

[1] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 100/1.

[2] – **السُّلاَّء**: بالضم، مِثالُ القُرَّاءِ: شَوْكُ النخل، الواحدة سُلاَّءَةٌ. قال: تقول: سَلأْتُ النخلَ والعَسيبَ سَلأً، إذا نَزَعْتَ شوكها. قال الأزهري: تَشْنِيخُ النَّخْلِ

به من كلِّ جانب، ولا السقوط في الطلوع والنزول، وقد تكون العاصفة الشديدة فتترنَّحُ النخلة وهو يتسلَّقها، أو ينزل منها وتميل ميلا عظيما، وهو ماضٍ في عمله لا يخاف ولا يحجم، بل ويجد النشوة في رأس نخلته وهو يؤبرها فيصدح بنشيد التأبير، وبأغانيه الأخرى في أعماله الأخرى الشاقة".[1] وقد سجَّلنا على هذه الوقفة قراءةً وملاحظات، منها:

أ- إنَّ التمرُّن على تسلُّق النخلة واكتساب المهارة والثقة بالنفس أساسُه الدُّربة منذ الصغر، وللوالدين الدور الأكبر كما بيَّن الدبُّوز، وتتنامى الخبرة بأنواع النَّخيل وكيفيَّات تسلُّقها، فهي ليست سواء في نوعيَّة الجذع، فقد تكونُ ذاتَ كَرَب، فالخطَرُ المحدِق بالمتسلِّق غيرِ الحاذق حينَ يكونُ هشًّا ينخلع من أصوله بسهولة، أمَّا إن كانت النخلة غيرَ ذاتِ كرَب فثمَّة يعظُم الكرْب![2] ويصعب التسلُّق، وبخاصة

تَنْقِيحُه مِنَ السُّلَّاء. ينظر: الجوهري: الصحاح: 55/1. الأزهري: تهذيب اللغة: 107/4.

[1] - دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 99/1.

[2] - **الكَرَب**: أصُول السَعَف الغِلاَظُ العِرَاض الَّتِي تَيْبَسُ فَتَصِير مثل الكَتِف، واحدتها: كَرَبة. والكَرَابة، والكُرَابة: التَّمْرة الَّتِي تُلْتَقَطُ من أصول الكَرَب بعد

إن كانت عريضة سحوقا مثل الفُحَّال عادةً (ذكر النخل، أمرْصيد)، وشتان بين القصيرة والسحوق، وبين عريضة الجذع والرقيقة التي يسهلك التمسُّك بها.

ب- إذا وصل متسلِّق النخلة إلى أعلاها يكون قد اجتاز مرحلة مُهمَّةً، لتستَقبلَه مرحلةٌ أصعبَ وأخطر، إنها الدخول إلى قلب النخلة، وتنطوي مخاطرُها في الاغترار بالتمسك بجريد يابس سهلِ الاقتلاع، والأمان كلُّ الأمان في التمسُّك بالجريد الأخضر، ومما شاع في الأمثلة المزابية (اَفْلانْ يطَّف تِيرَضْوِين "أصول الجريد الثابت")، وهو مثال يُطلق على مَن تمسَّك بالثابت الصحيح وترك الهشَّ الضعيف؛ ومن أوجه الخطر المحدقة بالمتسلِّقِ أن تتعرَّق يداه بسبب الجزع والخوف، أكثر ممَّا يُسبِّبه التعب، فثمة خطر انفكاك اليد عن الجريد؛ كما أنَّ عدمَ اختيارِ غيرِ الماهر لأحسنَ مدخل إلى قلب النخلة -وهو

الجِدَاد. قال الْأَصْمَعِي: أصُول السَّعَفِ الغِلاَظُ هِيَ الكرَانيف، واحدُها: كِرْنافة، والعريضة الَّتِي تيبسُ فتصيرُ مثل الكتِف هِيَ الكَرَبة. ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة؛ 09/7- 117/10.

وفي الصحاح: "الكرناف: أصولُ الكرب التي تبقى في جِذع النخلة بعد قطْع السَعَفِ، وما قُطع مع السَعَفِ فهو الكَرَبُ، الواحدة كِرْنافَةٌ. وجمع الكرناف كرانيف. الجوهري: الصحاح؛ 1420/4.

الفراغ الذي يكون بين الجريد- يجعل الدخول صعباً للغاية، فقد يحاول عبثا الولوج إلى قلب النخلة من الجهة المائلة أو الناحية التي يكون فيها الجريد أكثر تشابكاً، ويبقى الصبر على وخز السُّلاَّء العائق الأخير الذي وجَب تجاوُزُه.. فإن تخطَّى المتسلِّقُ كلُّ ذلك استوى في قلب النخلة، وتنفَّس الصعداء وشعر بالأمان، ليبدأ المهمة التي من أجلها تسلَّق.

ت- تتفاقم المخاطر أكثر إن كان ثمَّة رياح تهزُّ جذع النخلة، وكلَّما كانت النخلة سحوقا كان فعل الرياح فيها أشدُّ وأخطر، فقد تُفقِد المتسلِّقَ توازُنَه، وبخاصة في لحظات الدخول إلى قلب النخلة أو النزول منها، والأمر عندي أشبه بلحظات إقلاع الطائرة أو هبوطها.

ث- واضح أنه ثمة قاموسٌ من الأغاني التراثية والأقوال المسجوعة التي تُردَّد، قد كانت النخلة في مزاب مدلَّلة للغاية، قيلت فيها أشعارٌ وحيكت فيها أمثلة كثيرة، هذا وتتنوَّع الأهازيج بحسب نوع الخدمة مع النخلة، فإن كان تأبيرا، فإنَّ ما شاع على ألسنة الفلاحين، هو الصلاة على النبي المصطفى في صوت ملحَّن جميل، وقد يُشفَّعُ ذلك بدعاء لصلاح التمر حتى لا يكون شيصًا، "يا ربِّ عمَّرها، وثمَّرها، وبارك في عَمْرَها"، ولا تشيِّصُ النَّخلةُ إلا إذا لم تلقَّح أو

لسوءِ تأبيرها.[1] وحين يزهو موسم التأبير في الربيع ترتفع الحناجر من أعلى النخلات ويتبادل الفلاحون التحايا، في سمفونية جميلة لا يحسُّ بعَبقِها إلاَّ مَن عاش ذلك الزمن الجميل، وإن كان قطعاً، فيحكم العمل نظامٌ ومقولاتٌ، عند إلقاء العرجون (آهوليك)، وعند الانتهاء من القطع الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلَّم، دون أن ننسى أنَّ أيَّ صعود إلى النخلة يستدعي نداءً خاصا لتنبيه الحريم في الجيران.

4. أعمالٌ في خدمة النخلة:

لن تكبرَ النخلةُ ولن تُثمِر دون أن تجدَ نصيبَها من الرعاية اللازمة، فالأعمال التي تحتاجها النخلة لتزهُوَ كثيرة، يتعرَّض لها الدبُّوز على تفاوتٍ؛ يصفُ الفلاَّحَ المزابيَّ بأنَّه دائمُ التسلق للنخلة "في الربيع للتأبير، يتسلَّق كلَّ نخلة مِرارا ليؤبِّر عراجينها، ويتسلَّقها أوّل الصيف للفرق، يُنقِصُ من غَلَّتِها إذا كان الزائد، ويُنزِل العراجين الباقيةَ وينضِّدها ويضعُها على الجريد الأخضر، كي لا تثقل وتتكسَّر، وحتى يسهل جنيُها، وتكون جميلة، مريحة للنخلة، لا تميل كلُّها إلى ناحية

[1] – ينظر. ابن منظور: لسان العرب، 51/7. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة؛ 1255/2.

واحدة فتضرُّها؛ عمليَّة صعبة يتعرَض فيها للسُّلى الذي يوخز أطراف جسمه فتسيل منه دماؤه، وللسقوط.. ويتسلق في الخريف كلَّ يوم لجني التمر، ويتسلقها للجذاذة.. ويتسلَّقها في الشتاء للاحتطاب، ينزع جريدَها وكرَبَها ولَيفَها اليابس للطبخ والاصطلاء"[1] ودون الفقرة لا بدَّ من تعليقات، منها:

أ- يُصوِّر لنا الدبُّوز عمليَّة **الفرق** أدقَّ تصوير، جامعٍ بين الفوائد الفنيَّة والجماليَّة؛ فإنقاص الزائد مِن الغلَّةِ والتمرُ ما زالَ بلحًا أخضرَ، من شأنه تخفيفُ ثِقل العِذاق عن النخلة الضعيفة، وبخاصة إن كانت بوراً، حتى تؤتُي أُكلها كلَّ عام بإذن ربِّها، كما يعود إنقاصُ بعضِ الشماريخ من لُبِّ العِذق بالفائدة على التمر نفسِه ليكون أكبر حجما، وهو أدعى إلى تهوية العذق فلا يتلَف تمرُه بالمطر ونحوِه.

ب- يُعدُّ إنزال العِذق المشتَبك في أصول الجريد أساسُ عمليَّة الفرق، ولو بقيت الأعذاق على حالتها قبل الفرق فإنَّ تمرا كثيرا سيضيع في موسم الجُذاذ، ويتساقطُ في قلب النخلة؛ وبحسب النخلة تكون عمليَّة الفرق، فأغلبها يكون بوضع العذوق فوق الجريد الأخضر لتتحمل ثقله المتزايد وإلاَّ انكسَر العُرجون! وفي ذلك خسارة للفلاَّح؛ أمَّا إذا تمَّت عمليَّة الفَرق باحترافيَّة ووُضعت العُذوق منضَّدة، وفي شكلٍ حِلَقي أعطى ذلك للنخلة منظرا جميلاً، وسهُل

[1] - دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 1/99-100.

جنيُ بُسرِها؛ ومن النخيل ما يكون عراجينها ليّنا مطاوعاً لا ينكسر، هنالك تكون أعذاقُها متدليَّة مثل نخلة (دقلة نور)، وهو منظر يُبهج النفس ويُريح الفلاح المترقِّب لموسم الجني؛ وفي الحديث «كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُدَلًّى لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ».[1]

ت- يجدر التنبيه أنَّ العَذْقَ بِالْفَتْح: كلُّ غصن له شُعَب؛ والعَذقُ أيضًا النّخْلَة بحَمْلِها عِنْد أهلِ الحِجازِ، ومنه الحديث "لَا والَّذِي أَخْرَجَ العِذْقَ من الجَرِيمَة، والنارَ من الوَثِيمَة". أَي: أَخْرَج النَّخْلَة من النَّواةِ، والنارِ من الحِجارَةِ المَكْسُورَة. ومنه أيضاً حديثُ أَنَسٍ: فردَّ رسولُ اللهِ صلّى الله عَلَيْهِ وَسلم إلى أمّي عِذاقَها أَي: نخَلاتِها. أما العِذْقُ، بالكَسْر: الكِباسَة وَهِي القِنْو مِنْهَا وَهِي العُرْجون بِمَا فِيهِ من الشّماريخ. وَمِنْه الحَديث: كَمْ من عِذْقٍ معَلَّق لأبي الدّحْداحِ فِي الجنّةِ".[2]

ث- ترتاحُ النخلة كثيرا بعمليَّة الفرق، وتسمَّى أيضا "التعديل" في بعض المناطق من الوطن، فهي تحدِثُ توازنا في الغلَّة، فلو كانت النخلة مائلةً حُوِّل معظم الأعذاق إلى الجهة الأخرى على النحو الذي يحفظها من الانكسار، بل ويصون النخلة نفسها من السقوط إذا

---

[1] - أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، حديث رقم 20834؛ 424/34.

[2] - يُنظَر. ابن منظور: لسان العرب؛ 2861/4. الزبيدي: تاج العروس؛ 99/1-100. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ 199/3.

اشتدَّت عليها الرياح الموسميَّة.

ج- وبالمحصِّلة فإنَّا نُسجِّل للدبوز تدقيقا في الوصف حين يتعلَّق الأمر بالحِرف والصناعات، وهو تدقيقٌ ينمُّ عن خبرة وتتبّع لفنيَّات الحرفة ومهارات الصنعة، وصفا لا يجيده إلا العارف بها، ويغفل عنه السطحي غير الممارس، وما كان شاعريَّةً وإطناباً وإيغالاً في إيراد المرادفات اللغوية، كما قد يُتوَّهم!.

ح- بخصوص التسلُّق شتاءً للاحتطاب لم تكن شائعة بنفس الحجم الذي هو للتأبير أو الفرق، بل إن العمليَّة كانت تتم في موسم الجُذاذ، ولا يُعمد إلى النخلة في الشتاء وهو الموسم الذي ترتاح فيه النخلة، وجذعُها يكون رطبا زلقا بفعل الندى أو المطر، وذلك ينطوي ذلك على مخاطر.

5. قطع النخيل للوقود:

من الأعمال التي توقَّف عندها الدبُّوز ووصفها وصفا دقيقا قطع النخيل للوقود، باعتبارها طالبا يسكن دار البِعثة، وهو المقر الذي يأوي الطلبة الوافدين من خارج القرارة، يصف العمليَّة وكأنه يعيشها، يسترجع أيَّاما خوالي كان فيها حطّابا للبعثة مع زملائه الطلبة، ويضبط عقارب الساعة عائدا بالزمن إلى الوراء ليتذكر ذلك العمل المهيب،

"إنَّ الاحتطاب يقع يوم الخميس، وهو أوَّل يومِ العطلة الأسبوعية في المعهد والمدرسة الابتدائية، وفي ذلك اليوم يبكِّر الطلبةُ في النهوض، وبعد الفطور يسرِعون جماعاتٍ إلى بساتين القرارة، وعلى كلِّ جماعة رئيس من الطلبة، فيقصدون النخيل التي أعطيت لهم، وعلى عواتقهم الفؤوس، ومعها عربة يجرها حمارُهم، فيكشفون بالفؤوس عن عروق النخل، وهذا عمل يستلزم جهدا، لأنهم قد يحفرون أمتارا كثيرة في أرض قد تكون يابسة، ويصعد أحدُهم إلى رأس النخلة فيربط عنقها بحبل طويل فينزل، فتجذب جماعة الطلبة كلُّها الحبلَ في قوَّة فتميل النخلة حتى تُسقِطها، فينزعون منها جريدها بالفؤوس".[1]

أمَّا عن مرحلةِ قَطع الجذع ونقله إلى دار البعثة فيقول: "ثم تبدأ العمليَّة الشاقة في النَّخلة وهي تقطيعُها قِطَعا يمكن رفعُها للعربة، إنَّ الخشبة الخضراء المبتلَّة يصعُب قطعُها، ولكنَّ إرادةَ الشباب تفلق الحديد، فينهال الطلبةُ بالفؤوس على النخلة، وهم جماعات، كلُّ جماعة معها فأس يتناوبون على العمل، فتسمع من بعيد دويَّ الفؤوس في النخل الطويلة المطروحة، ومع دويِّ الفؤوس ضحِك الطلبة وأصواتُهم التي تفيض بالمرح والنشاط، وقد يهزجون

[1] – دبوز، محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر؛ 158/3.

بأناشيدهم المطربة".[1]

وعلى النحو الذي سبق، حين يتعلَّق الأمر بتقنيات عمليَّة في خدمة النخلة، فإنا نوُّد أن نعلِّق على بعض الملاحظ الدقيقة التي وقف عندها المؤرخ من باب الإثراء والتعقيب، ومن ذلك:

أ- بداية نسجِّل أنَّ العمل لم يكن عشوائيا غيرَ منظَّم، بل لا بدَّ فيه من قائد مشرِف وموجِّه للعمليَّة، يكون ذا خبرة، وعادة ما يكون مِن قدماء الطلبة؛ وهكذا شأنُ الأعمال الجماعيَّة في البعثة مثل المهمَّات العسكريَّة، لا بدَّ فيها من قائد آمرٍ وناهٍ، ويتجاوب ذلك مع ما ثبت في وحي السنة، وصدق الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي (ت.570م) حين قال:

لا يصلحُ القومُ فوضى لا سراةَ لهمْ ولا سَرَاةَ إذا جُهالُهم سَادُوا[2]

ب- مِن الملاحَظ استغلال أيَّام العطل فيما يخدم الفرد والجماعة، ونقرأ تنظيما دقيقا محكما للأوقات، لا مجال للفراغ وتضييع

---

[1] - المصدر نفسه؛ 158/3.

[2] - ابن قتيبة، الدينوري: الشعر والشعراء؛ 217/1.

الأوقات.

ت- صحيحٌ أنَّ مرحلة قطع الجذع مرحلة شاقة تتطلب أداة حادَّةً، وهي فعلا مجهِدة، تحتاج إلى تناوب وتكامل حتى يستمر العمل؛ على أن قساوة جذع النخلة، متفاوت بحسب نوع النخلة، وإن بعضها يرتدُّ منها الفأس لصلابته، ويُتخَذ منه أعمدة السقف، وبعضُها الآخر هشٌّ ليس بالقساوة الكبيرة؛ كذلك كلَّما كنتَ أقربَ إلى رأس النخلة موضعِ الجريد كان الجذع أليَنَ، وكلَّما نزلتَ صوب الأصل حيث الجذورُ تزدادُ الصلابة، بسبب أنَّ القشرة والشعيرات التي تملأ جوف الجذع أكثر كثافة وتماسكا، وذلك معقول جدا لأنَّ الضغط عليها أقوى؛ وثمّة جانب آخرَ من الصعوبة يكمُن في ثقل أجزاء الجذع لاحتوائه على نسبة معتبرة من الماء، لذلك فإن القِطَع المجزَّأة وجب أن تكون بحجم معقول، فالكبيرة منها مع الرطوبة لتنوء بالعصبة أولي القوة من الطلبة.

ث- وتشدُّني الأهازيج التي تُخفِّف من وطأة العمل المجهِد، وتُنسِي الشوقَ إلى الأهل، بل وتملأ الجوَّ نشاطا وحيويَّة؛ إنَّ لضربات القَادوم المتلاحقة والمتقاطعة من عدّة فرق وقعًا خاصًّا، وترتفع تلك السيمفونيَّة لتقطع سكون الغابة، وأغلبُ أعمال الفلاحة الجماعية تعرف أهازيج منشِّطة، وربما في وسط

المجموعة مكلَّف لذلك تخصيصاً، مهمَّته الأساسيَّة تنشيط الأجواء وتفعيل المجموعة، حتى لا يتسلَّل الملَلُ إليهم؛ وفي المثل العامي اشتهرت المقولة "ندّاه خير من خدّام".

ج- سَمَّى الدبُّوز آلة القطع في كامل المقطع الذي أورده "فأس/فؤوس" لكن للفأس استعمالات أخرى غير قطع جذع النخلة، وهو تقليب الأرض وتسوية الأحواض؛ وأنسب آلة لقطع جذوع النخل هي القَدُوم أو القَادُوم،[1] وهي آلةٌ أحدُ طرفَيْها مِعولٌ وطرفُها الآخر فأس.[2]

ح- العملُ على مستوى الجذور من أصعب المراحل التي تستنزف القوة، وتبلُغ بالجهدِ مبلغَه، والتجربةُ تقرِّرُ أنَّ الصعوبة لا تكمن في كون الأرض يابسةً، فذاك سببٌ مرهق فعلاً، لكنَّ الذي يجعل العمل صعبا للغاية وشاقًّا هو شبكة العروق الغزيرة التي تُثبِّت

---

[1] - رينهارت بيتر آن دوزي: تكملة المعاجم العربية، 201/8.

[2] - واعتبر الصفدي في "تصحيح التصحيف وتحرير التحريف أنَّ "قادوم، وفي الجمع قَوادِم خطأ، والصواب: قَدُوم، والجمع قُدُم. لكن مجمع اللغة المصري أقرَّه، واعتبر صيغة «فاعول» قياسيّة اسمًا للآلة؛ لأن ما ورد منها عدد غير قليل، كساطور وطاحونة وغيرهما. ينظر: معجم الصواب اللغوي؛ 969/2.

النخلة، وليس من السهل قطعُ جذور تلك الشبكة أو اختراقُها، إنها معركة بين إرادة النخلة للبقاء على قيدِ الحياة وحاجة الإنسان للاحتطاب فيما سخّر الله له من نعم؛ وللأمانة فإن قطع النخلة لم يكن يُتساهل في أمره في مزاب، ومما حُفظ عن الآباء أنَّ النخلة لو كانت قدر حفنة من التمر أو قدر ما يملأ طاقية (اَتْشَاشيتْ) فلا يُسمحُ بقلعها؛ وعليه لا بدَّ من مبرِّر مقنعٍ وكافٍ حتى يُسمحَ باستئصال النخلة، كأن تكون سحوقا تشكل تهديدا على عاملها أو ما حولها، أو يصيبُها مرض مُعدٍ من أمراض النخيل، أو تُوشك على السقوط بسبب عاصفة أثَّرت فيها..)، ومن الصعوبة أن ينغرز القَدُوم في العروق ويعلق فيها، ما يجعل قوى العامل تُستنزفُ وتخور، ولو كان جَلْدا قويا؛ لذلك تتطلب العمليَّة خبرة ومهارة بكيفيَّة القطع، ضرباتٌ بالقاطع في الجذور من الأعلى ومن الأسفل لتقطيع أوصالها، ثم استخراج العروق المقطوعة بالجهة الأخرى للقادوم، ونفس التقنية بالنسبة لقطع جذع النخلة في الأرض.

خ- الحفرُ في الجذور يبدأُ بحفرةٍ واسعة حول أسفل الجذع حيث تنغرز شبكةُ الجذور التي هي دعامةُ النخلة، ثم يكون التوغُّل مع الجذور تدريجيا أسفل النخلة حتى تتقطَّع جميع الجذور المثبِّتة للنخلة؛ بذلك يسهل طرح النخلة السحوق أرضا، هذا إذا كانت

النخلة وسط البستان، أما إن كانت وسط بُنيان أو يحيط بها ما يمكن أن تضرَّه بسقوطها، كنخل صغير أو شجر مثمر، فالعمل يكون بقطع النخلة مجزَّأة قطعة بعد أخرى ابتداءً من الرأس، وتلك تقنية ومهارة أخرى لها أسرارها ومخاطرها.

د- ربطُ عُنق النخلة يكون في بداية العمل قبل بداية الحفر، وليس في قواعد السلامة تركُ ذلك إلى الأخير كما وصف الدبوز؛ كذلك من الضروريّ التنبيه إلى جزئيَّة تقنيَّة أوردها المؤرِّخ، وهي أنَّ قطع الجريد يكون بعد إسقاط النخلة، بل الخبرة الصحيحة تثبت أن يُسبَق ربطُ عنق النخلة بقطع ما فيها من جريد يابس وأخضر، وأهميَّة ذلك يكمن في التحكُّم في توجيه النخلة حين جذبها، وإن لم يُفعل بها ذلك فليس من السهل التحكم في إسقاط النخلة في الموضع المراد، وبخاصة إن شهِد الجوُّ شيئا من الرياح ولو يسيرا، وحينها فإن النخلة إن قطعت جذورها تكون خارج السيطرة. ويندر وربما يستحيل أن تقطع نخلة فيها غلّة تمر، اللهم إلا إن كان قطعا لضرورة قصوى كتهديد بالسقوط المحقَّق.

ذ- بخصوص السحب بقوة لا بدَّ أن يكون ذلك جماعةً، لأنَّ النخلة الباسقة التي عمّرت لعشرات السنين تأبى السقوط، والقرارُ بالتوقف عن قطع الجذع والشروعِ في السحب قرارٌ دقيق مدروس، يُظهِر مهارة

قائد المجموعة وخبرتَه بالعمليَّة، فلربَّما أجهدوا أنفسهم بالسحب قبل أوان ذلك، وربما يبالغون في القطع فتقسط النخلة دون سحب، فتسقط حيث هي تشاء! وقد ينجم عن ذلك أضرارٌ بالغة، والخطر حين تسقط إلى الجهة التي يكون فيها الطلبة العاملون، لذلك فعملية القطع مدروسة مدة وموضعا.

خاتمة:

تفيدُنا القراءةُ الفاحصةُ لما كتبه الدبُّوز في موضوع الفلاحة والنخيل أنَّه كان ذا غيرة شديدة بالنخلة والفلاحة عمومًا، يعكِس ذلك اللغة التي كتَب بها، وتدقيقِ الوصف الذي فصَّل فيه الجانب الفنِّي أو الجماليَّ الذي حازته الفلاحة والنخيل، مع ملاحظة أنَّ الدبُّوز لم يُدقِّق في القاموس اللغويِّ حين تعرُّضه للأجزاء الدقيقة المكوِّنة للنخلة، ولا الأدوات التي كانت تستعمل، ومن الوفاء أيضا أن نذكِّر أنَّ التفصيل الذي اعتمدَه في تعرُّضِه للجانب التقنيّ كان وصفا دقيقا يصف المرحلة بتناهٍ بالـغٍ، ينمُّ عن تجربة وخِبرة بالموضوع، وما كان مجرَّد إسهاب وتنميقا للعبارة؛ كما لا يفوتُنا أنَّ نُنوِّه بقناعة الدبُّوز الراسخة أنَّ النخلة محضنٌ تربوي هام، فيه تكوَّن العظماء وتخرَّج النبهاء من الأعلام، وإن كان من توصيةٍ لمؤرخنا في الموضوع فهي دعوتُه لاقتفاء سيرة الأجداد مع الفلاحة والنخيل، إن نحن فعلاً أردنا

تخريج جيلٍ يتابع مسيرة الأجداد بالهمَّة والصفاء التي كانوا عليها.

أخيراً، لا يفُوتني أن أُذكِّر أنَّ منطلَقَ الكتابة في الموضوع كان بالأساس ذاتيًّا، فبَيني وبين النَّخلة علاقةٌ عريقة، تذكِّرني بالوالد عليه سحائب الرحمة والرضوان، ذاك الشهمُ العظيم الذي سار على درب الأجداد والعظماء في الاهتمام بالفلاحة والنخيل، وإني مُهدٍ له هذه القراءة، مترجِّمٌ عليه، وعلى شهداء النخلة الذين ماتوا وهم يخدمونها، ولو قمنا بإحصائهم لعجزنا، وهم من مختلف الأعمار والمهام. والحمد لله أولا وآخراً...

المصادر والمراجع:

1. الدبوز، محمد علي: **أعلام الإصلاح في الجزائر**، الجزائر، عالم المعرفة، ط1، 2013.
2. الدبوز، محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، الجزائر، عالم المعرفة، ط1، 2013.
3. الدبوز محمد علي: **تاريخ المغرب الكبير**، الجزائر، عالم المعرفة، ط1، 2013.
4. إبراهيم بحاز وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر.
5. ابن الأثير، مجد الدين: **النهاية في غريب الحديث والأثر**؛ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، دط، 1399ه
6. ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق: **إصلاح المنطق**؛ تح: محمد مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002.
7. ابن سيّده، علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم**؛ تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.
8. ابن قتيبة الدينوري: **غريب الحديث**؛ تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397ه
9. ابن قتيبة، الدينوري: **الشعر والشعراء**؛ دار الحديث، القاهرة،

ط1423.

10. ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت، ط3، 1414.
11. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون: **معجم اللغة العربية المعاصرة**؛ القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008.
12. أحمد مختار عمر: **معجم الصواب اللغوي**؛ القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008.
13. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي: **تهذيب اللغة**؛ تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.
14. الأصبهاني، أبو نعيم: **الطبّ النبويّ**؛ تح: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، ط1، 2006.
15. بكاي، سليمان بن سعيد: ألفاظ النخلة بالعربية والمزابية
16. الجاحظ، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**؛ بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1423ه
17. الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**؛ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت، ط4، 1987.
18. الخليل بن أحمد: **العين**؛ تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي؛ دار ومكتبة الهلال، دط.

19. رينهارت بيتر آن دوزي: **تكملة المعاجم العربية**، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، 1980.

20. الهاشمي، أحمد: **السحر الحلال في الأمثال والحكم**؛ بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط.

21. يوسف الحاج سعيد: **تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط4، 2017.

22. اليوسي، نور الدين: **زهر الأكم في الأمثال والحكم**؛ تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، الشركة الجديدة، ط1، 1981.

- المحور الخامس -

الشّيخ محمد علي دبوز اجتماعيًا ووطنيا

مفهوم المغرب ووحدته وكيف تفاعل معها الشيخ محمد علي دبوز

د. الحسين بوحبيل
جامعة قابس- تونس

ملخص:

مثّل موضوع "المغرب " ووحدته قضية من القضايا المركزية. و البحث في مثل هذه القضايا المركزية، قلّما يصلح معه منطق تجزئة المراحل التاريخية والفصل بين المنعطفات والأحداث وعزل التوترات والقطائع. تقتضي ضرورة البحث في موضوع "المغرب " البحث في طبيعة الامتداد التاريخي لهذه المنطقة وساكنيها والتأكيد على التواصل بين الحقب التاريخية ، وهو ما يساعدنا على الكشف على عمق التاريخ المشترك للمنطقة والعناصر الموحدة لعنصره البشري (البربر).

لقد اكتسى البحث في هذا الموضوع بعدا ذا طابع فكري جدلي وإيديولوجي ، ومن هنا كان من الضروري العودة الى البعد التاريخي من أجل تحديد **المغرب**: كمفهوم وشخصية لها مقوماتها الفكرية والاجتماعية والحضارية . وهو ما يؤكد وجود استمرارية وسيرورة تكوّن هذا المفهوم الذي نطلق عليه "المغرب العربي" رغم الاقرار بوجود بعض المنعطفات التي توحي بنوع من القطيعة والتوقف، هذا من جهة ومن جهة ثانية فان للماضي أهميته في فهم

قضايا الحاضر والراهن، بل أيضا في استشراف المشهد الممكن مستقبلا .

تقدم الكتابات الاستعمارية والاستشراقية عموما صورة قاتمة للمغرب العربي وتنفي وحدته. بينما تقدم كتابات "الانا" تاريخا مضيئا للمنطقة سبق الحضور الروماني وامتد لأكثر من 3000 سنة قبل الميلاد.

وأمام هذا الاشكال يكون البحث في الإرث التاريخي القديم والوسيط هو الكفيل بإقامة تناظر علمي- معرفي بين كتابات السيسيولوجيا الاستعمارية من جهة والكتابات المحلية منها كتاب **الشيخ محمد علي دبوز** : "**المغرب العربي** "ومن جهة أخرى يمكننا رسم ملامح التطور وصولا إلى التاريخ الحديث والمعاصر والراهن.

فكيف يمكن تقديم قراءة في مفهوم المغرب من خلال عناصر شخصيته: العنصر البشري وحضارته؟

وما هي الصورة التي تقدمها الكتابات الاستعمارية ؟

وكيف تفاعل معها المؤرخ الشيخ محمد علي دبوز؟

مقدمة:

مثّل "المغرب" موضوع بحث خلال فترات مختلفة ومن زوايا متعددة، وقُدّمت قراءات قد تصل إلى التعارض أحيانا، من ذلك

كتابات: شارل اندري جوليان، جاك بيرك، ألبير عيّاش، عبد الله العروي هشام جعيط، محمد عابد الجابري، محمد عبد الباقي الهرماسي، عبد القادر جغلول، والشيخ محمد علي دبوز،....

لقد اكتسى البحث في موضوع المغرب ووحدته طابعا فكريا جدليا وإيديولوجيا. ومن هنا كان من الضروري اللجوء إلى البعد التاريخي في جذوره الأولى البعيدة. فالبحث في وحدة المغرب، وتاريخه المشترك، وعنصره البشري الواحد، مثّل قضية مركزية، لا يمكن تناولها بمبدأ تجزئة المراحل التاريخية. كما لا يصلح تناولها من زاوية تاريخية خالصة، بل تقتضي ضرورة البحث العلمي، الانفتاح على أكثر من حقل معرفي كـ: الجغرافيا، الجغرافيا التاريخية[1]، الانثولوجيا والأنثروبولوجيا، واللسانيات،... بغية تجميع مادة علمية تكشف مدى الامتداد التاريخي المشترك والحضاري المتجانس للمنطقة.

فكيف يمكن تقديم قراءة في مفهوم المغرب من خلال عناصر شخصيته: حدوده الجغرافية وعنصره البشري وحضارته؟ وكيف تفاعل معها الشيخ محمد علي دبوز من خلال مؤلفه: المغرب الكبير[2] ؟

---

[1]- محمد حسن، **الجغرافيا التاريخية الافريقية، من القرن الاول الى القرن التاسع هجري**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا، 2004.

[2]- محمد علي دبوز، **المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية،2010.
http : //www.tawalt.com/

I. مفهوم "المغرب" وحدوده الجغرافية:

يمثّل "المغرب"، أو بلاد المغرب، معطى واقعيا وليس احتماليا، بل هو قابل للبرهنة عليه ماديا وذهنيا، أي ممكن الإثبات. فهو بذلك حقيقة ويقين يتمثل في الفضاء الجغرافي المشترك الذي له امتداداته، وموقعه وأبعاده.

اصطلح على تعريفه بعدة تسميات: بلاد اللوبيين، شمال إفريقيا، المغرب العربي، المغرب الإسلامي، المغرب الكبير، وهي العبارة والتسمية التي اعتمدها الشيخ محمد علي دبوز. فالتسميات متعددة والمسمى واحد[3]. لكن وراء كل تسمية موقف، يتستر به صاحبه، إما عرقيا أو دينيا – مذهبيا أو استعماريا.

تتحول لفظة "المغرب" من مصطلح إلى مفهوم، من حيث عمقها التاريخي، والشحنات الفكرية والثقافية والاثنية التي تحملها. لكن عن أيّ مغرب نتحدّث؟ هل المغرب الذي عرّفه البكري فقال عنه هو: " افريقية التي تمتد من برقة إلى طنجة"، أم عن المغرب المجزأ، أم هو وفق التسميات التي يطلقها الغرب، "شمال إفريقيا". بالطبع لا، لأن الجغرافيين يحددون الشمال الإفريقي بما في ذلك مصر. وإذا حددناه بقولنا هو غرب شمال إفريقيا، يمكن أن يقبل الجغرافيون،

[3]– راجع في هذا الشأن: عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1984، ص 29.

لكن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والثقافة، يرفضون هذه التسمية لأنها خالية من "الشخصية" و"الهوية". فهي تعبّر عن فضاء مجرد من كل أشكاله الحضارية والوجود الإنساني، وإذا أضفنا إلى لفظة "المغرب" أو عرّفناه بـ "أرض البربر"[4]،اعترض عليها أهل اختصاصات علمية عديدة، وهي أيضا لا تعكس الحقيقة التاريخية كاملة، لان فضاء "المغرب " ضمّ عديد العناصر البشرية لا البربر فقط ، خاصة إذا تناولنا المسألة في الزمن الرّاهن الذي هو محصلة السيرورة التاريخية لبلاد المغرب وما شهده هذا الفضاء من هجرات بشرية اختيارية أحيانا وقسرية أحيانا أخرى، من جهات مختلفة كما لا نلاقي الترحاب والقبول من أطراف أخرى عدة ،لان التسمية تحمل في طياتها نظرة عرقية[5] . ونفس الشيء إذا قبلنا بتسمية "المغرب العربي".

في ظل هذا الجدل الفكري القائم حول التسمية، هل يمكن أن نضع تحديدات دقيقة لفضاء المغرب ومفهومه بشكل علمي يخلو من مواقف مسبقة، محددات تدافع عن نفسها وتفرض وجودها وتمثّل ردّا على مختلف التسميات وخاصة الاستعمارية منها؟

اعتمد الشيخ محمد علي دبوز صفة أردفها إلى لفظة "المغرب" وهي "الكبير". وبذلك أصبح عنوان مؤلفه "المغرب الكبير". فالعنوان

---

[4]- امحمد المالكي، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1993 ، ص 37.

[5]- العروي ، **مجمل تاريخ**...، ص 39.

تكون من لفظتين، تحولتا الى مصطلحين وتحولا بدورهما إلى مفهومين، من حيث العمق التاريخي والشحنات الفكرية والثقافية التي تحيلنا عليها. فالمغرب كفضاء جغرافي اولا وحضاري ثانيا، أي بشري وبالتالي تاريخي واجتماعي وثقافي وسياسي... وهوما يمثل العمود الفقري للبحث.

أما المصطلح الثاني : "الكبير"، كصفة أطلقها الشيخ محمد علي دبوز، كصفة على المصطلح الأول. وهي لفظة قد تُحيل على الأبعاد والمسافات والامتدادات والأطوال والأعراض والحدود أيضا، لكنها قد لا تفي بالمعنى المرجو والمطلوب والمفكر فيه.

فالمغرب كفضاء قد يكتسي تحديد مفهومه طابعا مميزا لأنه تحول إلى مفهوم وليس رقعة من اليابسة او جزء من قارة، وبالتالي قد يكتسي هذا المفهوم جملة من الصعوبات والتعقيدات[6] . فكيف يرسم الشيخ محمد علي دبوز أبعاده؟

يقدّم الشيخ تحديدات جغرافية، فيقول في المغرب وحدوده: "هذا المغرب الكبير اذا بحثنا في حدوده في هذا العصر الحديث وجدناها من جهة الشرق قرية" السلوم" في غرب الاسكندرية. والمحيط الأطلسي من جهة الغرب، ويحده شمالا الغرب ومن

[6] - Abdallah Laroui, L'Histoire du Maghreb : Un essai de Synthèse, Paris, Maspero , 1976,p ; 10- 11.

جنوبه السودان: السنغال من جنوبه الغربي ومالي والنيجر من وسطه وتشاد وغرب السودان من جنوبه الشرقي"[7] .

إن التحديد الذي يقدمه الشيخ محمد علي دبوز غير دقيق، فحدد حدّه الشرقي بنقطة وهي قرية "السلوم" الليبية، وهذا التحديد غير دقيق رياضيا، وإذا قبلنا بهذا التحديد المتمثل في موقع القرية المذكورة، كيف يتجه جنوبا وشمالا، هل هو خط مستقيم، دون تعرجات، والاهم من ذلك أين ينتهي؟

وعند تحديده للحدود الجنوبية، اعتمد لفظة "السودان" ولا يعني بها دولة السودان المعاصرة، بل اعتمد مصطلحا قروسطيا اعتمده الرحالة والجغرافيون للتدليل على المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. كما لم تكن المحدّدات الزمنية دقيقة أيضا، فقال مثلا: "حدوده في هذا العصر الحديث..."، ونعرف أن التحديد الزمني للعصر الحديث، وان اختلفت المدارس في وضع حد زمني له دقيق ومتفق عليه، إلا أنها تُجمع على انه يبتدئ مع بداية القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر بالنسبة للمدارس الغربية . أما المدرسة المغربية فتربط نهاية هذا العصر بحدث احتلال الجزائر في بداية القرن التاسع عشر. ويضيف الشيخ في نفس الصفحة، حول الحدود فيقول: " هذه هي الحدود السياسية للمغرب الكبير الآن، وتلك هي حدوده في قديم الزمان، إلا أن جهة الشرق فان حده يمتد إلى غرب

[7]- محمد علي دبوز، **المغرب الكبير**، .... ، ص 12.

الاسكندرية"[8] .ثم يضيف فيقول: " أرى أن هذا التقسيم للمغرب قد وقع في عهد الملك الأموي عبد الملك بن مروان في آخر القرن الأول الهجري فهو الذي تم فتح المغرب في عهده"[9] .

لقد جمع الشيخ من الأزمنة العصر الحديث والمعاصر، باعتماده لفظة "الآن"، والتاريخ القديم والوسيط ، زمن الدولة الأموية. فهل يعني ذلك أن المغرب قد حافظ على الحدود نفسها خلال هذه الفترات المتعددة والمتباعدة زمنيا، وما شهده من تبدل في الدول والحضارات؟

حدد الشيخ فترة عبد الملك بن مروان (حكم 66 – 86 هـ / 685 – 705 م) بأواخر القرن الأول هجري دون دقة ولا تحديد لفترة حكم الخليفة الأموي المذكور. والأهم من ذلك انه ذكر أن في عهده تم فتح المغرب وهذا أيضا غير دقيق إذ أننا نعرف أن بداية التفكير في فتح بلاد المغرب كانت منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، في شكل حملات استطلاعية، وتجدّدت في عهد الخليفة عثمان (حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح). واتخذت الحملات شكلها الحقيقي زمن الدولة الأموية سنة 45 هـ، بحملة معاوية بن حديج. ولم يتم الفتح الحقيقي إلا على يد عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هجري، وتأسيس القيروان. وتعدّدت الحملات بعده إلى نهاية القرن الأول هجري.

---

[8]- نفس المصدر، الصفحة نفسها.

[9]- نفس المصدر، الصفحة نفسها.

نخلص إلى فكرة رئيسية مفادها أن الحدود التي قُدّمت للمغرب، سواء التي تضمنتها كتابات "الأنا" أم مدونات "الآخر"، لا تقدم مفهوما دقيقا للمغرب، لان هذه المنطقة ليست فضاء جغرافيا فحسب، إلى جانب أن حدوده كانت متحركة وغير ثابتة من جهتي الشرق والجنوب، على اعتبار أن حده الشمالي والغربي طبيعي وثابت. فحدوده الشرقية والجنوبية، متحركة اعتبارا للقوى المتنافسة على حيازة المجال، فكانت الحدود تبعد وتقرب اعتبارا لقوة هذا أو ذاك.

إن بلاد المغرب، ليست فضاء جغرافيا فحسب، بل هي بالإضافة إلى ذلك سيرورة تاريخية، لم يتحكم في نسجها الانتماء إلى الأرض فقط، بل أيضا إلى اللغة، والفن بأشكاله المختلفة، والأسطورة، والدين الوثني والتوحيدي والتاريخ المشترك، والتطور الاجتماعي وما أفرزه من تماثل حدّ الوحدة.

إن المعنى الذي يمكن أن نقدمه لـ "المغرب" هو معنى دينامي وليس جغرافيا. والغوص في هذا المبحث صعب موضوعيا ومنهجيا لما يتطلبه من تعدد الاختصاصات. والأصعب من ذلك هو الإقرار وإثبات الشخصية التاريخية للمغرب وسيرورتها وخصوصياتها وتفرّدها، وذلك سواء من حيث التحديد والتعريف للشخصية التاريخية، Personnalité historique، أم من حيث العناصر البشرية المكونة له ومميزاتها الشخصية أو من حيث الحقل الثقافي- الأنثروبولوجي.

ليست الغاية تكديس الصعوبات أو التشكيك في المفاهيم والقناعات بقدر ما نسعى إلى طرح الأسئلة والبحث لها عن أجوبة علمية مقنعة، تقنعنا وتقنع "الآخر" والى تدقيق المفاهيم في صرامة منهجية علمية. وتبعا لذلك نقول في خصوص فضاء المغرب هو ذاك الفضاء الاجتماعي- التاريخي، الذي يشمل الفضاء الواقع بين برقة شرقا وطنجة والبحر المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا والأطلسي غربا.

فهذا التعريف يقدم مشروعية جغرافية وبنية اثنية واجتماعية مشتركة، وهيكلة ثقافية نحتكم إليها من خلال نمط العيش والملبس والمعمار التي تعكس كلها شخصية وهوية محددتين ، ينضاف إلى ذلك لسان مميز ونمط تفكير وسلوك يومي وطقوس دينية وثنية وتوحيدية ، تؤلف كلها **الذاكرة الجماعية** لبلاد المغرب، رغم ما تحتويه من تنوع لكنها لا تبلغ مبلغ التنافر والتباين.

إن البحث في مثل هذه القضايا صعب منهجا ومحتوى وموضوعية لتنوعه المعرفي: جغرافي، تاريخي، سيسيولوجيا، أنثروبولوجي، تاريخ وقائع...الأنساب ...فهو مبحث على درجة كبيرة من التعقيد والدقة والحساسية.

فالبحث في مفهوم المغرب يتداخل فيه ما هو طبيعي جغرافي، وما هو تاريخي عميق يعود إلى عصور ما قبل التاريخ ثم القديم

فالحديث والمعاصر والراهن. إنه شرط حتى نفهم مفهوم المغرب في امتداده التاريخي والإنساني- الاجتماعي والثقافي والسياسي.

لقد اختار الشيخ محمد علي دبوز البحث في بلاد المغرب في أبعاده المختلفة والمتعددة، وهو ما يطرح جملة من الصعوبات والقيود أمام الفكر الفرد.

أما على المستوى المنهج، فأي منهج يمكن أن يمنحنا إمكانية الإلمام موضوع كهذا في اتساعه التاريخي والجغرافي وتنوع موضوعاته وتشعبها، خاصة إذا علمنا أن كل موضوع في العلوم الإنسانية والاجتماعية يفرض طريقة آو طرق تحليله، حسب طبيعته. في حين أن الشيخ اقتصر على المنهج التاريخي المحض الذي يلاحق الحدث ويؤرخ له، بشكل تقريري ، دون مسائلة أو نقد[10]. فانفتاح علم التاريخ على المناهج الجديدة لم يتوقف ولم ينقطع بل استمر وتقوى حتى اصبح أهم المبدعين في ثقافتنا المغاربية المعاصرة والراهنة من فئة المؤرخين أساسا مثل عبد الله العروي وهشام جعيط...فالتجديد الذي يمارسونه ينحصر في المنهج ولا يطال الآراء والمواقف.

---

[10] - A.Corvisier, Sources et Méthodes en Histoire Sociale, Paris, SEES, 1980, p.29.

انظر ايضا في هذا الشأن:

عزيز العظمة، **الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية : مقدمة في اصول صناعة التأريخ العربي**، دار الطليعة، بيروت، 1983 ، ص 8 .

لقد أراد الشيخ محمد علي دبوز، من خلال مؤلفه "المغرب الكبير" مساءلة التاريخ، والبحث عن مفهوم لـ "المغرب" فرام الكتابة التاريخية بمنوال تأليفي على النمط العربي الإسلامي، الذي يقوم على الموسوعية والشمولية وتتبع الحوادث والوقائع والتأريخ لها وتتبع كل ما هو متاح حولها من مكتوب ومروي، ويقع التعامل معها بعقلية نقدية محدودة. وليس المقصود بالعقلية النقدية، مستوى المنهج فقط، بل أيضا مستوى طريقة الكتابة واعتماد الحجج النقدية[11]. وفي غياب العقلية النقدية يقول كارل بوبر: " إننا إذا لم نتخذ إزاء النظريات موقفا نقديا ، فسوف نعثر، دائما، على ما نريد، أي أننا سنبحث عما يؤيدها، وسنجده، وسنصرف النظر عن كل ما يمكن أن يهدد النظريات التي نفضّلها، فلا تقع عليه أبصارنا. وهكذا يسهل الحصول على ما يبدو لنا حجة هائلة على صدق نظرياتنا"[12] .

ويعتمد الشيخ في عملية التدوين أسلوبا تربويا (العبرة) فيرد على لسانه: "... التاريخ الذي نقصد به تربية المجتمع وتهذيبه..."[13].لقد فرضت هذه الرؤية التربوية الأخلاقية للتاريخ نفسها بين المؤرخين المسلمين، وقد جسّد ابن خلدون في مقدمته هذا التوجه فيقول: " اعلم أن فن

---

[11]- كارل بوبر، **اسطورة الاطار**، ترجمة: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 292 ، الكويت ، ابريل – مايو ، 2003 ، ص 29 .

[12]- بوبر كارل، **بؤس الايديولوجيا: نقد مبدا الانماط في التطور التاريخي**، ترجمة: عبد الحميد صبرة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1 ، 1992 ، ص 138.

[13]- محمد علي دبوز، المغرب الكبير، مصدر مذكور، ص 43 .

التاريخ فن غزير المذهب ، جم الفوائد، شريف الغاية، اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرتهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك ..."
لقد اعتمد الشيخ التاريخ وسيلة من أجل تكريس مفهوم "المغرب الكبير" وتتبع مراحل تطور شخصيته في شكل كرونولوجي من التاريخ القديم زمن القرطاجيين إلى المعاصر وما عرفته المنطقة من موجة استعمارية، مرورا بالتاريخ الوسيط والحديث. ولا مانع في اعتماد المادة التاريخية بغرض تأكيد سيرورة تكون هذا المفهوم، على الرغم من وجود منعطفات قد تؤكد عكس ما نبغي.

لقد تأثر الشيخ محمد علي دبوز بالمدرسة التاريخانية وركز جهوده على تحديد الصلة القصوى والنهائية للتاريخ من خلال تجاوز الوقائع المتفردة، فلا يذكر مثلا تاريخ الهجرات التي وفدت على المغرب ولا أعدادها ولا مكوناتها وطريقة قدومها والطريق الذي سلكته، وانصب اهتمامه بما هو كلي وعام وشمولي بغية استخلاص مبدأ مفسر لحركة التاريخ ، تمثلت في فكر الشيخ إن كل الوفود التي قدمت المغرب ذابت في سكانه المحليين.

لكن هل المادة التاريخية لوحدها، دون اللجوء إلى المباحث الانتروبولوجية والثقافية ...كافية للوصول إلى المبتغى، خاصة وان الفترة التي ظهر فيها المُؤلف لم تشهد عدة علوم التطور والظهور الحقيقي كعلم الآثار (الاركيولوجيا)، والأنثروبولوجيا، واللسانيات...وهي

وسائل كفيلة بإغناء البحث وإكسابه المشروعية العلمية والموضوعية وتكون قادرة على الرد على الكتابات الاستعمارية[14] . فعلم الاثار وعلم الأنثروبولوجيا، قد أمدانا بقدر من المعلومات عن سائر جوانب الحياة يفوق كثيرا ذلك القدر الذي وفرته المصادر التقليدية...وأن دور علم الاثار في إثراء المعرفة التاريخية قد امتد الى كل الفترات التاريخية ليمثل مصدرا رئيسيا من مصادر المعرفة. فضلا عن أن الآثار قد امتازت بميزة أساسية هي أنها لم تكن موجودة لتكون تاريخا وإنما هي وجدت نتاجا تلقائيا وعفويا.

لقد رام الشيخ محمد علي دبوز الكتابة التاريخية بتقنية الرواية والسرد، وأغفل تحليل الفعل الإنساني. فالتفسير يحمل وجهة نظر وتكمن قوته في الكشف عن المادة التاريخية التي منها نستخلص المفاهيم وتكوين مادة جديدة. فالأساس في فهم التاريخ ليس إعادة تركيب، بل أكثر من ذلك، هو تحليل المواقف. إن فعل فهم التاريخ يحتوي على تأويلات المؤرخ، على أن يكون التأويل مدعما بسلسلة من الحجج والدعائم اعتمادا على سندات مختلفة موثقة.

فالتاريخ ليس مجرد تدوين لأحداث تمت ووقائع مضت، فالتدوين ما هو إلا خطوة تتمثل في نقل المحفوظ، والمتوارث إلى المكتوب. بينما تختلف عن ذلك عملية التأليف التاريخي. وهي مرحلة تالية وأرقى من الأولى (التدوين) وتتم فيها عملية إعادة قراءة

[14] - E.F.Gautier, Le Passé de l'Afrique du nord : Les siècles obscurs, Paris, Payot, 1952, p.24.

وإعادة فهم للتاريخ المدون. وهذه المرحلة هي على درجة عالية من الخطورة والأهمية، إنما هي تعبّر عن درجة نضج فكري وحضاري، وعن مدى ترابط الحاضر بالماضي أكثر من عظمة الماضي.

فنظرتنا للتاريخ كما يقول بروديل : " تعبّر عن توتراتنا في الحاضر وتوقعاتنا من المستقبل".

فالدراسات التاريخية التقليدية، تجعل من التاريخ نظاما تعليميا وأكاديميا بمفهومه التقليدي، يعتمد على دراسة حركة الإنسان في بعدها الرأسي الصاعد، او من حيث موقعها الزمني وفي أفقها الممتد أي من حيث موقعها المكاني. فقد ظل التاريخ لفترة طويلة يعتمد على شهادات جزئية يستمدها من المصادر التقليدية، وظل المؤرخون يعتمدون على هذه الشهادات التاريخية الجزئية في محاولة اعادة تصوير الماضي وفق منهج استردادي يحكي "ماذا " حدث. ولكن تغير الوظيفة الثقافية للتاريخ جعل هذا النمط من الدراسة التاريخية السردية غير كاف لاشباع الرغبة في المعرفة التاريخية، ومن هنا اعتمد المؤرخون الجدد على مصادر غير تقليدية.

إن الرؤية التقليدية للتاريخ والتي يتبناها الشيخ محمد علي دبوز وأبناء جيله من المغاربة، تقدم رؤية "كلية" ، "شمولية" للأحداث والوقائع، وتقفز فوق التفاصيل ولا تعير العلاقات بين الزمان والمكان أي اهتمام ، ولا تهتم إلا برسم صورة كلية تحمل الرموز والمفاهيم والقيم الاجتماعية.

فهل كان الشيخ محمد علي دبوز من خلال كتابه "المغرب الكبير" مؤرخا محترفا أم هاويا؟

II. قراءة في مفهوم المغرب من خلال عناصر شخصيته.

أمام ندرة الوثائق، خاصة في فترات ما قبل التاريخ، وهيمنة الوثائق الكلاسكية اليونانية والرومانية في فترة التاريخ القديم، فقد سيطرت الفرضيات على تقديم صورة عن الشخصية المغربية في عنصرها البشري، واجتماعياته (التنظيم الأسري والقبلي والسياسي) وفي منتوجها الثقافي والحضاري.

أمام هذه الصعوبات الجمة، ننطلق بدورنا من فرضية ونحاول تأكيدها كحقيقة: هناك شخصية وهوية للمغرب، تميزت بالتطور والتغير والاستمرارية عبر العصور. وهو ما تحاول الأدبيات الاستعمارية تأكيد نقيضه من خلال التشكيك في الأصل الواحد للسكان الأصليين لبلاد المغرب ونفي كل أشكال الإنتاج الحضاري، وهم من وراء ذلك يسعون إلى أن تكون المنطقة دون هوية وغير قادرة على تأكيد وحدتها واستقلاليتها والغايات معروفة.

عمدت الأدبيات الاستعمارية إلى التشكيك في أصول العناصر البشرية التي استقرت مبكرا ببلاد المغرب، بغاية نفي الشخصية المغربية التي تجمع مختلف العناصر التي انتسبت إلى المنطقة. واستعملت هذه الأدبيات لتأكيد فرضياتها عدة تسميات كالنوميديين، المور، الجيتوليين،

اللوبيين (الليبيين) ...[15]. وهي في الأصل تسميات لفروع من البربر لكنها وظّفت للتأكيد على غياب العنصر الواحد وبالتالي غياب الوحدة.

يورد الدكتور عبد القادر جغلول في مؤلفه " مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط" ، نظرة حول الجدل الدائر حول أصل البربر فيقول حول أهمية الموضوع: " إن المقدرة الصحيحة على نقل وقائع الماضي هي أحد عناصر الوعي القومي المتجانس والديناميكي، القادر على مجابهة الحاضر والتطلع إلى المستقبل "[16].

وللإجابة عن سؤال أصل البربر، نحن إزاء نظريتين: واحدة تردهم إلى أصل أوروبي، والأخرى تردهم إلى أصل شرقي. ولكن النظرية التي تبناها الشيخ محمد علي دبوز تجعل خط الهجرة من المشرق في اتجاه المغرب، ومنه إلى أوروبا فيقول: " أول من سكن مغربنا جماعات من أبناء يافث انتقلوا إليه من المشرق ومنه انتقلوا إلى أوروبا كما تدل على ذلك الآثار والنصوص الصحيحة"[17]. وتجدر الإشارة هنا انه لم يذكر لنا عن أي آثار يتحدث هل هي ببلاد

---

[15]- رئيس حسين، " بعض جذور الاشكالية الثقافية بالمغرب العربي" **شؤون عربية**، عدد 30 ، آب / اغسطس 1983 ، ص ص 22 – 30 .

[16]- عبد القادر جغلول ، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، ترجمة: فضيلة الحكيم ، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1988 ، ص 5 .

[17]- محمد علي دبوز، **المرجع السابق**، ص 26 .

المغرب ووجود مثيلاتها أو شبيهها بأوروبا في فترة زمنية لاحقة، كما لم يفصح لنا عن النصوص التي اعتمدها ويقول عنها "صحيحة ".

ومن أكثر النظريات إجحافا في حق البربر ما صدر عن ارنست فليكس غوتيية، في مؤلفه: "ماضي إفريقيا الشمالية: القرون المظلمة"[18]. والأكثر تحاملا على البربر حتى قالت عنه لوست فالنسي: "أكثر الكتب إثارة للأعصاب"[19]. فهو، أي ارنست فليكس غوتيية، قد أنكر أن يكون البربر عنصرا واحدا فيردد : " منهم الغلاظ والقصار، وذوي اللون الأشقر والزنوج...موسومين بمتانة الجسد وصحته"[20].

لا تخفي كل الكتابات تقريبا، التي تناولت البحث في بلاد المغرب وسكانه وحضارته، ما تميز به البربر من قوة بدنية ومتانة الجسد، كما لم تنكر تعدد ألوان بشرتهم، لكن هذا لا يدعو إلى السخرية والتهكم، والادعاء. فكيف يبرر الشيخ محمد علي دبوز هذه الصفات ؟

يرد الشيخ هذا التنوع في اللون إلى الهجرات المتعددة التي كانت وجهتها ومقصدها بلاد المغرب فيقول:" ليسوا (البربر) خليطا من شعوب شتى كما يعي المغرضون من المؤلفين... لقد رأوا جماعة من الفرس وجماعة من اليهود وجماعة من الزنوج تهاجر إلى المغرب... وتختلط بالبربر وتفنى فيهم. فقالوا: إن البربر مزيج من

---

[18] - E.F.- Gautier, **Le Passé de l'Afrique du nord : Les siecles obscurs**, Paris, Payot, 1952.

[19]- لوست فالنسي، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر ، 1710 – 1830** ، ترجمة: الياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1980 ، ص 147 .

[20] - Gautier**, Le Passé de l'Afrique**…op. cit.p. 19 – 22.

الدماء وأخلاط من الشعوب لامتزاج تلك الجماعات الصغيرة في الشعب البربري العظيم"[21]. ويضيف في موضع آخر دون تحديد لفترات الهجرات التي توافدت على بلاد المغرب فيقول: "إن الجماعات ...التي انتقلت في فترات متباعدة إلى المغرب فاستقرت فيه، إنما هي جماعات من الفرس، وجماعة من الاسرائليين من الشام، فاختلطوا بالبربر فذابوا فيهم. وقد انتقلت إليهم جماعة من الفلسطينيين وجماعة من المصريين، وجماعة من السودان فذابوا فيهم وامتزجوا بهم كما تمتزج الساقية بالنهر ويختلط المعدن بجنسه لأنهم من أصل واحد"[22] .

نستنتج مما يرد على لسان الشيخ محمد علي دبوز أن التنوع البشري ببلاد المغرب ثابت تؤكده النصوص القديمة التي تعرضت إلى الهجرات الوافدة على بلاد المغرب. لكن الشيخ لا يتعرض في حديثه عن هذه الهجرات فذكر مناطق انطلاقها دون ذكر لتاريخها وهل كانت متزامنة آم لا؟ كما انه يصرّ على ذوبان هؤلاء الوافدين في العنصر المحلي. لكن السؤال الذي يُطرح لماذا لم يفن ولم يذب العنصر المهاجر إلى بلاد المغرب في العصر الحديث والمعاصر فبقي التركي تركيا والأوروبي أوروبيا ؟

---

[21]- محمد علي دبوز، **المرجع السابق**، ص 37 .

[22] - **المصدر نفسه**.

وينهي التحليل نهاية أدبية، غير مقنعة، عندما يقارن الاختلاط البشري كاختلاط المادة، فهو بذلك لا يُقيم لعملية التثاقف القائمة على عملية التأثير والتأثر بين العناصر البشرية كلما اجتمعت دون أن يكون للعدد تأثير أحيانا، ففي كل مرة يرجح كفة السكان الأصليين وسيطرتهم وغلبتهم.

ويستطرد متنازلا عن موقفه السابق، ويُقيم فرضية، ويروم المُضي في مناقشتها، لكنه لا ينهيها بشكل علمي بل بالهروب إلى التاريخ البعيد جدا فيرد كل الأجناس البشرية التي وطئت أقدامها بلاد المغرب كلها من أبناء حام بن نوح فيقول: " وإن فرضنا بقاءهم (الشعوب المهاجرة) على شخصيتهم لم يذوبوا فكانوا أصولا لفروع شتى من البربر لا نستطيع الادعاء أن البربر مزيج من شعوب شتى لأن هؤلاء أصلهم هو أصل البربر فكل الفلسطينيين والمصريين والسودانيين أبناء حام بن نوح عليه السلام"[23].

وحول ادعاء قبيلة كتامة وصنهاجة وهوارة أن أصلها من اليمن، فان الشيخ محمد علي دبوز يُنكر عليها هذا الادعاء مؤكدا ن هذه القبائل بربرية، وما ردّها إلى الانتماء إلى العرب اليمنيين إلا إعجاب أهل المشرق بقوتهم فيقول في ذلك: " ... فكتامة وصنهاجة وهوارة من جملة شعوب البربر... والذي دعا المؤرخين المشارقة إلى هذا

[23]- المصدر نفسه ، ص 37 – 38.

الزعم (أصلهم من اليمن) هو إعجابهم بالبربر وبطولتهم فألحقوهم بهم..."[24].

يتقابل ما انتهى إليه الشيخ بما نقله لنا المؤرخ الطبري(224 – 310 هـ) فقال: " ... وعميلق وهم من العمالقة ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مأرب ، بن عميلق بن لوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة"[25]

ويستطرد الشيخ حول ادعاء المشارقة بأن كتامة وصنهاجة ليست من البربر لانبهارها بقوتها فنسبوها الى اليمن ، لكن إذا كان فعلهم قد وصفه بالادعاء فكيف سيفسر ادعاء قادة أصيلي المغرب بان أصلهم عربي؟

لقد ردّ سبب ادعاء بعض القبائل "البربرية" إلى العرب إلى حب القيادة والزعامة وكذلك شأن بعض القادة والزعماء. ويرد السبب الأول في ما أقدمت عليه هذه القبائل والزعماء إلى صنيع عربي مقيت، فيقول في ذلك: " وكانت الخرافة والبدعة الممقوتة التي وضعها بنو أمية وبنو العباس في الدين لتعصبهم لأنفسهم وهو وجوب إسناد رئاسة الدولة الإسلامية إلى قريش والى العرب وحدهم... فاعتقدتها الدهماء مما حدا بكثير من ملوك البربر

---

[24] – **المصدر نفسه** ، ص 40 .

[25] – اورده: ابراهيم كريدية، **السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب**، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، (د.ت) ، ص 14 – 15 .

وأمرائهم كمحمد بن تومرت ويوسف بن تاشفين إلى الادعاء بأنهم من سلالة العرب..."[26].

خاتمة:

لئن مثل العمل الذي قدمه الشيخ محمد علي دبوز، عملا موسوعيا، جمع فيه مادة تاريخية من عصور ما قبل التاريخ إلى بداية النصف الثاني من القرن العشرين، فهو عمل موسوم بالشمولية في أسلوب سردي روائي .

أكدت كل الدراسات التي تناولت بالبحث بلاد المغرب على تعدد الهجرات الوافدة ، لكن الشيخ دبوز لم يعط لعملية المثاقفة التي يمكن أن تحصل بين الأفراد والجماعات أي مكانة. كذلك فإننا نؤكد على حصول هذه العملية منذ القدم وعلى استفاد سكان بلاد المغرب منها وأفادوهم، وما الحضارة التي ظهرت إثر عملية تمازج الحضارة الفنيقية الشرقية وحضارة البربر المحلية إلا ثمرة لتلك المثاقفة أطلق عليها المؤرخون اسم الحضارة البونية أو البونقية.

إن بلاد المغرب وعناصر شخصيته: الإنسان والإرث التاريخي حقيقة قابلة للبرهنة، انطلاقا من وحدة المجال والانتماء إلى تاريخ مشترك وعلاقاتهما بالآخر التي تميزت بطابع الرفض أحيانا وبالتفاعل أحيانا أخرى، هي التي أسست الوحدة الوطنية المغربية في

[26]- محمد علي دبوز، **المصدر السابق**، ص 40 .

اختلافاتها الاثنية واللغوية وتنوع أشكالها الحضارية التي يجب أن نؤمن بها. أما الوحدة ذات اللون الواحد فقد تعذر تحقيقها بحد السيف على طول تاريخ الحضارات التي سادت ثم بادت وعمرت بلاد المغرب.

ويبقىالبحث في مفهوم المغرب ووحدته حقيقة قابلة للإثبات إلا أنها تتجاوز قدرات الفرد الواحد والعلم الواحد والمنهج الواحد.

قائمة بيبليوغرافية:

- امحمد المالكي، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1993.

- ابراهيم كريدية، **السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب**، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، (د.ت).

- بوبر كارل، **بؤس الايديولوجيا: نقد مبدا الانماط في التطور التاريخي**، ترجمة: عبد الحميد صبرة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1 ، 1992.

- رئيس حسين، " بعض جذور الاشكالية الثقافية بالمغرب العربي" **شؤون عربية**، عدد 30 ، آب / اغسطس 1983 ، ص ص 22 – 30 .

- عبد القادر جغلول ، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، ترجمة: فضيلة الحكيم ، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1988.

- عزيز العظمة، **الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية : مقدمة في اصول صناعة التأريخ العربي**، دار الطليعة، بيروت، 1983.
- كارل بوبر، **اسطورة الاطار**، ترجمة: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 292 ، الكويت ، ابريل – مايو ، 2003.
- محمد حسن، **الجغرافيا التاريخية لافريقية، من القرن الاول الى القرن التارسع هجري**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا، 2004.
- محمد علي دبوز، **المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية،2010.
عبد الله العروي، **مجمل تاري خ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1984.
- A.Corvisier, **Sources et Méthodes en Histoire Sociale**, Paris, SEES, 1980.
- Abdallah Laroui, **L'Histoire du Maghreb : Un essai de Synthèse**, Paris, Maspero, 1976.
- E.F.Gautier, **Le Passé de l'Afrique du nord : Les siècles obscurs**, Paris, Payot, 1952.

الإصلاح وأثره في مبدأ الوطنية من خلال كتابات الشيخ محمد علي دبوز
ترجمته لمبارك الميلي وأبي اليقظان كنماذج

د. محمد تمزغين
جامعة الجزائر 1

مقدمة:

يعتبر الإصلاح مبدأ عاما للحياة انتهجه علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، باعتباره عاملا أساسا لنهضة الأمة ورقيها، ومخرجا لها من الآصار والأغلال التي تعيش تحت وطأتها.

ومن أبرز تلك الأغلال أغلال الاستدمار الذي ينهش خيرات الأمة ويستعبد أصحابها ويدمر قيمها وشخصيتها.

ومن أبرز الوسائل التي وظفها علماء الجزائر لذلك تنميةُ روح الوطنية في النفس وترسيخ قيم الشخصية المسلمة الجزائرية، والجهاد بالقلم الى الجهاد بدفع العدو والثورة عليه.

ومن الذين دوّنوا هذا العمل وسطروا تلك الجهود الشيخ محمد علي دبوز، فلم يكن كاتبا أمينا فحسب بل كان راصدا دقيق النظر في بنيات الأفكار وخلفيات المواقف، محللا مقارنا، بأسلوب أدبي تعلوه مسحة تربوية لا يخطئها قارئ كتاباته كأعلام الإصلاح في الجزائر أو نهضة الجزائر الحديثة وثوراتها المباركة أو تاريخ المغرب الكبير.

ومن هنا تأتي هذه الورقة تجلي شيئا من تلك الأبعاد المتعلقة

بالإصلاح وأثره في ترسيخ مبدإ الوطنية، وذلك من خلال ترجمة الشيخ محمد علي لعلمين من أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهما مبارك الميلي وأبو اليقظان.

فكيف تناول الشيخ دبوز موضوع الإصلاح ومبدأ الوطنية في كتابته الأدبية وتأريخه لهذين العلمين !؟ هذا ما تحاول الورقة الإجابة عنه موظفة المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن. معتمدة على ما دونه الشيخ دبوز في كتابه أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء الثالث خاصة.

ستتناول الورقة الموضوع في محورين اثنين. الأول لجوانب الإصلاح ومبدإ الوطنية في سيرة العلمين من منظار الشيخ دبوز. والثاني عن توظيف الكتابة التاريخية والأدبية للتربية والإصلاح عند الشيخ دبوز.

المحور الأول: جوانب الإصلاح ومبدأ الوطنية في سيرة العلمين من منظار الشيخ دبوز.

أولا: جوانب الإصلاح في سيرة العلمين:

يطلق الإصلاح في اللغة على معاني التعديل والتغيير والتطوير، فالإصلاح هو جعل الشيء صالحا، وإصلاح ما به من فساد وتغيّر

ولو طبقنا هذا المفهوم على الأعلام الثلاثة فإننا نجدهم يرومون إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري، مما طرأ عليه من خرافات في الأفكار والتصورات، وخلل في الأعراف والعادات بحيث لم يعد هذا المجتمع

قائما بذاته، يقوم بشؤون أفراده، ويرقى إلى مصف الحضارة والمعالي.

والسؤال هنا هو: ما هي جوانب الإصلاح التي رعاها هؤلاء الأعلام!؟ وركز عليها الشيخ الدبوز ؟!

يمكن الإجابة عن هذا السؤال ببيان الميادين التي كانت مجالا للإصلاح، والوسائل المستعملة لذلك، المؤهلات،

- المؤهلات:

للقيام بالإصلاح الاجتماعي فقد تأهل هؤلاء الأعلام بمؤهلات كثيرة، وهنا يأخذنا الدبوز إلى طرائق صقل شخصياتهم والحديث عن خصائصهم،

فمن ذلك **البيئة الطبيعية والتنشئة الاجتماعية** التي نشأوا فيها، وقد اعتنى الدبوز بهذا الجانب اعتناء خاصا، اسمع إليه يتحدث فيقول: "ما أثر بيئته[العلَم] الطبيعية والاجتماعية التي نشأ فيهما في شخصيته؟ وما هي العوامل التربوية التي بنته في كل نواحيه في طفولته وشبابه؟ هذه هي الأبواب المهمة في تاريخ الزعماء يجب بسطها[1]"

فيذكر المؤرخ صلاح ذوي الشيخ، وأن صلاح الأصل يؤذن بصلاح الفرع، مثل ما ذكر في جدة مبارك الميلي والذي أورث شيخنا

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 16

الخلق الطيب[1]، وكذلك اعتناء أسرة الشيخ مبارك بابنهم والاحتفاء به، مثل احتفالهم وفرحهم الكبير لحفظه للقرآن الكريم[2]، وهذا من التقدير ولتحفيز الذي يدعو النشء إلى مزيد الإقبال على كلام الله عز وجل. ومن ذلك تربية جده له بأن يعمل ابتغاء رضوان الله، وأن يكون الله هو الأول والآخر في عمله "يبتغي رضاه، ويستعين به ويتوكل عليه"[3]، ويضيف الدبوز لمسته فيقول:" وهذه لعمري قاعدة الإرادة الجبارة والعزم والتصميم والمضي إلى الغاية بقوة الصواريخ العابرة للقارات"[4].

كذلك فإن لتربية الجد وتشجيعه ولده وتحديثه عن النبغاء وأهل العلم أثره البارز في ولده، يقول الدبوز:" يربت [جده] ويضمه إلى صدره، فيثني على نبوغه وحبه للكتّاب، ويحدثه عن علوم العربية والدين، ويحببها إليه ويمنّيه أن يبعثه إلى معهد من المعاهد التي أنشأتها بعض الزوايا في شمال قسنطينة للعلوم العربية والدين"[5]. ثم يعلق الدبوز فيقول: "وهذه الغاية العظيمة أن يتقن علوم العربية والدين في معهد فيكون من العلماء، فصار مثله الأعلى الذي يشغفه منذ

[1] م ن، 26/3.
[2] أعلام الإصلاح في الجزائر، 25/3
[3] م ن، 32/3
[4] م ن، ص ن.
[5] م ن، 33/3

الصبا، وكانت هذه الغاية قد وجهه إليها معلمه في الكتاب أيضا"[1].

وهنا يركز الدبوز على المثل الأعلى، وعلى التقدير، والتحفيز، والتعزيز بالوعد الطيب، وكلها مؤثرات في تنشئة العلم وتوجيهه.

كذلك فمن تلك التنشئة يركز محمد علي على البيئة الطبيعية وعمل الإنسان فيها وكيف تورث فيه الأثر الحسن، فيذكر الطبيعة ويقول: "إن هذه الجبال وتلك الهضاب هي التي خلق النفوس العظيمة وتعلم أبناءها أن تحمل الأثقال مثلها ويكونوا ثابتين مثلها في الأهوال لا تزلزلهم القوارع، وتعلمهم بشموخها العزة والطموح والتسلق دائما إلى العلى، وتطبعهم أحراج تلك الجبال التي يسكنونها بما تطبع الأسود، تملؤهم بالشجاعة الخارقة التي يمتاز بها أجدادها في المغرب العربي، والإرادة القوية، والإقدام والمغامرة، وبأمطارها الغزيرة في أغلب فصول العام خصب النفوس فتحب الخير وخصب القرائح فتغرم بالعلوم وتنبغ فيها"[2].

والذي يهمنا في مقالنا هو ذلكم التحليل لأسباب النبوغ وإبراز أثر البيئة الطبيعية في النفس، وبالفعل فكم أثرت البيئة في الإنسان سلبا وإيجابا.

وهو ما يقف عنده أيضا لما يتناول الفرق بين سكان البادية

---

[1] م ن، ص ن.

[2] م ن، 20/3

وسكان المدينة، فيسمي الأول بخلق الأمانة، بينما يصف الأُخر بخلق التوحش[1]. وإن لم يكن ذلك على الإطلاق، فإن للفرق بين البادية والمدينة أثره البين لا يخطئه إلا خاطئ.

كذلك فإن العمل في الفلاحة يؤثر تأثيرا كبيرا في الشخصية، كما يذكر الدبوز، وقد أشار إلى هذا الجانب عند علمين من الأعلام الثلاثة، وهما الميلي وأبي اليقظان.

فيذكر عن جد الميلي أنه: "كان فلاحا عمالا، فبنته الفلاحة بناءها القوي الزكي في كل نواحيه... قد آتاه الله من الفلاحة وعرق الجبين مالا كافيا عاش به هو وأسرته في عز وهناء، فنشأوا على عزة النفس وعلى الإباء والشجاعة والصراحة والوضوح... فببنته مدرسة الفلاحة التي تدجج الفلاح بأخلاق الرجولة وتغرس فيه حب الوطن والغيرة عليه، وتورثه قوة البنيان والوجدان"[2]

ثم يعود إلى الفلاحة وقد وظفها أبو اليقظان في التربية وإعداد النشء، فقد كان تلاميذه "يدرسون صباحا، وقبل الدراة في الصباح، ثم بعد الظهر ينتقلون إلى الفلاحة" نخيلا وكسرا للأرض بالفأس...[3]

بل إن التمسك بخدمة الأرض ومصدر العيش أثر سلبا في

---

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 24/3

[2] م ن، 17/3.

[3] م ن، 192/3

الأعلام فضَعُف اهتمام الأولياء في تنمية النبوغ المعرفي لأولادهم، بل حرصهم على الاستفادة من أولادهم في عاجل أيامهم لا مستقبلها، يقول:" إن ما يجب من العلم للأبناء في ذلك العهد في نظر جل الآباء هو حفظ كتاب الله أو ما تيسر منه، وحفظ الصلاة ومعرفة المبادئ في القراءة والكتابة [فمن حصلها]... فيجب عليه أن يدخل الميدان العملي، وكان للأغلب الفلاحة... إنها مدرسة عظمى، ولكل لجل الأبناء، أما النبغاء كمبارك فيجب لهم اتجاه آخر، إلى معاهد العلم ليكونوا من العلماء يرابطون في ثغور الأمة العظمى"[1].

وهو الموقف نفسه اتخذه عم مبارك في ابن أخيه لما رده الزاوية إلى الفلاحة مرة ثانية، وهنا يعلق الدبوز تعليقا طريفا، يقول:" لقد زادت [الفلاحة] في جلَده وإرادته، وأيقظت صعوبات الفلاحة والرعي شخصيته وهيأته لجهاده العلمي الصعب، والإصلاحي الطويل... إن ما وقع لمبارك من عمه أحمد غُنم ساقه الله إليه على يده، لقد أدخله مدرسة الرجولة في الحقل والمرعى لتعده لمدرسة العلوم...إنه لا يذكي الرغبة كالحرمان المؤقت"[2]

ويضيف الدبوز عاملا آخر في التربية وهو ربط النشء بالمسجد والعبادة خاصة الصلاة، يقول:" وكان المعلم يأمر التلاميذ بصلاة الجماعة...وكان كتّاب القرية في مسجدها...وكان الأولياء يأمرون أبناءهم

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 36/3

[2] م ن، 38/3

الصغار بالصلاة من السنة السابعة من أعمارهم"[1]. كما حبب إليهم المساجد من خشوع ولقاء وتلاوة وذكر وعبادة وأنس بالمساجد[2]

ومن مؤهلات الأعلام للإصلاح الاجتماعي، نجد **الشيخ البارع** كما يصفه محمد علي دبوز، فلا يناسب الطموح في التلميذ إلا البراعة في الشيخ، يقول عن مبارك الميلي: "إنه عظيم الطموح، يريد أن يكون علاّمة في العربية والشريعة، وهذا يستلزم أستاذا بارعا علاّمة يسايره في مختلف مراحله ويرتقي به إلى الدرجات العالية في العلوم"[3]

وهنا يعدد الشيخ دبوز معلمي علمينا، فيذكر الشيخ محمد الميلي، ويدخل الدبوز في ذهن مبارك ويتحدث باسمه فيقول: "كان مبارك وهو في زاوية الشيخ الحسين يسمع بالشيخ محمد الميلي وبسعة علمه وبمعهده الزاهر في ميلة، وكفالة المحسنين من أهل ميلة لتلاميذه...إن الشيخ محمد الميلي لإجلال عمه أحمد وأسرته له، هو الذي سيحميه إذا هرب إليه فلا يجترئ عمه أحمد على استرجاعه منه"[4]

وقد كان محمد الميلي خير كفيل، "فقد اختار له مأوى حسنا قريبا من سكنه ومعهده، وقام بطعامه، حتى فتح الله عليه بأسرة غنية

---

[1] م ن، 34/3

[2] م ن، 40/3

[3] م ن، 44-45

[4] أعلام الإصلاح في الجزائر، 45/3

كريمة فكفلته وتبنته مع شيخه محمد الميلي"[1].

وقد لازم مبارك شيخه محمد نحوا من ست سنين، وزاد توثيق صلته بشيخه فتزوج ابنته فصار صهره أيضا"[2].

ويذكر محمد الميلي، فيشير إلى شيخيْه اللذين أثرا في النهضة العلمية للجزائر، وهما **عبد القادر المجاوي وحمدان الأونيسي**[3].

ومن ذلك أيضا **الوعي بالمسؤولية** أمام الله عز وجل، وأيضا معرفة ما يجب عليه[4]، ويزيد الدبوز للأمر جلاء ولكن بخيال أدبي فيقول عن مبارك الميلي:" يرى فيه [الجو] خيال المعاهد التي يحلم بها وخيال العالم العبقري الصالح المصلح الذي يتمنى أن يونه...إنه عبقري خلقه الله لينهض بأعباء الأمة الثقيلة، ويحمل أمانة الأنبياء"[5].

ومن ذلك الحرص على طلب العلم والتحصيل، كما كان من مبارك الميلي في فراره إلى طلب العلم[6]، وأبي اليقظان في سفره للعلم للعلم ومغامراته...

كذلك فمن المؤهلات في هؤلاء الأعلام الشعور القوي

---

[1] م ن، ص ن

[2] م ن، 69،71/3

[3] م ن، 50/3

[4] م ن، 15/3

[5] م ن، 3/ 37

[6] م ن، 44/3

بالمسؤولية، فيقول الدبوز عن مبارك الميلي:" عرف واجب العلماء خلفاء الأنبياء في حماية الدين وإصلاح النفوس، وأيقن أن الله يحاسبه على التقصير في الجهاد"[1].

إضافة إلى رعاية الأغنياء لأهل العلم، كما كان من محمد الميلي مع مبارك، وما كان من زوجة السيد العكري، فقد تعاملت مع مبارك "كابنها، شديدة الحب للخير متمسكة بالدين، تبتغي أجر الله بأنواع المبرات وكانت ذات مال، فطلبت من ابنها أن يبتغي لها تلميذين غريبين من طلبة الشيخ محمد الميلي تنفق هي على إطعامهما، يأخذان الغذاء والعشاء كل يوم من دارهم. فقدم السيد مصطفى [بوصوف] طلبها إلى الشيخ محمد الميلي فاختار لها مبارك الميلي وآخر معه ... كل السنين التي قضاها مبارك في ميلة متعلما... ولمّا سافر إلى قسنطينة ثم إلى تونس للدراسة العالية كان يبعث إليه الدراهم والمؤونة...بل دفع مالا لمن يجند مكانه عما 1916م"[2].

- **الميادين**:

تنوعت ميادين الإصلاح للعلمين، مما رصده منظار الشيخ دبوز، فقد حاول تتبع تلك الميادين منبها على أسباب نجاح حركتهم الإصلاحية، فن ذلك ما ذكره عن مبارك الميلي، يقول: "رابط في

[1] م ن، 15/3

[2] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 72

ميدان التربية والتعليم...ورابط في ميادين الوعظ والإرشاد في المسجد والنوادي والمجالس وفي كل مكان يجد... وجاهد...بقلمه البليغ، فكتب المقالات والكتب... والكتب المدرسية" [1].

وسنحاول ذكر بعض من ذلك مركزين على لمسات الدبوز في الموضوع:

1. التربية والتعليم:

- فقد تحدث عن مبارك الميلي فقال:"ألف كتبا مدرسية لتلاميذه في المدارس التي علّم فيها وأدارها؛ في التاريخ والنحو والصرف والفقه، بأسلوب حديث يحبب هذه العلوم للتلاميذ ويستعمل عقولهم فترقى"[2]
- ومما درسه هؤلاء الأعلام، نجد محمد الميلي يفسر القرآن ويعتمد عليه في تغيير في العقول والأذهان[3]، وكذلك اعتمده العربي التبسي حيث ختم تفسيره في 1956م، شهورا قبل استشهاده. وكذلك اعتمده الإمام ابن باديس والإمام بيوض.
- كذلك من الأمور التي حرص فيها هؤلاء الأعلام تطوير أساليب التعليم، فمن ذلك ما ذكره عن أبي اليقظان وذكره لحياة العلماء ورجال الإصلاح المعاصرين، ونهضة مصر والمشرق العربي

[1] م ن، 15/3

[2] م ن، 16/3

[3] م ن، 56/3/3

وزعمائها، وما لذلك من أثر في الوعي بالواقع واستثمار ذلك في إصلاح النفوس[1]، ويذكر الدبوز أبا اليقظان أيضا وهو معلم في مدرسته بالقرارة فيقول:" كان يشرح العقيدة الإسلامية بالمعقول الذي يفهمونه، ويلفت نظرهم إلى المحسوس في أنفسهم وفي البيئة حولهم، مما يدل على عظمة الله وقدرته، وعلى ثوابه وعقابه في الدنيا والآخرة، فيقتنع الطلبة بصحة العقيدة الإسلامية بالشرح المنطقي وبالأدلة المحسوسة... ويصور لهم النعيم من خلال كتاب الجنة للقطب"[2]

- وقد كان بث الوعي رديفا للتعليم، فقد كان أبو اليقظان يحكي لطلبته ما كان من واقع الاستعمار وفساد المفسدين أذنابه، خاصة مع التلاميذ الكبار[3]
- ومما ركز عليها الدبوز في التعلم الرقي بالتلاميذ من مجرد حفظ القرآن إلى تفهم معانيه والعمل به، فيشير إلى أن من ضيع الفهم والعمل فكالحمار يحمل أسفارا، فيقول عن مبارك الميلي: "ينتبذ في ناحية فيتهجى في بعض الكتب الفقهية والتاريخية التي يستعيرها...وهذا القرآن العظيم الذي جد في حفظه فأتقن حفظه واستظهره وصار كنوزا عظيمة يحتوي عليها، ولكنه لا ينتفع بها لأنه لا يفهم معانيها...إن مفاتيح القرآن لتعرّف معانيه هي العلوم العربية،

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 201

[2] م ن، 3/200

[3] م ن، 3/ 203

فعلى حملة كتاب الله أن يتعلموها ليستفيدوا ويفيدوا بكتاب الله، وإلا فهم كما قال تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا، لابد من تعلم العلوم العربية والشرعية لأستطيع فهم القرآن والعمل به"[1].

- ويزيد على التدريس إنشاء **المعاهد**: فقد أنشأ محمد الميلي معهده في ميلة ودام من 1901 إلى 1930م[2]، وكذلك معهد الإمام ابن باديس في قسنطينة، والذي خلفه فيه العربي التبسي وكذلك دار الحديث للإبراهيمي.

- ومما يزيد للمعهد أثرا ويهيئ للطالب جوا محيطا من المعارف والتربية، إنشاء **الداخليات**، سواء أكانت في الزوايا كزاوية الحسين في ميلة[3]، أو داخلية الطلبة في تونس بإشراف الشيخ أبي اليقظان، ومن نفس النمط كانت داخلية الحياة وقبلها داخلية القطب اطفيش. فقد كانت الداخلية كفالة للطلبة في معاشهم، يقول الدبوز: "الزاوية تكفل الطلبة الغرباء الذين ينقطعون فيها للتعلم في كل الضرورات، فتقدم لهم الغذاء والكساء، وتأويهم ويجدون فيها كتب الدراسة وتحسن إليهم وتغدق كما كان من كفالة محمد الميلي لمبارك الميلي[4]، وتربية لهم في أخلاقهم.

وقد توسع الدبوز في بيان قيمة هذه الداخليات التي تجمع

---

[1] م ن، 35/3

[2] م ن، 3/ 57

[3] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 42

[4] م ن، 3/ 46

بين الإيواء والتربية والتعليم، فيذكر التربية المتكاملة الرشيدة التي تعتني بكل نواحي الإنسان، يذكر المواد تعليمية[1] والتربوية، والتدريب على الخدمة، والتعويد على الأخلاق، ولا يغفل التنزه أيضا.

فمن تلك الداخليات داخلية أبي اليقظان بتونس، حيث توفر في تونس التعليم العصري وفي داخلية أو بعثة أبي اليقظان التربية الرشيدة[2]. فمن ذلك المواد التعليمية التي كانت في الداخلية في تونس على يد أبي اليقظان، نجد الدعوة والتربية، بالفقه والعقيدة والقصص التاريخية والاجتماعية في أسمار الليل، وتوفير البيئة الإسلامية القويمة، وذلك بالعشرة الحسنة واللطف في المعاملة والاحترام والعمل بخلق التضحية ونكران الذات، وخدمة الجماعة، والتربية على الاعتماد على النفس وحب العمل والإتقان والانضباط بالنظام والاعتناء بالنظافة وخلق الأمانة[3].

وعن الحديث عن الداخلية والبعثة العلمية مجالا للتربية فلابد من التوازن في التربية: "لا انطلاق في دار البعثة بتونس يغري بالانحراف والفساد، ولا جمود ولا استبداد يكبت الطالب ويمنع شخصيته من الظهور، تربية حكيمة، عرفها [أبو اليقظان] في دينه،

[1] ليست ما يقدم للتلاميذ في الدراسة والمدرسة أو المعهد، بل ما يقدم في الداخلية

[2] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 145

[3] م ن، 3/ 154-155

وهداه إليها طبعه الكريم"[1].

كما كان يدربهم على العمل والخدمة، وذلك بتدريبهم على الطبخ في قائمة بالتناوب، وتقويم عملهم، فأتقنوا الطبخ[2] . دون إهمال التنزه معهم لعبا وسباحة...، ففي نهاية الأسبوع وفي العطل يسيحون وينطلقون للتنزه، لتجدد نفوهم لأسبوع جديد، فإذا جاء الليل كان السمر ، وهو من البرنامج اليومي، فكان بعد العشاء والعَشاء لساعة من الزمن، مساءلة وحكاية وفكاهة... ومع الإنشاد الوطنيي والحماسي وقصائد الحكمة العربية البليغة، وتدريب على الفصاحة وحسن الإلقاء والشجاعة الأدبية[3].

ولا تخلو التربية من حزم، فكان منه التأنيب حينا والحرمان من النزهات أحيانا والضرب نادرا، وكلها تتوازن مع المرح والفكاهة[4].

وكان الشيخ نعم القدوة، "لا يرونه في وقت فراغه إلا في كتبه ومجلاته وجرائده، يلتهمها في نشوة... فاتقدوا به في شدة الحب للعلم، وفي الاعتماد على أنفسهم في تحصيله وفي الغرام بالعمل[5]"

كذلك رباهم على الحفاظ على العبادة خاصة صلاة الجماعة،

---

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 169/3

[2] م ن، 156/3

[3] م ن، 172/3

[4] م ن، 173/3

[5] م ن، 170/3.

في صف واحد يؤمهم الشيخ بلباس للصلاة خاص، ثم الدعاء الجماعي، ودعاء الصباح بكل معانيه المؤثرة في النفس. وقد استطرد الدبوز فشرح ذلكم الدعاء وبيّن مغازيه[1].

ولم يغفل أبو اليقظان الاحتكاك بالمجتمع، فالعزلة سلبية للطلبة، ولابد من التعرف على الجو الخارجي للداخلية لتثقيف الفرد وتطوير علاقاته وأدائه، فكان يلزم الطلبة بحضور ختمة ليلة الجمعة في المسجد الكائن خارج الداخلية، في وسط المدينة، كما يدربهم على خدمة المصلين بجمع الصدقات من الحاضرين وتوزيعها، إضافة إلى المشاركة في أقساط من الختمة الأسبوعية للقرآن الكريم[2].

وكان الشيخ أبو اليقظان يعظ في المسجد مع زميله الشيخ إبراهيم حفار، فكان الواعظ المرشد والمربي ومسؤول البعثة الحكيم[3]. فيجدون الشيخ في المجد واعظا وفي الداخلية مدريا وفي المعرفة عالما وفي التنزه رفيقا، وهذا ما ذكره أحد تلاميذه وهو حمو بن عيسى مرموري، يقول: "كان الشيخ أبو اليقظان لنا أبا حنونا، وصديقا محبوبا يحبنا كل الحب ونحبه حبا عظيما، لم نر فيه ما يسوؤنا وأيامنا عنده أحسن أيام حياتنا"، ويقول تلميذه بابا بن إبراهيم أبو سحابة: "الشيخ أبو اليقظان في لطفه وحزمه وحكمته وعشرته الطيبة وروحه العلمية

[1] م ن، 157/3

[2] أعلام الإصلاح في الجزائر، 167/3

[3] م ن، 169/3

العالية، إنه وجه الجنة"[1].

ويشير الدبوز في لفتة مهمة جدا إلى الاستعمار عدو الوطن، فيذكر البعثة العلمية ويقول: " لم يعرف الاستعمار حقيقتها، إنها ما يخشاه ويتقيه، إعداد الجند لنهضة الجزائر الإسلامية العربية ليدخلوا بها شبابها"[2].

أليست تلك الداخلية التي خرجت مفدي زكرياء وغرافة ورمضان حمود، كما خرجت توفيق المدني وغيره[3]...

- ومما يدعم المعاهد والمدارس إنشاء **الجمعيات**: وقد تحدث الدبوز كثيرا عن الجمعية الصديقية[4]، فيذكر مؤسسها عباس بن حمانة، وأثرها في تيسير عمل المدارس وتأطير التربية في مؤسسات قانونية. ثم ما أدى إلى إنشاء جمعيات أخرى في الأغواط ومزاب. وخاصة بعد إنشاء جمعيات العلماء المسلمين.

2. الوعظ والإرشاد:

- فيذكر مبارك الميلي وأنه: "يعظ... [ف]يهزهم للنهوض، يطب لأمراض النفوس بكلام الله وحديث رسول الله"[5]، وكان يهاجم

---

[1] م ن، 3/ 170.

[2] م ن، 3/ 184

[3] م ن، 176/3

[4] م ن، 3/ 145

[5] أعلام الإصلاح في الجزائر، 15/3

المحرمات والموبقات[1]

- كان من مقاصد هذه الدعوة والوعظ والإرشاد "

3. ميادين أخرى: كالتأليف والصحافة والإعلام والنوادي الأدبية...ولها حديث آخر:

ثانيا: ترسيخ مبدأ الوطنية في سير الأعلام:

المقصود بالوطنية هي الإحساس بالوطن، والوطن هو منشأ الإنسان، والبيئة التي انتمى إليها ونشأ فيها وتأثر بقيمها، حتى إن الإنسان ليشعر بمفهوم الوطن أنها انتماء وأنه جزء لا يتجزأ من شخصيته، فيسوؤه ما يسوء وطنه، ويفرح لِما يرقى بوطنه، والشعور بالوطنية شعور أصيل في كل إنسان، إلا أنه يضمر إلى أن ينتهي أو يترسخ إلى أن يموت الإنسان في سبيل نصرة وطنه وإعلاء شأنه.

وسؤالنا في الورقة هو: هل اعتبر هؤلاء الأعلام الوطنية في جهادهم الإصلاحي؟! وما مدى حضور هذا المبدأ في جهاد هؤلاء الأعلام ؟! دوما من خلال منظار الشيخ محمد علي دبوز.

لقد كان منظور الوطنية حاضرا في جهاد الأعلام، كما رقبه الشيخ دبوز، وهو حاضر أيضا في خلد الدبوز بشكل لافت.

وقبل الحديث عن ذلك نشير إلى ما ذكره الدبوز عن الجزائر

[1] م ن، 3/ 65

وحالتها المزرية، يقول: "الجزائر تنهكها الأمراض وأنواع العذاب... بين مخالب الجهل والفساد الخلقي، وفي جحيم الظلم والاستبداد، يؤججه عليها المستعمرون الصليبيون الحاقدون...دينه الإسلامي... تهدده خرافات الجهل وأذنا الاستعمار التي تموج به؟؟؟، وكيد المستعمرين الصليبين الذين يجهدون للقضاء على الإسلام في الجزائر، وفي المغرب الكبير، لتكون الضفة الجنوبية للبحر المتوسط كلها أيضا للصليبين"[1].

فلما ذكر سبب تأليفه لأعلام الإصلاح ذكر منها:" البر بديني ووطني"[2]، ولما أراد التحدث عن الشيخ مبارك قال: "هو الشيخ مبارك الميلي الذي كان الابن البار للجزائر"[3]، كما أشار إلى مدرسة الفلاحة وأثرها في صقل شخصية أعلامنا، لم يفته الوطن، فأردف قائلا:" إنها تغرس حب الوطن أيضا"[4].

وحين ذكر جهاد المجاوي ولونيسي قالا:" من العلماء المصلحين الأولين الذين أيقظوا الجزائر ونشروا فيها الإصلاح في العقود الثلاثة من هذا القرن العشرين...كتبنا عن الشيخ عبد القادر المجاوي

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 15/3
[2] م ن، 9/3
[3] م ن، 16/3
[4] م ن، 17/3

وصحبه منشئي نهضتنا الجزائرية العربية الإسلامية الحديثة"[1]. ويزيد ذلك توضيحا فيقول عن المجاوي إنه: "من العلماء المصلحين في المدارس الثلاثة التي علم فيها في قسنطينة والجزائر العاصمة، فأغنى وأروى وأفاد الجزائر فوائد عظمى في ميدان التربية والتعليم، وميدان الوعظ والإرشاد"[2].

ويشير إلى غاية هؤلاء الأعلام فيقول:" كانت غاية الشيخ عبد القادر المجاوي وكذلك الشيخ حمدان الأونيسي وأعظم مناهم أن ينشؤوا أجيالا من الصالحين المثقفين المصلحين يحملون عقيدتهم الإصلاحية، فيبثونها في أنحاء الجزائر، فحقق الله مناهم فنبغ على أيديهم علماء أجلاء رفعوا راية الإصلاح معهم ومن بعدهم"[3]،

ويشير كذلك إلى أسباب النجاح وإقامة الوطن الجزائري، فيركز على **العقيدة** وأثرها في الوطنية، يقول: "عهد جميع المصلحين لإصلاح العقيدة لأنها أصل النهضة الإسلامية التي يريدونها للجزائر، فنهضت الجزائر وتسابقت في سبل الخير لمّا رجعت إلى العقيدة السلفية الصالحة، فكانت أمة العمل والتضحية والخلق العظيم، فنصرها الله في ثورتها لما جالدت أعداءها بالسلاح، بفضل إصلاح

[1] م ن، 47/3

[2] م ن، 52/3

[3] م ن، 63/3

النفوس الذي دججها به علماؤها المصلحون في معارك الإصلاح"[1]

ومما يحيي الوطنية في المجتمع الجزائري ويرسخها مبدأ **الأخوة**، والدبوز يذكر الشيخ محمد الميلي فيقول: " كان يدعو إلى العلم والتربية الإسلامية، وإلى الأخوة الإسلامية لتتحد الجزائر وتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ويدعو إلى نبذ العصبية المذهبية الممقوتة، والعصبية للقبيلة والجهة"[2]

وهو ما يشير إليه في موضع آخر إذ يقول:" فهو [محمد الميلي] من العلماء المصلحين الأولين في الجزائر، ومن منشئي نهضتنا الجزائرية العربية الإسلامية الحديثة"[3].

ويلتفت إلى مقاصد هؤلاء الأعلام في التربية فيقول عن أبي اليقظان: "إنه يعدهم للجهاد الوطني"[4]، ويزيد ذلك توضيحا، فيقول: "يحدثهم بتاريخ الجزائر وتاريخ وادي مزاب فيهيء نفوسهم بالاعتزاز بوطنهم الجزائر ومهد طفولتهم وادي مزاب"[5]

بل يرد سبب نجاح الثورة إل تلك الجهود المباركة، فيقول: "لولا ذلك الإصلاح الذي قام به أعلام الإصلاح في الجزائر، ومنهم

---

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 63

[2] م ن، 3/ 65

[3] م ن، 10/3

[4] م ن، 156/3

[5] م ن، 169/3

الشيخ أبو اليقظان لل/ة الجزائرية ما شفيت من أمراضها فصحت فاستقلت والحمد لله"[1].

ولا ننتقل إلى العنصر الآتي دون أن نسجل سببا من أسباب النجاح أشاد به الدبوز، وهو التواصل بين رجال العلم والإصلاح، فيؤرخ الدبوز لذلك بما قبل جمعية العلماء، فيذكر القطب ويقول: "كان الشيخ الحاج امحمد اطفيش صديقا للشيخ عبد القادر المجاوي، وكان الشيخ عبد القادر يجل الشيخ اطفيش ويحبه ويعتدّ بغزارة علمه وجهاده الإصلاحي العظيم، وكان يكاتب الشيخَ الحاج امحمد اطفيش ويستفتيه في مسائل الدين العويصة، وقد وجه الشيخ اطفيش بعض تلاميذه النبغاء للدراسة على الشيخ المجاوي، ومنهم الشيخ أبو إسحاق اطفيش والشيخ الحاج الناصر كروشي، لإعجابه بالشيخ المجاوي وتقواه غزارة علمه"[2]. ويذكر في موضع آخر جمعية العلماء إنما هي امتداد لجهود أعلام سبقوا وأسسوا وتواصلوا، فيذكر معهم أيضا بن سماية وبن مصطفى وعمر راسم، ومحمد الميلي... فهو " بدأوا الحركة الإصلاحية... للإنصاف"[3]

كما يشير إلى التواصل القوي بين أبي اليقظان وأحمد توفيق المدني، وزيارة الإمام ابن باديس لبعثة تونس من المزابيين، كما يشيد

---

[1] م ن، 3/ 171

[2] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 54

[3] م ن، 3/ 52

بقوة بانطلاق جمعية العلماء المسلمين ومشاركة جميع أعلام الجزائر فيها.

المحور الثاني: توظيف الكتابة التاريخية والأدبية للتربية والإصلاح عند الشيخ دبوز

بعد بيان جوانب عديدة في الإصلاح وروح الوطنية في جهاد الأعلام، من منظار الدبوز، فيحسن الوقوف على نمط الكتابة التاريخية ومقصدها، والكساء الأدبي لتلك الكتابة وأبعاده عند مؤرخنا الأديب محمد علي دبوز، وكيف وظف ذلك إبراز تلك الجوانب الإصلاحية وبث الروح الوطنية.

أولا: الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز وأثرها في إبراز الإصلاح والوطنية في الأعلام

أول ما نبدأ به في الكتابة التاريخية هو مقصد المؤرخ الدبوز منها، فهو يقول عن مقصده إنه: "البر بديني ووطني ومشايخي أعلام الإصلاح في الجزائر، وإفادة طلاب المعرة في أنحاء العالم، طلبا لرضى الله سبحانه وتعالى، وللاستعداد الكبير له"[1].

ما هي أسباب انطلاقه في هذا العمل المهم ؟ يقول: "أنقذ كل

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 9/3

ما أستطيعه من الضياع، إنه لم يون فيستطيع كتابته أبناؤنا وأحفادنا، ولكنه في حافظة من بقي من مشايخنا والمسنين الذين نفقد جماعة منهم كل عام إن لم نعجل بروايته عنهم وكتابته ونشره يضيع"[1]

ويذكر أنه بدأ في إعداده قبل سنين طويلة، يقول:" ألفته في شهور، ولكن الاستعداد له بجمع المعلومات التاريخية من مصادرها الصحيحة قد بدأ منذ ثلاثين عاما"[2]

مصادر الدبوز في تأريخه:

يشير الدبوز إلى مصادره فيقول:" رويتها عن أعلام الإصلاح الذين أكتب عنهم، وعن الثقات الأذكياء الحافظين من أسرهم، وزملائهم الذين عاشروهم منذ الصبا، وفي عهود جهادهم، وتلاميذهم الذين لازموهم ورووا عنهم تاريخهم"[3]

فقد حاول مؤرخنا العودة إلى المصادر قدر الإمكان، ويمكن تجميع ذلك فيما يأتي:

- أبو اليقظان:

أخذ عنه مباشرة، وعن تلاميذه حمو عيسى المرموري "وكان

---

[1] م ن، ص ن.

[2] م ن، ص ن

[3] م ن، 15/3

في الرابعة عشر من عمره حينها، وذاكرته قوية"[1]، وزميله بابا بن الحاج إبراهيم أبو سحابة، وزميله دحمان بن الحاج بكير المرموري، والشيخ عمر العنق، وهؤلاء تلاميذ أبي اليقظان في الصديقية بتبسة سنة 1913م، ثم في تونس،

- مبارك الميلي:

أخذ الدبوز عن ابنه محمد بن مبارك، وعن أحمد مزهود معلم مبارك الأول في الكتاب[2]، وعن الطيب غيموز زميل مبارك في الكتاب[3]، وعن صهره محمد الصالح بن محمد الميلي[4] ، يقول:" اتصلت بالأخ الهمام السيد عبد القادر بوصوف لأسأله عن والده الخير الهمام المرحوم مصطفى بوصوف الذي كفل الشيخ مبارك أيام تعلمه في ميلة وقسنطينة وتونس"[5].

وملاحظة هذه المصادر يشير إلى مدى دقة المعلومة التي سيوردها الدبوز حول هؤلاء الأعلام، وهو ما يعطي حكما عاما على كتابته بالمصداقية، فقد كان مؤرخا فعلا لتدقيقه في المصادر التي يستقي منها معلوماته، ولو كلفه ذلك السفر والترحال والتفتيش عن

---

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 174/3

[2] م ن، 25/3

[3] م ن، 18/3، 34

[4] م ن، 47/3.

[5] م ن، 19/3

الرواة والمعايشين للاحداث.

منهجه:

فمن حيث اعتماد الروايات فإن الدبوز يختار أقربها ومن عايش الأحداث، يقول:" أختار في الغالب أقوال الثقاة الحافظين الذين شاهدوا ورأوا ما يتحدثون به من وقائع التاريخ، فإنها أصح من أقوال الذين سمعوا"[1].

ويقول عن عمل المؤرخ: "إن المؤرخ يجب عليه أن يشاهد فيما يكتب عنه كل ما تمكنه مشاهدته، لا يكتفي بوصف الرواة، قد يكون غير صحيح، وقد يعتريهم النسيان فلا يحدثونه بأشياء مهمة في البيئة الطبيعية"[2].

وقد كان في كتابه يعود إلى البدايات والأسباب، فهو يقول عن هؤلاء الأعلام:" ما أثر بيئته[العلَم] الطبيعية والاجتماعية التي نشأ فيهما في شخصيته؟ وما هي العوامل التربوية التي بنته في كل نواحيه في طفولته وشبابه؟ هذه هي الأبواب المهمة في تاريخ الزعماء يجب بسطها"[3].

ويبحث عن بدايات الحركة الإصلاحية، فيتتبع سيرة المجاوي

---

[1] م ن، 11/3

[2] أعلام الإصلاح في الجزائر، 18/3

[3] م ن، 3/ 16

والاونيسي والقطب اطفيش، والعلاقة بينهم، والذين كانوا المحرك الأول لسير الأعلام في الجزائر، فيأتي بالتبع أبو اليقظان ومحمد الميلي وابن باديس وبيوض والعربي التبسي، ورصد التاريخ بهذا الشكل مفيد جدا للوقوف على الأسباب لا معرفة الأحداث فقط[1].

ويلح الدبوز على أن التاريخ ينبغي أن نركز فيه على المجدي البناء، فلما كر مصادره هضم حق نفسه فقال: "ليس لي في مادة هذا الكتاب التاريخية إلا ما شاهدته أنا لملازمتي لأستاذي الشيخ بيوض...وصلتي الوثيقة بالشيخ أبي اليقظان... وإلا الاستنباط المنطقي الصحيح من نصوص التاريخ الصحيحة، وهو ما يجب في تأليف التاريخ المجدي البناء"[2]

ويستعمل في تأريخه الصور ويقول: "إنها ضرورية في التاريخ، وجدواها على القارئ كبيرة، ولتأثر المرء بالمحسوس وإدراكه أكثر ضرب الله لمعاني القرآن السامية أمثلة كثيرة من المحسوس"[3]

ثانيا: الأسلوب الأدبي وتوظيفه لإبراز جوانب الإصلاح والوطنية في سيرة الأعلام

جاء كتاب أعلام الإصلاح في الجزائر في قالب أدبي جميل،

[1] ينظر: م ن، 47/3، 52،53

[2] م ن، 3/ 11

[3] م ن، 11/3

وأسلوب سلس جذاب، وقد قصد محمد علي ذلك، يقول:" ألفت هذا الكتاب وغيره من كتبي بأسلوب طلي واضح يلذّ القارئ ويحبب إليه التاريخ، وهو ما يجب في تاريخنا، نحتفل به كل الاحتفال فنزفه إلى العالم في الأسلوب الجميل الواضح"[1].

وقد جاء كتابه صورا أدبية متعددة، يمزج بين الأدب البليغ والخبر التاريخي الصحيح، وهو ما قد انتقده عليه بعضهم، فأجاب الدبوز عن هذا الاستطراد بقوله:" إن بعض الناس الذين ألفوا الخلاصات المبهمة العقيمة في التاريخ، يرون بسط المؤثرات الخفية في شخصية من نكتب عنه كالترجمة لأساتذتهم ومربيهم، ووالديهم وأصدقائهم، وأزواجهم، لنعلم مقدار تأثيرهم في تلك الشخصية العظيمة؛ يرون ذلك خروجا عن الموضوع، وزوائد كالأظفار الطويلة المميتة يجب قصها، وما علموا أن التاريخ الجاف لا غصون فيه ولا ثمار له.

لو قرأ هؤلاء الكتاب كله قبل الحكم عليه أو الباب كله منه قبل نقده، لأيقنوا أن تجريد التاريخ من هذا الاستطراد الواجب المفيد حلق لرأس الحسناء الفرعاء الجميلة، ولرأس النخلة الباسقة من جريدها الأخضر الذي ينجب ثمرها، وهو جمالها، لقد ألف هؤلاء سف التراب، فعافت نفوسهم مذاق السكر والثمار اليانعة، وعقلهم

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 11

الكسل عن القراءة المتمهلة المستفهمة المستقصية، فرأوا في ذلك الاستطراد خلاف حقيقته، هداهم الله، هداهم الله!"[1]

وجميل أن نأتي بنماذج من الصور الأدبية التي تحقق الأبعاد التربوية التي قصدها المؤرخ الأديب:

- فيذكر مبارك ورد عمه له من الزاوية إلى الفلاحة فيأتي بصورة أدبية رائعة، يقول:"إنه كالذي ألف الظل الظليل في النسيم العليل، ثم نقل فجأة إلى شمس الصيف في الظهيرة المتقدة، فشعوره بالحرارة أقوى وعذابه أكثر"[2]
- ويتحدث عن الشدائد في الحياة، من مثل ما وقع لمبارك الميلي من عمه، فيقول:" إن ما وقع لمبارك من عمه أحمد غنم ساقه الله إليه على يده، لقد أدخله مدرسة الرجولة في الحقل والمرعى لتعده لمدرسة العلوم... إنها المطارق التي تنهال على صفيحة الذهب لتورثها قوتها واستواءه، ومقارض التقليم التي تنهال على الشجرة المباركة الفينانة فتنقص منها لتزيد فيها، لابد منها للتمام، وهي ضرورية في البناء...إنه لا يذكي الرغبة كالحرمان المؤقت...يوقنون أن المرء كالثمرة لا تكون حلاوتها إلا إذا اشتملت على مرارتها قبل النضوج"3.

---

[1] م ن، 3/ 168

[2] م ن، 44/3

[3] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/39-40

- صورة الطبيعة الخضراء لا تستهوي مبارك، فيذكر تراقص السنابل ويقول: "رقص النسيم مع السنابل فتتماوج كما تتماوج الراقصة الممشوقة الجميلة البارعة في رقصها، منظر يملأ كل نفس خلية بالطرب لا يشبع من تأمله. لكن مبارك يضيق ذرعا بذلك ويرى تماوج الزرع كأنه تماوج البحر الهائج ينطوي على الهلاك، فأمواجه زئير الأسد الهائجة عليه، هي مقدمة الافتراس"[1].
- ويصف الثلج في الشتاء مع التركيز على الحال البئيسة التي عاشتها القرى إبان الاستعمار فيقول:" لقد نزلت ذات ليلة الثلوج الكثيرة، فتراكمت على القرية، وغطتها بكفن أبيض فهمدت فمنعتها من كل حركة"[2]
- ويذكر عن الشيخ محمد الميلي ورعايته لمبارك فيقول:" حضنه كما يحضن النسر بيضه ليطير، وحرص عليه حرصه على أغلى الكنوز"[3]
- ويصف إقلاع القطار ليعود طلبة البعثة إلى ديارهم، فيقول: "فأقلع القطار من محطة تونس بالشيخ أبي اليقظان وتلاميذ بعثته متجها بهم إلى الجزائر وهو يصفر، فرأت الجزائر المتعطشة إلى أبنائها البررة ذلك الصفير زغاريد عرسها الكبير الذي يملؤها بالأفراح، ورأت زفير القطار الذي يشتد جريا إليها زفير البشير يطير إليها

[1] م ن، 3/41-42.
[2] م ن، 3/ 45
[3] م ن، 3/ 46

بالبشرى السعيدة التي تتمناها"[1]

تلك بعض الصور الأدبية التي تبرز البعد التربوي للكتابة التاريخية عند الدبوز، فقد كانت التربية هي مقصده الأول، فأبدع في الكتابة التاريخية مصداقية وتتبعا للأحداث وتحليلا، مع سلاسة في الأسلوب وصورا رائعة تدعو للتأثر والاقتداء

خاتمة:

حاولت الورقة تقديم جهد المؤرخ محمد علي دبوز لحياة علمين من أعلام الإصلاح هما مبارك الميلي وأبو اليقظان، من خلال كتابه أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء الثالث.

- وقد خلصت الورقة إلى مجموعة نتائج نجملها فيما يأتي:
- كان الحس الإصلاحي حاضرا في هؤلاء الأعلام، وقد حاول الدبوز رصد ذلك بشكل دقيق ينم عن وعي كبير بمعاناة الإصلاح ودخائله.
- رسخ هؤلاء الأعلام مبدأ الوطنية في تلاميذهم، وكان له أثره الكبير في شفاء الأمة فاستقلالها بالثورة الجزائرية المباركة
- حضور مبدأ الوطنية في فكر الدبوز من خلال كتاباته، وحرصه من خلال كتابته على إبراز ذلك وتناول معوقاتها وكيفية النهوض بها، وذلك من خلال الجهد الإصلاحي
- اتسمت الكتابة التاريخية للدبوز بمصداقية المصادر، وسلاسة

[1] أعلام الإصلاح في الجزائر، 3/ 186

الأسلوب، وطريقة في العرض خاصة متأثرة بالبعد التربوي

- اكتست الكتابة التاريخية لمحمد على دبوز بالأسلوب الأدبي الذي له أثره البارز في نقل حقائق التاريخ من الجانب الموضوعي إلى الجانب النفسي والمحرك للنفوس لتتأثر فتنسج على المنوال

من توصيات الورقة:

- أ_ مواصلة التنقيب عن الإصلاح وروح الوطنية في بقية أجزاء الكتاب، وفي حياة الأعلام الآخرين.
- ب _إفراد الكتابة الأدبية للتاريخ بالبحث من خلال مؤرخنا الدبوز ومن خلال الكتاب الآخرين للحركة الوطنية وجهود معية العلماء المسلمين.

- المحور السادس -

الشيخ محمد علي دبوز وفكره السياسي

التراث السياسي الجزائري الحديث
من خلال دراسة مسحية وصفية إحصائية لمحتوى خزانة الأستاذ الباحث
محمد علي دبوز
(1337-1402هـ / 1919-1981م)

د. قاسم حجاج
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

ملخص المداخلة:

تميزت مساهمة الأستاذ محمد علي دبوز(1919 -1981)، بالتنوع وإن غلبت عليها الأعمال التاريخية والأدبية. وبما أنه تناول بالبحث العلمي والتأليف والنشر موضوعات تتعلق بتاريخ بلدان شمال إفريقيا وخاصة منها الجزائر، فإنها قد خصت الجوانب السياسية، تأريخا وفكرا وتوثيقا. وبما أن حقل العلوم السياسية يتناول بالبحث والتدريس مادة أو موضوعات التاريخ السياسي للدول والعلاقات الدولية والشخصيات السياسية، فإن العناية بمساهمة الباحث دبوز محمد علي من هذه الزاوية من أوكد الأولويات والواجبات البحثية.

علما بأنه على المستوى الواقعي، كان قد عايش واعيا – وأدلى بمواقف محددة من قضايا وطنه وعصره – في سياق دولي امتد من

حقبة ممتدة ما بين الحربين العالميتين إلى نهايات الحرب الباردة، وعلى المستوى العربي-الإسلامي حقبة الحركات الوطنية وثورات الاستقلالات الوطنية والانقلابات الثورية العسكرية وفورة المد القومي العروبي وتداعيات القطبية الثنائية وامتدادات الصراع الأيديولوجي والجيوسياسي المرتبط بها، على العالم العربي-الإسلامي المعاصر؛ وعلى المستوى الوطني والمحلي حقبة أزمة الحركة الوطنية والثورة المسلحة التحريرية وحقبة البناء الوطني بتبني النموذج الاشتراكي في التنمية الاقتصادية والحزب الواحد في التنمية السياسية.

أما على المستوى الفكري، فقد تناول الأستاذ محمد علي دبوز من خلال أعماله المنشورة والمخطوطة ومقالاته الصحفية ومحاضراته الثقافية ومراسلاته، قضايا تتعلق بالتاريخ السياسي لمنطقة "المغرب الكبير" و"النهضة الجزائرية الحديثة"،... وقد كانت تلك الساهمة الفكرية، تتسم بتفضيلات فكرية محددة أهمها انتصارها لأفكار المدرسة الإصلاحية الإسلامية، ومنه جاءت مساهمته في الفكر السياسي والتأريخ السياسي للمنطقة المغاربية والجزائر في مختلف الأزمنة القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة، معبرة عن رؤية فكرية سياسية واضحة للتغيير.

من هنا، تأتي هذه الورقة من أجل استكشاف وتحليل علمي لتلك المساهمة في الفكر والنضال السياسي، من خلال محاولة

الإجابة على الإشكالية التالية: **تراث ومسيرة حياة الأستاذ محمد علي دبوز جديرة بالاهتمام البحثي، فما هي مميزات المساهمة الفكرية والعملية في المجال السياسي؟**

الكلمات المفتاحية: محمد علي دبوز، التأريخ السياسي، الفكر السياسي، المغرب الكبير، النهضة الجزائرية، الأمة العربية، الأمة الإسلامية، العروبة، الأمازيغية.

محاور المداخلة:

مقدمة المداخلة: التراث السياسي: الجانب منسي من فكر الأستاذ الباحث محمد علي دبوز

أولا: مصادر مادة التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز

ثانيا: مسح وصفي إحصائي للتراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز (كتبا، صحفا، مراسلات)

ثالثا: بعض مميزات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز

رابعا: قائمة بالبحوث العلمية المقترحة لدراسة علاقة الأستاذ محمد علي دبوز بالسياسة (فكرا ونضالا)

مقدمة المداخلة: التراث السياسي:

الجانب منسي من فكر الأستاذ الباحث محمد علي دبوز

مقدمة المداخلة: التراث السياسي: الجانب منسي من فكر الأستاذ الباحث محمد علي دبوز

يعتبر التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز من الجوانب المهمة في أعماله المكتوبة المطبوعة والمخطوطة، المنشورة في الكتب والمجلات والمراسلات والمكنونة في ثنايا المحاضرات العامة التي ألقاها في بعض المناسبات.

ويظهر نقص العناية بهذا الجانب لأن السمة العامة لأعمال الشيخ محمد علي دبوز هي الإنتاج الأدبي والتأريخي والتعليمي. ولكن تلك الأعمال يكتشف تورطه المباشر في تعاطي الأفكار السياسية كيف لا وقد تأثر بعصر النهضة العربية والإسلامية والاستقلالات الوطنية، كما تأثر بالحركة الإصلاحية العربية والجزائرية والمزابية الحديثة

وهي حركة دينية، اجتماعية وسياسية واجهت الحالة الاحتلالية الفرنسية بأساليب البيان الأدبي والتحرير الصحفي واستكشاف التاريخ القديم والوسيط والحديث لاسترجاع الهوية الوطنية والإسلامية الممسوخة بالسياسات الاستدمارية.

ومنه، على المستوى الواقعي: نجد أن الأستاذ الباحث العصامي الجزائري محمد علي دبوز (1919 -1981)، قد عاش واعيا، كما أدلى بمواقف محددة من قضايا وطنه وعصره - في سياق دولي امتد من حقبة ممتدة ما بين الحربين العالميتين إلى نهايات الحرب الباردة...

وعلى المستوى العربي-الإسلامي حقبة الحركات الوطنية وثورات الاستقلالات الوطنية والانقلابات الثورية العسكرية وفورة

المد القومي العروبي وتداعيات القطبية الثنائية وامتدادات الصراع الأيديولوجي والجيوسياسي المرتبط بها، على العالم العربي-الإسلامي المعاصر؛ وعلى المستوى الوطني والمحلي حقبة أزمة الحركة الوطنية والثورة المسلحة التحريرية وحقبة البناء الوطني بتبني النموذج الاشتراكي في التنمية الاقتصادية والحزب الواحد في التنمية السياسية.

ومن جهة أخرى، وجدنا أنه على المستوى الفكري، تناول الأستاذ محمد علي دبوز من خلال أعماله المنشورة والمخطوطة ومقالاته الصحفية ومحاضراته الثقافية ومراسلاته، قضايا تتعلق بالتاريخ السياسي لمنطقة "المغرب الكبير" و"النهضة الجزائرية الحديثة"، والأفكار السياسية والأخلاق السياسية...الخ

وقد كانت تلك المساهمة الفكرية، تتسم بتفضيلات فكرية محددة أهمها انتصارها لأفكار المدرسة الإصلاحية الإسلامية، ومنه جاءت مساهمته في الفكر السياسي والتأريخ السياسي للمنطقة المغاربية والجزائر في مختلف الأزمنة القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة، معبرة عن رؤية فكرية سياسية واضحة لمشروع التغيير: منطلقاته، أدواته، وغاياته.

ومن يقرأ مضامين أعمال الشيخ محمد علي دبوز يلاحظ حبه للحكم الجمهوري الشوري وبغضه الصريح للحكم الملوكي الاستبدادي المطلق. كما يلاحظ انتصاره الشديد للحركة الإصلاحية البيوضية في مزاب، متأثر في ذلك بالروح الأمازيغية وبتوجهات

المدرسة التغييرية الإباضية خلال العصر الوسيط.

من هنا، تأتي هذه الورقة من أجل حصر واستكشاف حجم ونوعية أهم مصادر ومحاور ومميزات تلك المساهمة في الفكر والنضال السياسي، من خلال محاولة الإجابة على الإشكالية التالية: تراث ومسيرة حياة الأستاذ محمد علي دبوز جديرة بالاهتمام البحثي، فما هي مميزات المساهمة الفكرية والعملية في المجال السياسي؟

والآن، إلى معالجة تفاصيل موضوعنا للإجابة عن إشكالية المداخلة:

أولا: مصادر مادة التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز

ثانيا: مسح وصفي إحصائي للتراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز (كتبا، صحفا، مراسلات)

ثالثا: بعض مميزات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز

رابعا: قائمة بالبحوث العلمية المقترحة لدراسة علاقة الأستاذ محمد علي دبوز بالسياسة (فكرا ونضالا)

أولا: مصادر مادة التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز

أولا: الكتب المنشورة من طرف الأستاذ الباحث محمد علي دبوز:

1-1)- كتاب: أعلام الإصلاح في الجزائر: من عام 1340هـ

1921م - إلى عام 1395هـ 1975م، بأجزائه الخمسة المطبوعة، ط1: ج1: 1394هـ/1974م،ج2: 1394هـ/1974م،ج3: 1398هـ/1978م،ج4: 1400هـ/1980م،ج5: 1394هـ/1974م.

1-2)- كتاب: تاريخ المغرب الكبير، بأجزائه الثلاثة المطبوعة، الطبعة الأولى:ج1: 1384ه/1963م ... ج2: 1383هـ/1964م... ج3: 1384ه/1963م.

1-3)-كتاب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، بأجزائه الثلاثة المطبوعة:ج1: 1385هـ/1965م، ج2: 1391ه/1971م، ج3: 1389هـ/1969م.

ثانيا: الكتب غير المنشورة للأستاذ الباحث محمد علي دبوز:

وهي أعمال يتوقع أنها تتضمن جوانب عن الأوضاع السياسية في مزاب والجنوب الجزائري إباء الحكم العسكري للاحتلال الفرنسي، ومنها:

1-1)-كتاب: حالة ميزاب وجنوب الجزائر قبل النهضة(مرقون).

1-2)- كتاب: شباب النهضة الحديثة في ميزاب(مرقون).

1-3)- كتاب: عهود الظلام في الجزائر (مرقون).

ثالثا: الكتب المنشورة عن تراث الأستاذ الباحث محمد علي دبوز:

2-1)- د.محمد ناصر[بربوشة]، محمد علي دبوز، والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، نشر مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، بريان،

غرداية، 1994م.

2-2)- أعمال الأستاذ الدكتور: محمد قاسم ناصر بوحجام منها: كتاب: مفهوم التاريخ عند الشّيخ محمد علي دبوز، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، 2011.

2-3)- د. محمد ناصر[بربوشة]، مشائخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر، 1429/ 2008.

2-4)- بيوض إبراهيم بن محمد دبوز، الشيخ محمد علي دبوز، تاريخه، شخصيته، جهاده، وآثاره، نشر مكتبة الصفاء، بريان، الجزائر، ط1، 1413ه/1998.

رابعا: الأبحاث الجامعية عن تراث الأستاذ الباحث محمد علي دبوز:

للأسف لم ينجز بعد إلى حد اليوم بحوث كثيرة في الجامعة الجزائرية والأجنبية حول أعمال الأستاذ الباحث محمد علي دبوز، بل إنه لم يحظ في حدود علمي بأي دراسة لنيل الدكتوراه، وما أنجز قدم لنيل شهادة الماستر في علم التاريخ: مثل:

أ)- خزاري نادية، مذكرة ماستر بعنوان: الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز، نوقشت بقسم التاريخ، جامعة المسيلة، إشراف د. مصطفى عبيد، 2018.

ب)-سويسي إلهام وكريوط حورية، مذكرة ماستر بعنوان: محمد علي دبوز وإسهاماته التـاريخية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة2، إشراف:

د. كروشي نور الدين، 2018.

ج)-أولاد داود إلياس، محمد علي دبوز وإسهاماته التـــاريخية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، إشراف: د. الشافعي درويش، 2017.

خامسا: المحاضرات المقدمة عن تراث الأستاذ الباحث محمد علي دبوز:

وهي المداخلات المقدمة من طرف باحثين أو مثقفين من داخل أو خارج الوطن، مثل:

مداخلات الدكتور المؤرخ إبراهيم فخار، والدكتور محمد ناصر بوحجام وآخرون.

وأعمال منشورة ضمن كتب كتاب عرب مشارقة ومغاربة: كأعمال أنور الجندي المصري ومحمد عطية الأبراشي المصري وعلي يحي معمر الليبي...الخ

سادسا: المقالات الصحفية المنشورة للأستاذ محمد علي دبوز في الجرائد الوطنية والعربية(البصائر والمنار وغيرهما)

وهي التي تم إحصاؤها وتصنيفها ضمن أعمال عدة منها هذه المداخلة، وكتاب الابن بيوض إبراهيم في كتابه عن والده وتحديدا منها مقالاته في مجلة "الشباب" الصادرة عن معهد الحياة بالقرارة خلال الأربعينيات من القرن الماضي.

سابعا: المحاضرات المسجلة من إلقاء الأستاذ الباحث محمد علي دبوز:

من خلال إحصاء ثم تفريغ محتوى الأشرطة المسجلة للمحاضرات العامة للأستاذ محمد علي دبوز، والتي لم نتمكن من الاطلاع على مضامينها.

ثامنا: شهادات معاصري الأستاذ الباحث محمد علي دبوز:

من خلال إجراء مقابلات مسجلة لمن هم على قيد الحياة من معاصري للأستاذ محمد علي دبوز (أساتذة وطلبة وأبناء وأصدقاء...)، وهو ما نأمل القيام به من طرفنا أو باحثين آخرين.

تاسعا: المراسلات الخاصة للأستاذ محمد علي دبوز:

تحليل المضامين المتعلقة بالأفكار والأخلاق والشخصيات والأحداث السياسية في مئات الرسائل المفهرسة للأستاذ محمد علي دبوز الموجودة بمكتبة الصفاء ببريان.

عاشرا: الموقع الرسمي للشيخ محمد علي دبوز:

وهو من أحدث ما صمم من طرف مكتبة الصفاء ببريان مشكورة:

http://www.cheikhdabouz.com/cms/index.php

ثانيا: مسح وصفي إحصائي للتراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز (كتبا، صحفا، مراسلات)

قمنا بتصنيف المادة الفكرية المحررة المنشورة والموجودة في أرشيف تراث الأستاذ البحث محمد علي دبوز في المجالين السياسي والصحفي والمراسلات ؛

وذلك ليسهل علينا التعرف على طبيعة الحقول والمحاور المعرفية والموضوعاتية التي تندرج فيها، ومن ثمة إعادة تثمين محتويات أفكار وأعمال أستاذنا الباحث.

يمثل هذا الجهد الأول المسحي الاستكشافي عملا تصنيفيا تمهيديا... ينتظر قيام أجيال من الباحثين المتخصصين الجادين بجهود بحثية أعمق، يكون تفكيكيا ثم تركيبيا، فنقديا... لمضامين تلك المساهمة.

وإليكم عناصر هذه المحاولة:

1)- أهم موضوعات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز في المصنفات التاريخية وسير الأعلام (في الكتب)

2)- أهم موضوعات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز في المصنفات التاريخية في الصحف

3)- أهم موضوعات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز في المصنفات التاريخية في المراسلات السياسية.

والآن، إلى التفاصيل:

2-1)- أهم موضوعات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز في المصنفات التاريخية وسير الأعلام (في الكتب):

أولا: في الفكر السياسي

ثانيا: في المفاهيم والنظرية السياسية

ثالثا:في التاريخ السياسي

رابعا: في الاجتماع السياسي

خامسا: النظم السياسية ونظم الحكم والقانون الدستوري

سادسا: العلاقات السياسية الدولية

إلى تفصيل التفصيل:

أولا: في الفكر السياسي:

هنا، نرصد في الأعمال المنشورة للأستاذ الباحث محمد علي دبوز ما يلي:

1-1) الفكر السياسي الاستعماري (قبل وبعد الاستعمار الفرنسي)

1-2) الفكر السياسي الإسلامي (منذ الفتح إلى العصر الحديث)

1-3)- الفكر السياسي الوطني(الحركة الإصلاحية الإسلامية)

ثانيا: في المفاهيم والنظرية السياسية:

نرصد في الأعمال المنشورة للأستاذ الباحث محمد علي دبوز ما يلي من المفاهيم السياسية المركزية:

- مفهوم الإصلاح
- مفهوم الفساد
- مفهوم الاستعمار
- مفهوم النهضة
- مفهوم البربر والأمازيغ
- مفهوم الوحدة
- مفهوم المغرب الكبير

- مفهوم الاستقلال والتحرر
- مفهوم الشعوبية
- مفهوم المذهبية
- مفهوم التربية
- مفهوم الديمقراطية
- مفهوم الجمهورية
- مفهوم الملوكية / الملكية المطلقة
- مفهوم الاشتراكية الإسلامية

وفي النظرية السياسية، نرصد في الأعمال المنشورة للأستاذ الباحث محمد علي دبوز ما يلي من مساهمات في موضوعات النظرية السياسية:

أ)- نظرية الإمامة الإسلامية والحكم الجمهوري الشوري

ب)- نظرية النهضة والإصلاح الاجتماعي والسياسي... وغيرها.

ثالثا: في التاريخ السياسي:

نرصد في الأعمال المنشورة للأستاذ الباحث محمد علي دبوز ما يلي:

2-1)- التاريخ العام للشمال الإفريقي منذ العصور القديمة،الوسيطة فالحديثة

تناول الأستاذ الباحث محمد علي دبوز التاريخ السياسي

للدول المتعاقبة على منطقة الشمال الإفريقي(المغرب الكبير) وتحديدا فترات الدول المتعاقبة قبل الاستقلال الوطني للجزائر الحديثة، وهي:

فترة ما قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا:

- الدولة البونيقية/ الفينيقية(بشكل موسع)
- الدولة البربرية الكبرى(بشكل موسع)
- الدولة الرومانية(بشكل موسع)
- الدولة الوندالية(بشكل أقل توسعا)
- الدولة البيزنطية(بشكل أقل توسعا)

أما عن التأريخ السياسي لفترة الفتح الإسلامي والدول الإسلامية المتعاقبة على الشمال الإفريقي، فرصدنا تناوله لما يلي من موضوعات:

- نهايات دولة الخلافة الراشدة(فترة حكم علي والفتنة الكبرى) (بشكل موسع)
- الدولة الأموية(بشكل موسع)
- الدولة العباسية(بشكل مقتضب)
- الدولة الأغلبية(بشكل مقتضب)
- الدولة الإدريسية(بشكل مقتضب)
- الدولة الرستمية(بشكل موسع)
- الدولة العبيدية/ الفاطمية(بشكل مقتضب)
- الدولة الموحدية (بشكل مقتضب) مع (إغفال الدولة

المرابطية؟)

- الدولة الحفصية بتونس
- دولة بني زيان(الزيانيين) بتلمسان
- الدولة العثمانية(بشكل مقتضب)
- وأخيرا: تاريخ دولة الاحتلال الاستيطاني الفرنسي وتاريخ الجزائر المستعمرة (شمالا وجنوبا)، مركزا على أنشطة الحركة الإصلاحية عموما والحركة الإصلاحية البيوضية تحديدا وبشكل موسع مستفيض.

بينما يلاحظ جليا عدم معالجة الأستاذ الباحث محمد علي دبوز لفترة دولة الاستقلال الوطني الجزائري، في أعماله ضمن موضوعات وقضايا التاريخ السياسي للدول المتعاقبة على منطقة الشمال الإفريقي (المغرب الكبير).

تميز التناول في هذا المجال بمجموعة من الخصائص:

أ)- التركيز على تاريخ الحركة الإصلاحية دون غيرها من الحركات السياسية الاجتماعية النشطة في الساحة الجزائرية كالاتجاه الاستقلالي لحزب الشعب والحركة الشيوعية الجزائرية والاتجاه الليبيرالي الجزائري وغيرهما.

ب)- القيام بدور الباحث والفاعل في نفس الوقت. فقد كان صاحب رسالة وقضية ونضال فكري سياسي ولم يزعم الحياد المستحيل في الأعمال البحثية المتعلقة بالموضوعات الإنسانية.

ج)- تناول الباحث دبوز التاريخ من المدخل العام الشامل الحضاري، أي أننا نجد التناول للتطورات والقضايا التاريخية لا يقتصر على الجانب السياسي(الذي نركز عليه في هذه الورقة)، بل يشمل الاقتصادي والعسكري والفكري والاجتماعي والفني الأدبي...الخ

رابعا: في الاجتماع السياسي:

نرصد في الأعمال المنشورة للأستاذ الباحث محمد علي دبوز فيما يتعلق بموضوعات الاجتماع السياسي، ما يلي:

4-1)- حول الجماعات الإسلامية(الفرق والمذاهب الإسلامية)

4-2)- حول الحركات الشعبية الثورية والتمردات وحركات الخروج المسلح على الحكام وحركات التغيير الاجتماعي

4-3)- حول الحركة الإصلاحية(الإسلامية الباديسية والعبداوية والبيوضية)

4-4)- حول الزوايا والمساجد والمدارس والمعاهد الدينية وحلقات العزابة والبعثات العلمية إلى الخارج

4-5)- حول الجمعيات

4-6)- حول أدوار ومشاركة المرأة في دعم الحركة الإصلاحية

4-7)- حول الأيديولوجيات: المعتزلة، الواصلية، الإباضية والشيعة والمالكية...

4-8)- حول قضايا التنشئة السياسية

4-9)- حول النخب عامة والشخصيات والنخب الدينية والعلمية

الإصلاحية التوجه خاصة. وغيرها...

خامسا: النظم السياسية ونظم الحكم والقانون الدستوري:

رصدنا تناول الأستاذ الباحث محمد علي دبوز لما يلي من الموضوعات:

وقد تناول بشكل مركز بالتحليل:

أ)- نظام الحكم الجمهوري الشوري أو الديمقراطي ، ممثلا في نظام الإمامة الإسلامية(الدولة الإباضية/ الدولة الرستمية والدولة الموحدية وقبل الإسلام نظام الحكم في الدولة الفينيقة والنوميدية) ؛

ب)- نظام الحكم الملوكي أو الملكي المطلق (ممثلا في نظامي حكم الأمويين والعباسيين والعبيديين الخ)

سادسا: العلاقات السياسية الدولية:

رصدنا تناول الأستاذ الباحث محمد علي دبوز بالتحليل وبشكل مركز المواضيع التالية:

أ)- العلاقات الدولية في شمال إفريقيا عبر العصور القديمة والوسيطة.

ب)- العلاقات الدولية في شمال إفريقيا في العصر الحديث(الدولة العثمانية وحقبة الاحتلال الأوروبي

2-2)- أهم موضوعات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز في الصحف:

يوضح الجدول الموالي الحصيلة المحررة من الأستاذ محمد

علي دبوز والمنشورة في الصحافة الجزائرية (البصائر) والعربية(المنار)، وهي تناهز الثلاثين مقالا متاحة في متناولنا من مكتبتي البكري(العطف) والصفاء(بريان)، وهي كالتالي:

العدد	تاريخ الصدور	السنة	عنوان المقالة والتوقيع الأصلي	الحلقة	الصفحة	مكان الأرشفة
جريدة البصائر						
عدد 20	21 ربيع الأول 1367هـ/ 2 فيفري 1948	؟؟	الشهيدة مأساة ميزاب [صدرت في حلقتين أي في عددين؟]	؟؟	؟؟	كتاب بوحجام (ص51-60)
عدد 250	ديسمبر 1953م	06	المكيدة [صدرت في حلقتين أي في عددين؟]	؟؟	؟؟	كتاب بوحجام (ص61-70)
عدد 82	الإثنين 9 شعبان 1368هـ/ 6 جوان 1949م	02	فرحة ميزاب [احتفاء بحملة وادي زقرير]	؟؟	؟؟	مكتبة الصفا - دبوز بريان
عدد 77	الإثنين 27 جمادى الثانية 1368هـ/ 25 أفريل 1949م	؟؟	ذكرى الأربعين، عبرات على قبر الشيخ الطرابلسي	؟؟	؟؟	كتاب بوحجام (ص71-

						73)
عدد 217	؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	08	حمار الحكيم [صدرت في حلقتين أي في عددين؟]	؟؟	؟؟	كتاب بوحجام (ص74-83)
عدد 248	الجمعة 13 ربيع الأول 1373هـ/ 20 نوفمبر 1953م	06	حديث الجاحظ: من أسباب ضعفنا في الأدب إمضاء: القرارة. ميزاب. محمد علي	01	؟؟	مكتبة البكري العطف
عدد 249	الجمعة 27 ربيع الأول 1373هـ/ 4 ديسمبر 1953م	06	حديث الجاحظ: من أسباب ضعفنا في الأدب إمضاء: القرارة. ميزاب. محمد علي	02	03	مكتبة البكري العطف
عدد 253	3 جمادى الأولى 1373هـ/ 8 جانفي 1954م	06	الشهيد بقلم: محمد علي	؟؟	7-6	مكتبة البكري العطف
عدد 255	16 جمادى الأولى 1373هـ/ 22	06	الشهيد بقلم: محمد علي	؟؟	06	مكتبة البكري

	جانفي 1954م					العطف
عدد 271	12 رمضان 1373هـ/ 15 ماي 1954م	؟؟	من صفحات البطولة: عبد الله بن ياسين الجزولي بقلم: محمد علي [صدرت في أكثر من حلقة أي في أكثر من عدد؟]	خاتمة	07	مكتبة البكري العطف
عدد 312	الجمعة 8 شعبان 1374هـ/ 1 أفريل 1955م	07	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	01	عدد 312	الجمعة 8 شعبان 1374هـ/ 1 أفريل 1955م
عدد 313	الجمعة 15 شعبان 1374هـ/ 8 أفريل 1955م	07	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	02	عدد 313	الجمعة 15 شعبان 1374هـ/ 8 أفريل 1955م

عدد 315	الجمعة 29 شعبان 1374هـ/ 22 أفريل 1955م	07	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	03	عدد 315	الجمعة 29 شعبان 1374هـ/ 22 أفريل 1955م
عدد 317	الجمعة 14 رمضان 1374هـ/ 6 ماي 1955م	08	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	04	عدد 317	الجمعة 14 رمضان 1374هـ/ 6 ماي 1955م
عدد 318	الجمعة 21 رمضان 1374هـ/ 13 ماي 1955م	08	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	05	عدد 318	الجمعة 21 رمضان 1374هـ/ 13 ماي 1955م

عدد 319	الجمعة 28 رمضان 1374هـ 20 ماي 1955م	08	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	06	عدد 319	الجمعة 28 رمضان 1374هـ 20 ماي 1955م
عدد 321	الجمعة 12 شوال 1374هـ/ 03 جوان 1955م	08	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	07	عدد 321	الجمعة 12 شوال 1374هـ/ 03 جوان 1955م
عدد 322	الجمعة 19 شوال 1374/ 10 جوان 1955م	08	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز [هناك خلل في ترقيم الحلقات من المصدر]	؟؟	عدد 322	الجمعة 19 شوال 1374/ 10 جوان 1955م

عدد 323	الجمعة 26 شوال 1374هـ 17 جوان 1955م	08	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	08	عدد 323	الجمعة 26 شوال 1374هـ 17 جوان 1955م
عدد 327	الجمعة 25 ذي القعدة 1375هـ/ 15 جويلية 1955		تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	؟؟	عدد 327	الجمعة 25 ذي القعدة 1375هـ/ 15 جويلية 1955
عدد 328	الجمعة 2 ذو الحجة 1374هـ/ 22 جويلية 1955م	08	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلم: محمد علي دبوز	؟؟	6+3-2	مكتبة البكري العطف
عدد 334	الجمعة 6 صفر 1375هـ/ 23 سبتمبر	08	وقفة مع دار الرافعي وعلى قبره	01	؟؟	مكتبة الصفا - دبوز

	1955م					بريان
عدد 336	الجمعة 20 صفر 1375هـ/ 7 أكتوبر 1955م	08	وقفة مع دار الرافعي وعلى قبره	02	؟؟	مكتبة البكري العطف
عدد 337	الجمعة 27 صفر 1375هـ/ 14 أكتوبر 1955م	08	وقفة مع دار الرافعي وعلى قبره	03	05	مكتبة الصفا- دبوز بريان
عدد 340	الجمعة 25 ربيع الأول 1375 هـ/ 11 نوفمبر 1955م	08	وقفة مع دار الرافعي وعلى قبره	04	؟؟	مكتبة الصفا- دبوز بريان
عدد 342	الجمعة 9 ربيع الثاني 1375هـ/ 25 نوفمبر 1955م	08	وقفة مع دار الرافعي وعلى قبره	05	5+2	مكتبة البكري العطف
عدد 347	الجمعة 16 جمادى الثانية 1375هـ/ 30 ديسمبر 1955م	08	وقفة مع دار الرافعي وعلى قبره	؟؟	؟؟	مكتبة الصفا - دبوز بريان

عدد 358	الجمعة 3 شعبان 1375هـ/ 16 مارس 1956	08	يوغرطة الملك البطل العظيم! بقلم: محمد علي دبوز	01	07	مكتبة البكري العطف
جريدة المنار						
عدد 41	الجمعة 10 شعبان 1382هـ/ 24 أفريل 1953م	03	علة الانصداع وسبب الاجتماع	؟؟	01 و03	مكتبة البكري العطف

من الجدول أعلاه صنفنا ثلاثة موضوعات أساسية تصنف ضمن التراث السياسي للأستاذ محمد علي دبوز:

أ)- مقالات في الأدب السياسي أو القصة السياسية، المستقاة من التاريخ السياسي، مثل: قصة «المكيدة» ؛

ب)- مقالات حول الشخصيات السياسية، مثل:

نبذة عن سيرة يوغرطة بعنوان: «يوغرطة الملك البطل العظيم!» الصادرة في حلقتين ؛

نبذة عن سيرة الفقيه والشهيد المالكي/ مؤسس دولة المرابطين: عبد الله الجزولي،(ت451هـ=1059م))، بعنوان: «من صفحات البطولة: عبد الله بن ياسين الجزولي»

نبذة عن سيرة محمد الطرابلسي بعنوان: «ذكرى الأربعين، عبرات على قبر الشيخ الطرابلسي»

ج)- مقالات في نقد التأريخ السياسي: صدرت في 11 حلقة حول كتاب «تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي»

ملاحظات:

أ)- أن أعداد الجرائد المذكورة أعلاه، موجودة بمكتبة البكري بمدينة العطف، حسب إحصائنا لمحتوياتها سنة 2003م بمناسبة إعدادنا لمادة الكتاب الصادر بعنوان: «بصمات البكري الصحفية من أرشيف الحركة الوطنية الحديثة»، عن جمعية البكري. وجزء منها من الأعداد أعلاه موجود في مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز - بريان، وهو نتاج عملية جرد قام بها الأستاذ صالح محمد علي دبوز أمين المكتبة مشكورا.

ب)- جميع أعماله الصحفية صدرت من أواخر الأربعينيات إلى أواسط الخمسينيات، بينما جميع أعماله التصنيفية (الكتب) صدرت في الستينيات والسبعينيات، ما يدل على أولوية الاشتغال تأليف الكتب على تحرير المقالات الصحفية، وقد كانت هذه الأخيرة عبارة عن ملخصات ومتابعات لمحتويات الأعمال التأريخية أو الأدبية بالأساس ولم تكن مقالات صحفية تتناول قضايا الأحداث السياسية الجارية.

ومنه، فإن الأفكار السياسية الواردة فيها هي من صنف التاريخ السياسي أو الأخلاق السياسية والأدب السياسي.

ج)- ومما لم ندرجه في الجدول الإحصائي أعلاه، المقالات المحرر من طرف الأستاذ محمد علي دبوز في مجلة "الشباب"، التي

كانت تصدر عن طلبة معهد الحياة خلال الأربعينيات، وله فيها أربع وسبعون مقالا(74)، نجد بينها بعض المقالات ذات المضامين السياسية، مثل:

مقال بعنوان: "من نفحات تاهرت: الإمام أفلح "، العدد: 337، صادر بتاريخ: 30 محرم 1360هـ/ 29 فيفري 1941.

2-3)- أهم موضوعات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز في المراسلات:

أتاحت مكتبة الصفا بين أيدي الباحثين مجموعة معدودة من رسائل الأستاذ الباحث محمد علي دبوز، التي يمكن تصنيفها ضمن الرسائل السياسية، نشير إلى اثنتين منهما على سبيل المثال:

1)- رسالة الاحتفال أقامته جمعية الفتح وفرع جمعية القدماء(قدماء معهد الحياة)، المصادفة لتولي السيد عمر بن سليمان بودي منصب قايد بريان، بتاريخ: 8 مارس 1953

2)- رسالة بمناسبة الاحتفالات بالاستقلال الوطني في أوت 1962، في القرارة، إلى العقيد محمد شعباني قائد الولاية السادسة(لكن الاحتفال ألغي)، رسالة مؤرخة في: 8 صفر 1382/ 10 جويلية 1962.

- ملاحظات حول المراسلات السياسية:

أ)- قلة عدد الرسائل السياسية، التي تتناول موضوعا سياسيا محددا، وإن احتوت المراسلات الأخرى إشارات سياسية.

ب)- تتعلق الرسائل السياسية بأحداث محلية في بريان أو

وطنية.

رابعا: بعض مميزات التراث السياسي للأستاذ الباحث محمد علي دبوز

4-1)- المرجعية الفكرية: إسلامية إصلاحية، تمزج بين البعدين العروبي والأمازيغي للهوية الجزائري والمغاربية.

4-2)- المصادر: الوحي الإلهي وأعمال الباحثين المؤرخين العرب القدماء والمعاصرين أمثال ابن الصغير وابن خلدون وأحمد توفيق المدني وعثمان الكعاك وعبد الرحمان الجيلالي ...الخ

4-3)- استخدام المنهاج الوصفي والتاريخي والمقارن وتقنية المقابلة في تحليل وجمع المعطيات.

4-4)- الانفتاح على المساهمات والتجارب والشخصيات الإسلامية الإصلاحية في أجزاء هامة من القطر الجزائري، مع إغفال غيرها من المساهمات التغييرية السياسية الاجتماعية:

حيث ركز تعقب الأستاذ الباحث لمسيرة النهضة والإصلاح، على استعراض سير حياة أعلامها في بعض المناطق والمدن والدول دون غيرها:

فمثلا ركز داخل الوطن الجزائري على مناطق ومدن: تبسة وقسنطينة والجزائر العاصمة والأغواط وبوسعادة والجلفة وبسكرة وورقلة وسائر مدن مزاب الستة: (القرارة، بريان، بنورة، غرداية، العطف، بن يزجن) ؛

وخارج القطر الجزائري ركز مثلا على: طرابلس الغرب وتونس والقاهرة.

4-5)- التركيز على عرض متفاوت الحجم والعمق لسير وأدوار النخبة من قادة الفكر والإصلاح والتغيير قديما ووسيطا وحديثا في مختلف حقب التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة الشمال الإفريقية ؛ ولكن من دون تمييز يذكر على أساس مذهبي أو عرقي أو قطري ؛ مع احتفاظه بحقه في التركيز على أزيد من سبعين شخصيات سياسية واجتماعية ودينية منتمية إلى الاتجاه الإصلاحي الإسلامي والوطني: مثل:

محمد بن أبي القاسم الهاملي

عبد القادر المجاوي

عبد الحليم بن سماية

محمد بن مصطفى المضرّبة

حمدان بن عصمان خوجة

المولود بن الموهوب

المكي بن عزوز

أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي

ضياء الدين عبد العزيز الثميني

الحاج محمد بن يوسف اطفيش

الشيخ صالح بن يحي

الأمير خالد الجزائري

محمد عبده

رشيد رضا
مصطفى كامل
سليمان الباروني
عبد الكريم الخطابي
الأمير عبد المالك الجزائري
أبو إسحاق إبراهيم اطفيش
عبد الحميد بن باديس
عيسى بن عمارة
الطيب العقبي
إبراهيم بن بكير الحاج عمر بن حمو بكلي
الحاج داود بن يوسف
سليمان بن حاجو
الحاج الناصر بن إبراهيم الدغور (كروشي)
حمو بن الحاج الناصر الدغور (كروشي)
بالحاج بن كاسي
الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج
إبراهيم بن عيسى غرافة
الحاج محمد بن الحاج قاسم
الحاج إبراهيم بن عيسى الأبريكي
الحاج عمر بن يحي

بابكر بن الحاج مسعود
الحاج عمر بن يحي
بيوض إبراهيم بن عمر
عبد الله بن إبراهيم أبو العلا
الحاج عمر بن الحاج مسعود
عدون بن بالحاج
باسعيد بن الحاج داود
محمد الطرابلسي
محمد بن الطاهر
إبراهيم بن نوح متياز
أحمد بن الحاج موسى بابا عمي
سليمان بن بانوح
أحمد بن عيسى قزريط
سليمان بن الناصر حسني
الحاج سليمان بن الحاج اسماعيل فخار
عباس بن حمانة
محمد بن بكير (التاجر)
الحاج عمر العنق
العربي بن بلقاسم التبسي
البشير الإبراهيمي

عمارة بن إبراهيم بن كاسي بن بهون
أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى
عبد العزيز الثعالبي
مبارك بن محمد الميلي.

4-6)- ومع تسجيل غلبة التركيز على أعلام وأحداث الحركة الإصلاحية في مزاب ومدن الأغواط وتبسة، نجده أشد تركيزا على سيرة الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر والشيخ أبو اليقظان إبراهيم.

4-7)- يلاحظ أن علماء الإصلاح لباقي المناطق الجزائرية، لم يشملها الأستاذ بالبحث في سيرها ؛ ولعلها كانت من بين مشاريعه، لكن ظروف العمل في السبعينيات في ظل الحكم البوميديني والحزب الواحد المقيد للحريات، وتقدم العمر واستدراك حظه من رعاية شؤون الأسرة بعد عودته من غربته العلمية بمصر، قد حالت دون إتمام البحث في هذا الاتجاه.

4-8)- إغفال البحث في سير أعلام الحركات السياسية في الجزائر كالحركة الوطنية الاستقلالية لحزب الشعب والحزب الشيوعي الجزائري ؛ حيث لا نجد مثلا ذكرا لأعمال الشاعر المجاهد مفدي زكرياء - مع ذكر مختصر لرفيقه المجاهد غرافة بن عيسى إبراهيم(الغرداوي)- وغيرهم من الأعلام: كمحمد العيد آل خليفة ورضا حوحو والأمين العمودي...الخ

خامسا: قائمة بالبحوث العلمية المقترحة لدراسة علاقة الأستاذ محمد علي دبوز بالسياسة (فكرا ونضالا) في الكتب والصحف والمراسلات وفي النضال السياسي

المحور الأول: عصر دبوز وانعكاسه على فكره وشخصيته.

أثر الأحداث السياسية على فكر دبوز.

الوضع الوطني.

الوضع الخارجي.

مميزات وخصائص شخصية دبوز.

المحور الثاني: معالم ومنطلقات الفكر السياسي عند دبوز.

مفهوم السياسة عند دبوز.

أسس فلسفة السياسة عند دبوز.

الأفكار السياسية الأساسية عند دبوز.

المحور الثالث: القضايا السياسية الوطنية في فكر دبوز.

موقف دبوز من الإدارة الفرنسية.

علاقة دبوز بالحركة الوطنية.

دبوز وسياسة الإدماج.

دبوز والوحدة الوطنية.

فكرة الاستقلال عند دبوز.

الديمقراطية والشوري والجكم الجمهوري عند دبوز.

موقف دبوز من المشاركة السياسية.

الأمة في فكر دبوز.

المحور الرابع: القضايا المغاربية والعربية الإسلامية والعالمية في فكر دبوز.

دبوز والقضايا السياسية المغاربية.

دبوز والقضايا السياسية العربية.

دبوز والقضايا السياسية الإسلامية.

دبوز والقضايا السياسية الدولية.

المحور الخامس: القضايا السياسية في الأعمال الصحفية للأستاذ محمد علي دبوز

مساهمات في النقد التأريخي

توظيف التاريخ القديم والوسيط في تنوير العمل السياسي الاستقلالي الحديث

المحور السادس: القضايا السياسية في مراسلات الأستاذ محمد علي دبوز

قضايا سياسية في مزاب

قضايا سياسية في الجزائر

قضايا سياسية في العالمين العربي والإسلامي

المحور السادس: المواقف السياسية للأستاذ الباحث محمد علي دبوز

المساهمة في دعم الحركة الوطنية الجزائرية في المهجر

المساهمة في دعم الثورةالجزائرية

العمل السياسي خلال فترة الاستقلال والبناء والتشييد الوطني

خلاصة القول:

في الأخير، نعتبر أن الحصيلة المسحية لتراث الأستاذ الباحث محمد علي دبوز، تدل على أن هذا الأخير قد أدلى بدلوه وهو يؤرخ ويوجه تربويا إلى العبر المستقاة من التاريخ القديم والوسيط والحديث وسير أعلام الجزائر المنتمين للحركة الإصلاحية الإسلامية الحديثة، في مسائل تتعلق بالفكر والمفاهيم والنظرية والتاريخ والشخصيات السياسية.

ومنه، أهمية العناية البحثية بهذا الرصيد واكتشاف المساهمة الخاصة به في المجال السياسي فكرا ونضالا، ومنه تغيير الصورة النمطية عن أعمال الشيخ محمد علي دبوز بأنه مؤرخ وأديب ومربٍّ بامتياز، وإنما تأكيد أن له في مباحث علم السياسة والعلاقات الدولية نصيب، وجب العناية به بحثا وتأليفا.

قائمة المصادر والمراجع:

1)- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير. (جميع الأجزاء)

2)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر. (جميع الأجزاء)

3)- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. (جميع الأجزاء)

4)- بيوض إبراهيم بن محمد دبوز، الشيخ محمد علي دبوز، تاريخه، شخصيته، جهاده، وآثاره.

5)- جريدة البصائر(الجزائرية)

6)- جريدة المنار(المصرية)

7)- قاسم حجاج، مداخلة بعنوان: "مساهمة الأستاذ الباحث الجزائري دبوز محمد علي في الفكر والعمل السياسي والصحفي"، السبت 27 شعبان 1434هـ/ 6 جويلية 2013م، اليوم الدراسي حول "فكر وتراث الشيخ محمد علي دبوز"، مكتبة الصفاء - بريان - ولاية غرداية – الجزائر.

الأبعاد الإيمانيّة في خطب الشيخ محمد علي دبوز السياسيّة

أ.د. حمو الشيهاني
جامعة غرداية

مقدمة:

للأستاذ محمد علي دبوز (1337هـ/1919م-1402هـ/1981)[1] تراثٌ فكريٌّ منشورٌ إلى جانب تراث مخطوط مغمور ينتظر الدراسة والتحقيق ورؤية النور؛ ومن هذا الصنف خُطبٌ مطوّلةٌ خطَّها بيده في عديد المناسبات.

يقوم هذا البحث بتسليط الضوء على نماذجَ من خطب الشيخ محمد عليّ دبوز في المجال السياسيّ منذ عهد ثورة التحرير إلى فجر الاستقلال المجيد، ساعيًا إلى رصد أبعادها الإيمانيّة.

المقصود بـ"البُعد الإيمانيّ في الخطاب" تأصيلُ الخطيب أقوالَه وربطُ توجيهاتِه بكليَّات الإيمان؛ التي ما أُحكِم استعمالُها فِي خطابٍ إلاَّ وألهبت نفسَ المتلقّي الموقنِ، مُولِّدَةً لديه طاقةً باطنيّةً تحملُه عَلَى تصديق الكلام والعمل بمقتضاه بكلّ استسلام.

يُفتَرضُ أن تكون جميع أنشطةِ حياة المسلم اليوميّة، التعبديّةِ

1 – معجم أعلام الإباضية: 4/812-815، ترجمة: 840.

منها والعاديّة، تتّسم بأبعادٍ إيمانيّة؛ فما مدى حضور هذه الأبعاد فِي خطب الشيخ محمد عليّ دبوز في المجال السياسيّ؛ الذي هو مظنّة استئساد حظوظ النفس وتأثيرِ الدعايات؟ وهل عَدّد الشيخُ توظيفَ أصولِ الإيمان؟ وما أَثَرُ ذلك في خطاباته؟

عناصر المداخلة:

- التوحيد والغيب
- الإيمان بالرسل
- الإيمان باليوم الآخر
- البُعد الاستخلافيّ للإيمان

يجدر التمهيد لهذه المحاور بوصف عيّنةٍ من خطب الشيخ محمد علي دبوز؛ التي اعتمدتها الدراسةُ واتخذتها نموذجًا لرصدِ الأبعاد الإيمانيّة.

وصف الخُطبِ محلِّ الدراسة:

الخطب التي سعى البحث لرصد أبعادها الإيمانية منسوخة بخطٍّ جميلٍ بيَدِ المؤلِّف في كراريس، رَقَّمَ صفحاتها، ودوّن في هوامشها مناسبة إلقائها، ومنها ما أثبت فيها تاريخ نسخها؛ وهي الآتي:

- الخطبة الأولى: أُلقيت بمعهد الحياة ليلة الخميس 16 شوال

1381هـ/ 22 مارس1962[1] بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، النسخة الأصلية موجودة بمكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس:07، عدد صفحاتها: 23.

- الخطبة الثانية: أُعدَّت لاحتفالٍ بُرمجَ لاستقبال قيادة الولاية السادسة في شهر أوت 1962 بالقرارة، إلا أنَّ اللقاء لم ينعقد، كتبت بالقرارة يوم 08 صفر 1382هـ/ 10 جويلية 1962م، النسخة الأصلية موجودة بمكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس:03، عدد صفحاتها: 12.

- الخطبة الثالثة: ألقيت في حفلة التكريم التي أقامتها جمعية الفتح وفرع جمعية قدماء التلاميذ لأحد أعضائها الأدباء عمر بن سليمان بودي بمناسبة تولّيه قيادة بريان، حررت بالقرارة يوم الخميس 05مارس 1953، النسخة الأصليّة موجودة بمكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس: 08، عدد صفحاتها:17.

التوحيد والغيب

المجاهد الصادق وحقيقة الشهيد:

---

1 – كتب في الطرّة اليمنى من الصفحة الأولى: "اِنتهيت من تبييضها في يوم الأحد10 ذي القعدة 1381هـ/ 15 أفريل 1962م، وألقيت ليلة الإثنين 11ذو القعدة 1381هـ/ 16 أفريل 1962م في حفلة المعهد"؛ فهذا التاريخ الأخير إمَّا: تاريخٌ لإعادة إلقاء الخطبة، أو هو إشارةٌ لتأجيل اللقاء وتحديدٌ لموعده الجديد؛ لأن التاريخ الأوّل مثبتٌ في مقدمة الخطبة.

ليس كلُّ من حملَ السلاحَ مجاهدًا، وليس الجهاد محصورًا في حمل السلاح، وليس كلُّ قتيلِ حربٍ شهيدًا، عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»1.

يؤكّد الشيخ محمد علي دبوز أنّ الثورة الجزائرية لم تقم لأجل تحرير الأرض واسترجاع الحقوق المادية فحسبُ، فإنّ ذلك استنقاص من قدر المجاهدين ومقام الشهداء، بل إنَّها قامت لأجل إعلاء كلمة الله ونُصرَة دينه. إذ قال: «إنّ مَن يظنّ أن الجزائر ثارت لغير دينها ليحتقرُ شهداءَنا؛ لأن الشهيدَ هو من يموت في سبيل الدين الحنيف، لا من يُصرع في سبيل الرغيف، ومن ظن أنَّ الجزائر ثارت وضحّت لغير دينها ليُجرّد أبطالَنا وجنودَنا من أعظم لقبٍ وأكبر تاجٍ يعتزّون به، وهو لقب "المجاهد" لأن المجاهد/10/ هو الذي يقاتل في سبيل الله نصرةً لدينه وإعلاء كلمته»2.

فإنّ لكل مقاتلٍ ما نوى، وللنيّة آثارٌ في تصرفات صاحبها وفي

---

1 – مسلم: الصحيح، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. 46/6.

2 - محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاحتفالٍ بُرمجَ لاستقبال قيادة الولاية السادسة في شهر أوت 1962 بالقرارة، كتبت بالقرارة يوم 08 صفر 1382هـ/ 10 جويلية 1962م، مكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس:03. ص: 9-10)

جزائه الأخرويّ، قال محمد علي دبوز عن شهداء ثورتنا المباركة: «أولئك الشهداء الذين أقدموا على المعركة طلبًا لرضى الله، ونصرةً للدين ممتَثلين/بذلك أمر الله، راجين في ذلك إحدى الحسنَيَين! هذه هي حقيقة شهدائنا، وهذا هو السرّ الذي جعلهم يثبتون ثبات الجبال التي حاربوا فيها، فبهروا الدنيا كلَّها ببطولتهم وثباتهم، وخلعوا قلبَ العدوِّ بقوّتهم وبسالتهم!، الجهاد لنصرة الدين، وإعلاء كلمة الله في الجزائر المسلمة!، هذه هي النية التي ملأت قلوب شهدائنا فأقدموا على أهوال الحرب مبتَسمين» 1.

تتداعى الأمم على المسلمين كما تتداعى الأكَلَة على قصعتها، وسبيل نجاتها الوحيد هو الفرار إلى الله صاحب القوّة المطلقة، والاعتصامُ بحبله، هكذا كان حال الثوار فنصرهم الله على جيوش الاستعمار؛ «ولكننا كنا الأقوياءَ والحمد لله لأننا **حاربنا وضحّينا من أجل الله، وعملنا لله** فكان الله معنا، وجاهدنا نصرةً لدين الله فنصرنا الله، ﴿ ﴾ (محمد: 07) ﴿ ﴾ (العنكبوت: 69) إنّها سبلُ النّصرة تدفعنا إليها يد الله فتتحقق كلُّ

1 - محمد علي دبوز: خطبة ألقيت بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، بمعهد الحياة ليلة الخميس 16 شوال 1381هـ/ 22 مارس1962، مكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس:07، ص: 7-8)

آمالنا، إنها طرق الجنة التي أعدّها للمجاهدين المخلصين فنحظى بالنعيم الخالد.

أولئك **الشهداء الأبرار الذين ماتوا ليحيا الدين** ولتحيا العربية أساسُ الدين ولتحيا الأمّة الإسلامية في الجزائر»[1].

الثائر المغبون الخاسر:

عن أبيّ بن كعب أنّه قال: استعنت رجلا يغزو معي -طلبه أن يجاهد معه- فقال: لا، حتى تجعل لي أجرة، فجعلتُ له أجرة، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ليس له من دنياه وآخرته إلا ما أعطيتَه»[2]. استدل الأستاذ محمد علي دبوز بهذا الحديث على خسران من كان يقاتل لأجل دنيا يصيبُها أو عصبية يدعو لها، مؤكدًا أن النية الخالصة هي سبب النصر والتمكين والسعادة في الدارين.

قال رحمه الله: «أيها الأحبّة: إن المغبون الخاسر في معركتنا، معركة الجهاد في الجزائر هو من يعمل للعصبية الوطنية الضيقة **وحدها**، ويعمل لأجل الدنيا **وحدها**، ولا يعمل لأجل الدين ولوجه الله الكريم.

هذه النية الطيبة التي هي سبب الفوز بكلّ آمالنا في الدنيا، وبتحقّق ما هو أكبر من ذلك لنا في الآخرة»[3].

---

(1) - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 09.

(2) - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 12.

3 – المصدر نفسه، ص: 11.

العقيدة هي سرّ الصدق في الجهاد وتحريرِ البلاد:

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ﴾ (إبراهيم: 24-25) من الثمار المباركة للكلمة الطيبة كلمةِ التوحيد تفاني المؤمنِ في تنفيذ الأوامر واستباق الخيرات والتضحية في سبيل ذلك بالمال والمُهَجِ الغاليات، ولولا هذه العقيدة ما كانت التضحيات الباهرة من مجاهدي ثورة الجزائر وشهدائها الأبرار، قال الأستاذ محمد علي دبوز: «أما والله لولا هذه العقيدة ما ضحّت الجزائرُ وما انتصرت، ولولا هذه العقيدة "أننا نجاهد في سبيل الله" ما كان الله معَنا فانتصرنا.

إنّ الذين ينظرون إلى الماديات وحدَها، ويرسمون الإطار لدولتنا ليحتقرون أنفسهم ويحتقرون الجزائر، ويحتقرون شهداءَنا.

إننا لم نَثُر لبطوننا أيها الناس، ولكن لشيء هو أرفع من ذلك يحقق لنا الازدهار في كلّ النواحي ويجعلنا أقوى دولة، ويورثنا السعادةَ الحقَّةَ في الدارَين؛ إنه دينُنا ولغتُنا وكل المعاني التي هي قوّتُنا.

لقد سبَّنا الاستعمارُ أقذعَ سبٍّ لـمّا قال إنّ الجزائرَ ثارت للقمة عيش، كأنّنا أطفالٌ لا نفهم إلا الماديات، وأمّة بسيطة لا تهُمّها إلا بطونُها، فأنشأ لنا مشروعَ قسنطينة الخلّاب، ولكن الجزائر استمرّت في ثورتها لأنها تحاربُ للمعاني لا للماديّات؛ تحارب لدينها ولغتها وكل المعاني التي تسعدها وتُنيلُها رضى الله»[1].

---

1 - محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاستقبال قيادة الولاية السادسة بالقرارة، ص:09.

الدينُ أعزُّ ما سَلبَه المستعمر؛ فيجب استرجاعه:

الدين أصلُ السعادة، وهو مصدرُ القوّةِ والازدهار في كل مجالات الحياة، وقد تفطّن الاستعمار الفرنسيّ إلى ما في الدين من قوّة وحركيّة وتضحيّة... فاستعملَ مختلِف الوسائل لإبعاد الشعب الجزائريّ عنه وسَلخِه من إنّيّته وأصالته، وانبرى العلماء للقيام بدورهم في إصلاح الأوضاع ودعوة الأمّة إلى الرجوع إلى حصن الاستقامة، والتمسك بِعُرَى الإسلام وقِيَمه رغم تقلّب الأحوال واشتداد التيارات الشرقية والغربية، واجتهدوا لإقناع الشعب أنَّ ثورته لا تقتصر على استرجاع الأرض والحقوق الماديّة المسلوبَة، بل عليه أن يجعل من أولوياته في محاربة المعتدين استرجاعَ الدين والعملَ بأحكامه في مختلِف الميادين. قال الشيخ محمد علي دبوز في فجر الاستقلال المجيد: «لقد استرجعنا أرضَنا التي سلبها منّا الاستعمار فيجب أن نسترجع شيئًا هو أعزُّ من أرضنا سلبَه الاستعمار منَّا وأبعَدَنا عنه؛ وهو ديننا ولغتُنا!.

إنّ دينَنا الإسلاميَّ الحنيفَ هو القوّةُ لا غيرَه، وقد أضعفه الاستعمارُ فينا، فلنعمل بكل الوسائل لاسترجاعه؛ ليكون هو الأصل لأمّتنا.

إنّ الدين والله هو الذي يحقّق لنا القوّةَ والازدهارَ في كلّ النواحي، وهو الذي يضمن لنا الديمقراطية الصحيحة، وهو الذي يُصلح مجتمَعنا ويَشفيه.

إننا نريدها جمهوريةً إسلاميّةً جزائريّة قوامها الدين الذي هو وحده يَشفينا من التعصب والجمود، ويجعلنا موفّقين ناجحين في كل زمان وفي كلّ ميدان.

إننا نريدها جمهوريّةً إسلاميّةً!، فالجمهورية الإسلامية هي غايتنا من جهادنا وثورتنا، وإنَّ الذي جعل الجزائر تثبت في النضال وتستميت في القتال وتُبهر العالَم بالبطولة والإقدام هو اعتقادها بأنّها تَنصُرُ الدين، وتجاهد في سبيل الله، وتعمل لتكوين دولة إسلامية تورثُ الجزائرَ سعادةَ الدارَين»1.

الدينُ أساس نجاح الحُكم:

مهما اتصف الحكمُ بأسباب القوّة والتمكين لا نحكم عليه بالرشاد ما لم يتشبّع بروح الدين.

قال الشيخ بمناسبة تولي الحاكِم عمر بُودِي(2) قيادةَ مدينة بريان: «وإنّ ما يجعلنا نتفاءلُ خيرًا برئيسنا الجديد تشبُّعه بروح الدين وامتلاؤه بصبغته...» 3.

---

1 - محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاستقبال قيادة الولاية السادسة بالقرارة، ص: 08.

2 - عمر بن سليمان بودي (الطالب بودي) تولّى قيادة مدينة بريان من سنة 1952م - 1959م، وانتخب رئيسا للبلدية في 28 مارس 1959 إلى 5 جويلية 1962م. (معجم أعلام الإباضية: 642/3، ترجمة: 660)

3 - محمد علي دبوز: خطبة ألقيت في حفلة التكريم التي أقامتها جمعية الفتح وفرع جمعية قدماء التلاميذ لأحد أعضائها الأدباء عمر بن سليمان بودي بمناسبة تولّيه قيادة بريان، حررت بالقرارة يوم الخميس 05 مارس 1953، مكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس: 08، ص:02.

الدافع الايمانيّ لِنُصح وليّ الأمر:

روي عن رسول الله ﷺ أنّه قَالَ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»1.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لا خير في قوم لا يتناصحون، ولا خير في قومٍ لا يقبلون النصيحة».

استشعر الشيخ محمد علي دبوز مسؤوليةَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتقدَ وجوبَ النصيحة لوليّ الأمر، وممّا أُثر عنه في هذا الشأن وصاياه لقائد مدينة بريان السيد بودي عمر بنِ سليمان، وذكّره في مستهلّها بالبعد الإيماني لهذه الوصايا؛ وهي العيشُ في كنفِ الرحمن والحصانة من كيد الشيطان، وصلاح شؤون الدنيا والسعادة في رحاب الجِنان، قال رحمه الله: «وإني ناصحٌ لك بما إن تمسكت به واستشعرتَه كنتَ دائمًا في كنف الرحيم،/ وفي حصنٍ من الرجيم... فإذا تمسّكت بها وُفّقتَ في كلّ الأعمال، واستدّت أعمالُك في الإدارة والسياسة، فتبيت آمنًا مطمئنًّا قد فزتَ برضى الله الذي يضمن لك راحةَ ضميرك وسعادةَ دنياك...» 2.

أولويّات نُصحِ وليّ الأمر:

---

1 -(رواه مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، 53/1)

2 - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة حفل تكريم جمعية الفتح للقائد عمر بودي، ص: 07-08.

اِستهلَّ الشيخُ وصاياه لأحدِ أولياء الأمر1 بـ"تقوى الله" وصيةِ الأوّلين والآخِرين؛ «أوّلُ ما أوصيك به تقوى الله»، وحرصًا على بلوغ مقام التقوى ولزومِها ذكَّر الخطيبُ بأسبابها المؤدية إليها؛ وهي:

أ- دراسة القرآن:

«وأوّل الأسباب الخالقة للتقوى والواقية لها في النفس، دراسةُ القرآن وتدبّر معانيه، وحديثِ الرسول والغوصِ في أسراره، والنظرُ في كتب الأخلاق/كالقناطر والإحياء، وقراءةُ تراجم الصالحين...».

ب- المواظبة على صلاة الجماعة:

«والسبب الثاني في حفظ التقوى هو حضور الجماعة في المسجد؛ فإن الصلاة في المسجد والاتصالَ بالصالحين الخاشعين في الصفوف، والاقتداءَ بالإمامِ القانتِ لربّه يغسل النفس ويطهرها من الأدران»2.

ج- مجانبة أقران السوء

«واعلم أنَّ الأقرانَ الذين تتصل بهم والإخوانَ الذين تُؤْثِرُهم هم القالَبُ الذي يشكلك فتكون على حسبه، والقلبُ إذا تفتّح لأحدٍ بالوداد استطاع أن يُقرَّ فيه كلَّ ما يشاء../إنني والله لا أخاف منك من شياطين الجنّ؛ فإن لك من دينك وحسن تربيتك أمنَعَ وقاية، ولكني أخاف عليك من شياطين الإنس، فاحذرهم كلَّ الحذر ولا تستهن

1 – هو قائد مدينة بريان السيد عمر بن سليمان بودي.

2 - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة حفل تكريم جمعية الفتح للقائد عمر بودي، ص: 08-09.

بالاتصال بهم، **وليكن لك من دينك أمتَن حصنٍ، وأمنعَ جُنّةٍ منهم**؛ فإن الله قد نهى المسلمين أن يتخذوا بطانةً من دونهم، ويجعلوا غيرَ المؤمنين أولياءهم للأسباب التي ذكرتُها»1.

د- استشارة ذوي العقول والصلاح:

«أيْ أخي: إنَّ الـحِملَ الذي أُلقِي عليك كبيرٌ، والطريقَ الذي تسيرُ فيه كثير العَقبات، وإنَّ أرضَك ذات خَبَار2 قد حَفَرت فيها اليرابيعُ، فإذا لم تكن لك عيونٌ كثيرةٌ نافذةٌ لم تأمن الوقوع، ولم تنجُ من الحفَر الخفيّة؛ فاجعل العقول الناضجة كلَّها في البلد ظهيرًا لعقلك، وذوي العلم والصلاح عيونًا معك؛ بالاستشارة فيما يحزُبُك من أمرٍ، ويُشكِل عليك من غوامض، وإنَّ لك **في البلد أربعَ هيئات** تسدُّ الثغورَ معكَ، فكن لها عونًا في الإصلاح تكن لك جناحًا في مَهمّتك، واجعل منها القلبَ الذي يحميك، والميمنةَ التي تصولُ بها، والميسرة التي تغزِل لك النصر والساقة التي تحفظك من الأدواء»3.

[01]- العزابة: «إن لك العزابة فاجعلهم ميمنَتَك، إياك أن تستهين بهم؛ فهم صوتُ الله في الأرض، ولسان الدين في البلَد، ومَظهَر الشرع في هذه البقاع، يحكمون النفوس بالدين فتتطهر لك، ويغسلون القلوب بالوعظ فتستعدّ لك للخير... فلتكن لها عونًا بالتأييد في

1 – المصدر نفسه: 09-10.

2 – الخبار: جِحَرة الجرذان تهوي فيها الرجلُ سيما في الموطن الرقيق...

3 محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة حفل تكريم جمعية الفتح للقائد عمر بودي، ص: 10-11.

أحكامها والتطبيقِ لقرارِها والزجرِ للعصاة عليها، إياك أن تستهين بهم؛ فإنه استهانة بالدين واحتقارٌ لبيتِ الله، وتعرُّضٌ لسَخَط الرحمن، واستنزالٌ لمثل نقمة صاحب الفيل.

[02] مجلس النواب: ومجلس النواب هو مَيسَرتُك، فاعمل على أن يكون معمورًا بالأكفاء، مزدانًا بالشباب المثقَّف والرجال العاملين.

[03] رجال الفتح: أما قلبُك الذي به تصولُ، وأجنحتك التي بها تطير، وعُدّتك التي بها تسعى، وعيناك التي بهما ترى، ورأسُك الذي به تفكّرُ، وتاجُك الذي به تتيه، فهم رجال الفتح! فإنهم عصبة الخير، والضمير الحيّ في البلد، والعقل الحصيف في الوطن، والنفس الصالحةُ العملية في ريان، فاعرف لها منزلتها وكنْ لها ابنًا بارًّا وسلالةً صالحةً، واعترف لها بالجميل، إنّها والله سبب حياتك وحياتي، إنها مشتملة على زبدة البلد، وخلاصة كلّ الهيئات، إنها للوطن سواد العين وسويداء الفؤاد، فأسكِنْها بالإعزاز أعماقَك، وحُلَّها منك في موضع المقلة تفُزْ بكلّ خيرٍ إن شاء الله.

[04 مجالس العشائر:] أمّا عُدّتك الأخرى فهي مجالس العشائر، فاعملْ لإنعاشها في البلد، ولتكوينها في كلّ عشيرةٍ، وألقِ عليها ما هو من اختصاصها، ولا تحاول فضّ خصامٍ قبل أن تُرجعَه إليها، وكن لها عونًا على قمع العصاة وتنفيذ القرارات، فإنّك إن فعلت ذلك استرحتَ وكان فخرُ عملها لكَ، وما يكون في البلد من هناء وخيرٍ من

سعيك»[1].

مراقبة الله:

كلّل الشيخ نصائحَه للقائد الحاكِم بوصيّة جامعةٍ مؤكّدًا له أنَّها أساسُ كلِّ الوصايا، وهي مراقبةُ الله تعالى؛ «وأوّلُ وصيّتي إليك وآخرُها صفةٌ إذا كنت عليها استتبعتْ كلَّ ما أوصيتُك به؛ وهي "مراقبة الله" أَغْرِسْها في نفسك؛ فإنها الميزانُ الذي لا يخطئ في الأمور، وحارسُ النفس الذي لا ينام في الدَّياجي»[2].

الإيمان بالرسولﷺ:

الإيمان بالرسولﷺ يقتضي اتِّباعَه في جميعِ مجالات الحياة، ويستلزم أن يُثمر العملَ الصالحَ الشاملَ للجانب التعبديّ المناسكيّ والجانب الحياتي المدنيّ.

حمَّل الشيخ محمد علي دبوز جِيلَ الشباب مسؤولية استرجاع الدين الذي أراد الاستعمار الفرنسيُّ أن يسلُبَه منهم، فكان يَنسبُهم إلى الرسول محمدﷺ ويردّدُ نداءاتِه لهم بـ"**يا شبابَ محمد**" تشريفًا لهم وتذكيرًا بالعمل بمقتضيات الإيمان به ؛ ومِن ذلك قولُه: «يا شبابَ محمد إنَّ الاستعمار لما أراد أن يقتل الجزائر سلبَ منها روحَها؛ وهو دينُها ولُغتُها واتّحادُها، إنَّ هذه هي الأجنحة التي بها نطيرُ، فلزامٌ علينا

1 - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة حفل تكريم جمعية الفتح للقائد عمر بودي، ص: 11-12.

2 – المصدر نفسه: 16.

أن نجاهد لنُرجِع لهذا الدين العظيم ولهذه اللغة العربية الشريفة عهودَهما أيام الدولة الرستميّة والإدريسيّة والأغلبيّة؛ يوم كان المغرب/22/ هو الذِّروة الشمَّاء الساطعة في العالَم الإسلاميّ»[1].

يؤكّدُ الشيخ محمد علي دبوز وجوبَ التمسّك بأخلاق رسولنا محمد ﷺ باعتبارها باب الهداية والأرضيّة الصلبة للانطلاق في تحصيلِ علوم العصر واتخاذِ أسبابِ التقدّم الحضاريّ، ومنافسة أمم الشرق والغرب وسبقِهم في ذلك، قال رحمه الله: «يجب أن نكون في العلم أكثر من الرُّوس والألْمَان، وفي المال والصناعة أكثر من الأمريكان، وفي الفن والصناعة أكثر من اللاتين والطليان.

أما في الأخلاق فيجب أن نرجع إلى أخلاق محمدﷺ فهي وحدها تضمن لنا القوّة في الأركان، والسعادة والتفوّق في كلّ ميدان»[2].

الإيمان باليوم الآخر:

العِلمُ بالمصير يؤثّرُ فِي ضبط السلوك وتوجيه المسير، ويزداد هَذَا التأثير قوةً وفعالية بقدر ارتفاع درجة التصديق بالبعث والحساب إِلَى أن يبلغ مرتبة اليقين؛ فإنَّ الموقِن بالآخرة يقوّم كلّ شيءٍ بمعيار علاقته بمصيره الأخرويّ، وجزائه عند الله، أهو يرضيه أم يسخطه؟ وعلى هذا الأساس يتمكّن من التجرّد للحقّ؛ فنقْشُ الفاروق عمرَ رضي الله عنه

---

1 - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 21-22.

2 - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 22.

على خاتمه عبارة " كفى بالموت واعظًا يا عمر"[1]، وقولتُه المشهورة: "لولا الآخرة لكان غير ما ترؤن" تبرزان الفرق بين تقييم الأشياء بمنظار المؤمن بالآخرة وبين التقييم المادّي المصلحيّ الآنيّ[2]؛ فإنَّ التقييم الصحيح يولّد تصوراتٍ صحيحةً، وهذه التصورات تنتج مواقف عادلة ومشاريع فاعلة...

يتميّز المؤمن بالدار الآخرة برؤية خاصّة إلى الأشياء والحوادث؛ يفكر في أسبابها ومآلاتها ومقتضياتها ويستوحي منها الدروس والعبر؛ فالعَلَم الوطنيّ -مثلا- بألوانه وأشكاله ورمزيّته التاريخيّة، يوحي إلى جيلِ الاستقلال بواجب الوفاء للمجاهدين والشهداء، وأضاف الشيخ محمد علي دبوز قوّةً لهذه الرمزية وتأكيدًا لتحميل المسؤوليّة؛ حين يذهبُ بنا إلى الدار الآخرة ويحلّق في رحاب الجنة واصفًا احتفالَ الشهداء بهذا العلَم وتوشُّحهم به ومعانقتهم إياه كلَّ يومٍ مزدهين بروعته وجماله... «إنّ هؤلاء الشهداءَ الأبطالَ لَيعانقون في كلّ صباح هذا العلَم الحبيبَ المفدَّى، إنه وليد مساعيهم، وسليل أعمالهم، وحلمهم العظيم يتحقق، وإنهم/ ليتوشّحون به في الجنّةِ مختالين بمعانيه مزدهين بروعته وجماله، فيالك من علَم سَرَّ الأجدادَ والأحفادَ، واحتفلنا بظهوره في أيام سعيدة جميلة من الجنة، واحتفل به شهداؤنا في الجنة!» [3].

---

[1]- عبد الستار الشيخ: الخلفاء الراشدون حياة ماجدة وأعمال خالدة: 237.

[2]- إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الروم: 88/10.

[3] - محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاستقبال قيادة الولاية السادسة بالقرارة، ص: 02-03.

وشبّه الشيخُ العلَمَ بآي القرآن؛ حيثُ إنّه «يصوّر لنا الجنّةَ في مباهجها لنَشغَف بها فنعملَ لها جاهدين»[1].

البعد الاستخلافيّ للإيمان:

من مقتضيات الإيمان أن يسعى المؤمنُ جاهدًا لعمارة الأرض وفق المنهج الربانيّ لتحقيق حُسنِ الاستخلاف فيها، ويتجسّد ذلك بالعمل الدؤوبِ المخطَّطِ لعِمارتِها﴿ ئد ى ى ي ي □﴾ (هود:61) ولْيعلَم المؤمنُ، خليفةُ الله في الأرض، أن الادِّعاءَ بأن هذا عملٌ دنيويٌّ صِرفٌ وذاك أخرويٌّ مجرّدٌ زعمٌ باطلٌ وفكرة خاطئةٌ تسرّبتْ من الفكر المسيحيّ المحرّف واستقرّت في أذهان كثير من المسلمينَ مسبِّبةً في إحداثِ انفصام وهوَّة بينهم وبين عقيدتهم الصحيحةِ الشاملةِ الحركيّةِ، حيث آل الأمرُ بالمسلمين إلى تمييع الدين وتضييع الدنيا!

نُرقِّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُهْ

رسالة جيل الاستقلال:

حمَّل الشيخ محمد دبوز الطبقةَ المثقّفة من الأساتذة والمفكرين مسؤوليةَ مواصلةِ مسيرةِ جهاد المصلحين في الجزائر؛ المتمثل في القضاء على آثار الاستعمار في أخلاق الأمّةِ وعقولِها، مؤكّدا أنَّ ذلك هو التحرُّر الحقيقيُّ من أغلال الاحتلال، قال رحمه الله: «ولنستعدَّ يا شبابَ محمد ويا أساتذة معهد الحياة في القرارة، ويا أساتذة الجزائر، لنستعدّ لمواصلة جهاد هؤلاء المصلحين، فجهادهم هو الجهاد الأكبر؛

[1]- محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاستقبال قيادة الولاية السادسة بالقرارة، ص: 03.

إنه جهاد النفوس، إنّه القضاء على آثار الاستعمار في أخلاق أمّتِنا وعقولِها، إنَّ ثورتنا المسلّحة قد أزالت شخصَ المستعمر فعلينا نحن المثقفين أن نواصل الثورة الأدبية المصلحة لإزالة آثاره الخبيثة القتالة من النفوس، إن التحرّرَ الحقيقيّ هو التخلص من تلك الآثار، فما لم نتطهَّر منها فإنّنا مستعمَرون مقيّدون مغلولون تتفتّح لنا القبور لا أبوابُ الحياة...» [1].

كأنَّ الشيخ الدبوز هنا يشرحُ بيتَ شاعر الثورة: "نحن ثرنا فحياة أو مماتٌ..." مؤكّدًا أن الثورةَ أمانةٌ يجب أن تستمرّ وتتواصل من جِيل الاحتلال إلى جيل الاستقلال، ولكلّ مرحلةٍ أهدافُها وأساليبُها؛ «هذه هي رسالتنا في أمّتنا، وتلك هي الثورة التي يجب مواصلتها، وإذا نجحنا في هذه كانت ثورتُنا مقدِّمةً صحيحةً لنتيجة حسنة، أمّا إذا قصّرنا -لا قدّر الله- فإن شهداءَنا سيثورون علينا وتذهب تضحيات أمّتنا أدراج الرياح.

يا شبابَ محمد، يا أبناء معهد الحياة في القرارة: إنَّ ثورتَنا المسلّحة قد رفعت عقبات الاستعمار من طريقكم/23/ وكسرت آثار الاستعمار ليسير المغربُ كلُّه وتسير الجزائرُ الفتيّةُ في طريق الدين والعلم الصحيح والنهضة الشاملة في كلّ أنحائها، ألا إنكم أنتم أجنحتُها، فطيروا بها لتصبح المثلَ الأعلى في العلم والحضارة والدين، ويصبحَ علَمُنا الجزائريُّ الحبيبُ عنوانًا لعبقريّة الجزائر في

[1] - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 22.

هذه الميادين كما هو عنوان بطولتها وعبقريّتها في ميدان النضال والقضاء على المستعمرين»[1].

من الوفاء للشهداء أن يستذكر الأبناء المبادئَ التي انطلقوا منها في ثورة التحرير، والأهدافَ التي ضحَّوا واستشهدوا في سبيلِ بلوغها، من أجل مواصلة المشوار لتتحقّقَ آمال الشهداء، ويسود في الأرض قانونُ السماء. «أيّتُها الجزائرُ الحبيبة: إنّ شهداءَنا لَيبكون في قبورهم الدماءَ ويثورون علينا إذا لم نحقق آمالهم؛ فتكون جمهوريتُنا إسلاميّة ينبع دستورُها من الدين الإسلاميّ الذي ماتوا من أجله.

إنَّ أكبر عقوقٍ لشهدائنا وأكبر عقوق للجزائر المجاهِدة، وأكبر احتقارٍ لنا في عيون العالَم أن لا تكون جمهوريتُنا إسلاميّة، اللهم حقّق الآمال ووفقنا إلى ما يُنيلُنا رضاك»[2].

العلَم رمز السيادة والسعادة والوحدة:

للشيخ محمد علي دبوز وقفات خاصّةٌ مع العَلَم الوطنيّ وقراءات عميقةٌ لما يتضمّن من رموزٍ ودروسٍ ورسائلَ ذاتِ أبعادٍ إيمانيّة؛ من الوحدة والتوحيد وتحكيم شرع الله المجيد... من ذلك قوله: «لقد ظهر لكلّ العيون والحمد لله ففاض علينا بالربيع والشباب من خُضرته، وبالنقاء والطهر من بياضه، ورأينا في هلاله الطالع أنوار الحياة والسعادة، ورمز السموّ والعزّة، وعلّم الهلالُ الحبيبُ في علَمنا

[1] – محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 22-23.

[2] – محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاستقبال قيادة الولاية السادسة بالقرارة، ص: 10.

العزيز بمعانقته لكوكبه واحتضانه لنجمه، علّم قلوبَنا كيف تتعانق بالمحِبة، وأرواحَنا كيف يحضن بعضها بعضًا بالوداد والاحترام، لتكون الأمة المغربيّة كلُّها كما يأمرنا به ديننُا جسمًا واحدًا إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، ويكون هذا المغرب الإسلاميّ الكبير كالبنيان يشدّ بعضُه بعضًا!.

فما أعظمك أيّها العلَم الحبيبُ في أسرارك التي تبثّها في قلوبنا، وفي ضروب القوّة التي تودعُها في نفوسنا!» [1].

فلسفة العلَم ووصاياه:

إنَّ رَسْمَ العلَم الوطنيّ -حسبَ تصوير الشيخ محمد علي دبوز- كان من وحيِ روحِ القُدس، وإنَّ خفقَه خُطبٌ بليغةٌ تحوِي عديدَ الوصايا؛ على أبناء الوطن أن يعملوا بها طولَ الزمن: قال رحمه الله: «إن روح القُدُس هو الذي أملى على جبهة التحرير رسمَ هذا العلَم الجليلِ المقدَّس؛ إن فيه فلسفةً عميقة ومعانيَ كثيرةً، وإنّ عَلَمَنا بألوانه وهيئته لَيوصينا بوصايا عظيمة يجب أن نعرفها وأن نَذْكرها دائمًا لنعملَ بها، إنّ خفقَه خُطبٌ عظيمةٌ حافلةٌ بالوصايا:

إن علَمنا بأبيضه ليوصينَا أن نكون دائمًا على البياض في القلوب، والصفاء في النفوس؛ لأن الصفاء هو أساس المحِبّة، والمحِبّة هي عامل الاتحادِ، والاتحادُ هو أجنحتُنا وعُدّتُنا.

ويوصينا علَمُنا بأخضره بأن نكون أبناء الجزائر دائمًا بالنشاط

[1] - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 02-03.

والحيويّة والأمل أغصانًا خضراء في شجرتها تملأ بالثمار والحياة، لا حاطبًا يصلت عليها الفؤوس ويؤجج فيها النيران، ويوصينا بهلاله الطالـع المتفتح بأن يكون كلّ واحدٍ منا بالشباب والقوة والحياة والعِلم هلالاً طالعًا يحمل النور لأمته، وينسخ الظلام عن دولته، ويكون باستقامته وجمال خلُقه وعلمه حِليةَ الجزائر كما كان الهلال حليةَ السماء.

ويوصينا علَمنا بكوكبه بأن يكون أبناءُ الجزائر دائمًا في اليقظة والصفاء والثبات على العمل والسهر في مصلحة الدولة، كالكوكب الدائم الاستنارة الذي لا ينطفئ، والنجم المشبوب الساطـع الذي لا يمتلئ بغير النور والصفاء.

وإن علَمنا ليوصينا بما هو حياةُ الدولة وقوّتُها، وبما هو كلّ السبب في السعادة، وهو مَـحْق الأنانيّةِ وحبِّ النفس.

إنّه يوصينا بأبيضه بأن يكون كلٌّ منا فجرًا طالعًا يضيء للناس لا لنفسه، ويوصينا بأخضره بأن نكون أغصانا مثمرة تُنجبُ الثمار للناس لا لنفسها. ويعلِّمنا علَمُنا الحبيبُ بهلاله المتفتح كيف نكون أذرعًا متفتحةً لمعانقة بعضنا بعضًا لشدة المحبّة والوفاق.

ويعلِّمنا أيها الإخوان علَمُنا بمعانقة الهلال البارز- الذي تراه كلُّ العيون- للكوكب الصغير الذي لا تكاد تتبيّنه العيون، كيف يحنو الكبيرُ على الصغير، ويتواضـعُ القويُّ للضعيف فيحضنه كما تفعل الأمّ

بوحيدها، وكما يفعل الهلال بكوكبنا في عَلَمِنا.

ويأمرنا بألوانه الثلاثة المتجانسة المنسجمة كيف نكون وإن اختلفت طبقاتُنا وجِهاتُنا متَّحدين متلائمين؛ يبدي بعضنا جمالَ بعض ويُكَمِّلُه، لا ينابذه ويخمله.

إنّ علمَنا يهتف فينا قائلا: إنَّ جمالَ البعض وكمالَه بالكلِّ، وإنَّ طبقاتِ الجزائر وأفرادَه كأجزاء العلَم؛ لو تفرّقت ما كانت إلا مِزقًا لِلُعب الصبيان.

ويوصينا علَمنا الحبيبُ بجماله لاحتلال كلِّ لونٍ لموضعه كيفَ نُحلُّ كلَّ كفاءةٍ في الجزائر في موضعها؛ لتكون دولتنا على جَمَال عَلَمِنا ورِفعته، ولتكون دائمًا سرحة خضراءَ تتفيأ الدنيا ظلالَها.

هذه هي فلسفة العلَم، وتلك هي الوصايا التي يردّدُها علينا بِخَفقه في الأجواء، فلنذكرها دائمًا ولا ننساها، فإنها كما هي فلسفتُه فهي حياتُه ورفعته؛ ألا بِرًّا بالعلَم الحبيب!» [1].

وتحدّث الأستاذ في خطبةٍ أخرى عن تذكير العلَم الوطنيّ بوجوب تطبيق الدستور الإلهيّ وتجديد الدين في الأمّة الإسلاميّة، لأنّ ذلك هو هدف المجاهدين من تفجير ثورة التحرير، ورَفعِ العَلَم بعد جهادٍ مرير؛ «إنّه علَم دولتِنا الجزائرية الإسلاميّة! تلك الدولة التي

[1] – محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاستقبال قيادة الولاية السادسة بالقرارة، ص: 04-06.

ستُحيي الدينَ، وتجدّد للأمّة الإسلاميّة شبابَها، وتكون قلبَ المغرب الفيّاض بالقوة والإيمان، فلك الحمد يا ربّ على الحياة بعد الممات، وعلى العزّة بعد الذلّة، وعلى الانتصار بعد الخضوع.

فاللهم إنا نستزيدُك من نصرِك ونِعمِك، ونسألك أن تثبّتنا على أسباب النصر والنجاح، لننتصر في المستقبل في معاركِ الإنشاء والإصلاح، كما انتصرنا في معاركِ السلاح»[1].

شرط تقليد الوظائف والمسؤوليات:

من أسباب النجاح في مجالات البناء والإصلاح تحديدُ شروط تقليد الوظائف والمسؤوليات؛ منها التطهّر من حبِّ النفس والأنانيّة، وتقديرُ شأنِ الأمانة والمسؤولية، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ- قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2].

---

[1] - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، ص: 06.

[2] - رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، 6/2.

جاء في إحدى خطب الشيخ محمد علي دبوز؛ التي أعدّها للاحتفال بزيارة قيادة الولاية السادسة لمدينة القرارة في فجر الاستقلال[1]: «إنّ الاستعمار قد ذهبَ وترك آثارَه في نفوسٍ كثيرة.

إنّ الاستعمار قد أذاقَ بعض أبناء الجزائر حلاوةَ الرئاسة، وأطلق أيديَهم في حظوظهم فألِفوا ذلك، واستعذبوا ذلك، وإنهم ليسعَون لاهثين لاستبْقَاء الرئاسةِ عليهم في هذا العهد السعيد وقد غيّروا جلابيبَهم، ألا فقُل لهم مَعَنا في صوتٍ مدوٍّ كالمدفع والبازوكا: إننا لن نرضاهم لكراسينا حتى يغسّلوا نفوسَهم، وحتى يقتلوا حبَّ النفس والأنانيّة في قلوبهم، وحتى يروا الرئاسةَ واجباتٍ مقدّسةً وأثقالا ثقيلة فيفرّوا منها.

وإنّ بعض إخواننا الذين قاموا ببعض الواجب في ثورتنا لتشرئبَّ نفوسُهم إلى وظائفَ لا يليقون لها، ألا فقُل لهم: إنّ وظائف دولتنا ليست جوائزَ نمنحها لمن قام ببعض الواجب، ولكنها أثقالٌ وجهادٌ أكبر لا نكلِّف بها إلا الأكفاءَ، ولا نرضى أن يضطلع بها غيرُ الأكفاء، وقل لهم: إنّ وظائفنا لا نقبل فيها إلا من مات حبُّ النفسِ في

[1] – كتب الأستاذ الخطبة يوم 08 صفر 1382هـ/ 10 جويلية 1962م، وأعدّها لزيارة قيادة الولاية السادسة وزعيمها العقيد محمد شعباني المبرمجة في شهر أوت 1962م إلا أنها أبطلت.

قلبه ورأى الوظيفةَ أثقالا وواجباتٍ ففرَّ منها.

إذا فعلت **الجزائر** ذلك، وأسندت الأمور إلى أكفائها فإنها ستكون في معركة البناء والإصلاح مكلّلة بالنصر والفوز المبين متحدة قويّة كما كانت في معركة السلاح»[1].

النُّصح لوليّ الأمر

شعورًا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحساسا بواجب النصح لأيمّة المسلمين وعامّتهم، ضمّن الشيخ محمد علي دبوز خطبتَه التي ألقاها بمناسبة تولي القائد عمر بن سليمان بودي قيادةَ بريان سنة 1953، ضمّنها نصائحَ ذكرتُ بعضها في "أصل التوحيد والغيب" وأثبت هنا ما يتناسب والبعدَ الاستخلافيّ للأبعاد الإيمانية، وهي:

01- الحزم في الأمور:

تدبير أمور الرعية وتسييرها على الوجه المطلوب يقتضي اتصاف القائد بالحزم، فإنّ الله "يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، لذلك ذكَّر الأستاذ محمد علي دبوز قائدَ المدينة بعدم اللِّين أمام الخاطئين والأشرار، فإنه يترتّبُ على ذلك التمادي على الباطل والإصرار، وفسادُ حال المواطنين الأخيار، ونَصَحَه باستعمال العصا ليزول

[1] - محمد علي دبوز: خطبة أعدّت لاستقبال قيادة الولاية السادسة بالقرارة، ص: 11-12.

العصيان... ومن ذلك قوله: «أي أخي: إن الحزم هو رأس الرجولة، وأمّ كلِّ خير ودافعُ كلِّ شرٍّ، فكن حازمًا في أمورك، فيجب أن يُحبَّك الأخيار ويخافك الأشرار، واعلم أن الرئيس الذي لا يُرهَبُ لا يستطيع الإدارة، فكن حلوًا للمستقيم ومُرًّا كل المرارة للمُعوَجِّ، كن كالشمس تنعش الزهور وتقتلُ الجراثيم، واعلم أنَّ رضى الصالح والطالح لا يجتمعان لأحدٍ؛ فإذا حاولت رضى العاصي أضعتَ قلبَ المتقي، فتكون مستبدلاً الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ، وتكون قد جعلت نفسَك من زمرة مَن آثرتَ، **فتُقصَدُ بما أمر الله أن يُرموا به من سهامٍ**، فتحطمُ نفسَك بما أردتَ به البناء، يجبُ أن تكون شديدًا على المجرم فإنه مريضٌ، وواجبٌ عليكَ دواؤه، ودواؤُه هو العصا، "**إنَّ العُصيَّة هي زوالُ المعصية**"...»[1] فإنّ وليّ الأمر مسؤول أمام الله باستفراغ الوسع في علاج أدواء الأمة وتسخير مختلف الوسائل المتاحة ؛ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...»[2].

إنّ الحكمة تقتضي المبادرة إلى تقويم الأغصان ما دامت طريّة، وإلى علاج الأدواء قبل استفحالها، «كن حازمًا كلّ الحزم في المعصية

[1] – محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة حفل تكريم جمعية الفتح للقائد عمر بودي، ص: 12.
[2] – رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، 6/2.

الصغيرة فلا تكون الكبيرة، واجلِد على البيضة يبيتُ الجملُ آمنًا في مربِضه، إياك والتهاون بالشرارة الصغيرة فإنها تُعقبُ الحريقَ الذي يُتعبُك، يجبُ أن يكون في القلوب الوُدُّ لك والخوفُ منك، يجبُ أن تكون كالتمرة، على نواةٍ تفقؤ العيونَ الطالحة!... رحم الله العصا والسجنَ في موضعهما! فإنهما الدواء من كلّ داء، فتتطهرُ النفوس من أدرانها، وتتَنقّى البلدة من الأشرار، ويبيتُ الهناءُ عزيزًا في الربوع»[1].

02- احترام النفس:

عاش من عرف قدر نفسه، وجاهد لأجل نيل رضا الرحمن مهما تقلبت أحوال الزمان؛ «أيْ أخي: إنّ من لا يحترم نفسَه لا يحترمُه الناس، واحترام النفس هو الوقاية من الدنايا والدافع إلى كلّ خير، .../14 وإذا تعارض في شيءٍ رضى الله ورضى العباد فاختَرْ رضى الله فإنه مجلبةٌ لرضى العباد، وإن تسخّطوا في أول الأمر، إياك أن تؤثر رضى الناس، فسخطُ الله يستتبع سخطَ عباده، ومَن أرضيتَه بمعصية الله لا تجني منه غير احتقاره لك، واستهانتِه بك»[2].

03- الشجاعة:

الشجاعة أنواعٌ تختلف صورُها وتتفاوت مستوياتُها؛ مِن أرقى مراتبها ضبط النفس في أحلك اللحظات، وقَبول النقدِ والملاحظات، والاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الحقّ مهما كانت الإغراءات أو

---

[1] – محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة حفل تكريم جمعية الفتح للقائد عمر بودي، ص: 03.

[2] – المصدر نفسه: 13-14.

التهديدات؛ «وكن شجاعًا في كلّ الأمور، ورأسُ الشجاعة كبح النفس عند الغضب، وإيثارُ الحقّ وإن خالَف هواك، وتقبّل النقد الصائب وإن ثقل على قلبك.../ لتكن كأبي بكر فقد قال: "رحم الله من أهدى إليّ عيوبي"»[1].

04- مكافحة العصبيّة العِرقيّة:

إنَّ الله يأمرُنا بقول الحقّ والقيام بالعدل ولو مع ذي القربى، وإن من أكثرِ أسباب هضم الحقوق المادية والمعنويّة وإجهاض المشاريع الحضاريّة المختلفة مرضَ العصبيّة القبليّة؛ «ولا زال من هذا الداء في بلدنا مسحة في كلّ الصدور، ولا زال فيها قلوبٌ لا يعمرها الإيمان ولا تنيرُها الثقافة، تحمل راية العصبية الجاهلية! فكن منهم على حذر، فإنهم أعداؤك الألدّاء، ومفسدو قلوب الأخيار عليك.

إنّ صديقَك وقريبَك هو الصالح وإن كان بعيدًا عنك في الدم، والبعيدَ عنك هو الطالحُ وإن كان ابنَ أبٍ وأمٍّ»[2].

الخاتمة:

01- تتميّزُ خطب الشيخ محمد عليّ دبوز بحضورٍ قويٍّ للأبعاد الإيمانية؛ تأصيلا للأقوال، وربطًا للتوجيهاتِ بأصول الإيمان.

02- عدّد الشيخ محمد عليّ دبوز توظيفَ الأبعاد الإيمانيّة؛ منها الإيمان بالله والإيمان بالرسولﷺ، والإيمان باليوم الآخر.

---

[1] - المصدر نفسه: 14-15.

[2] - محمد علي دبوز: خطبة بمناسبة حفل تكريم جمعية الفتح للقائد عمر بودي، ص: 15.

03- أثّر توظيفُ الأبعاد الإيمانيّة في صدعِ الخطيب بالحقّ شعورًا بالمسؤولية، وتميَّز كلامُه بالثقةِ واليقين بالله ربّ العالَمين.

04- يُوَلِّدُ الخطابُ المشبَع بالأبعاد الإيمانيّة في المخاطَبين طاقةً داخليّةً تدفَعُهم إِلَى تصديق الكلام، والعملِ بمقتضاه بطواعيةٍ واستسلام، فإنَّ خيرَ وسيلةٍ للتغيير تحريكُ الإيمان في الضمير.

مصادر البحث ومراجعه

- إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، ج10، نشر: جمعية التراث، غرداية، 1422هـ/ 2001م.

- جمعية التراث- لجنة البحث العلميّ: معجم أعلام الإباضية، تراجم لأكثر من ألفي وخمسائة علَم منذ القرن الأول الهجريّ إلى العصر الحاضر، نشر جمعية التراث، القرارة- غرداية- الجزائر، 1420هـ/1999م.

- محمد علي دبوز:

-01- خطبة ألقيت بمناسبة وقف إطلاق النار ونجاح معاهدة إيفيان، بمعهد الحياة ليلة الخميس 16 شوال 1381هـ/ 22 مارس1962، مكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس:07، ص ص: 23.

-02- خطبة أعدّت لاحتفالٍ بُرمجَ لاستقبال قيادة الولاية السادسة في شهر أوت 1962 بالقرارة، كتبت بالقرارة يوم 08 صفر

1382هـ/ 10 جويلية 1962م، مكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس:03، ص ص: 12.

-03- خطبة ألقيت في حفلة التكريم التي أقامتها جمعية الفتح وفرع جمعية قدماء التلاميذ لأحد أعضائها الأدباء عمر بن سليمان بودي بمناسبة تولّيه قيادة بريان، حررت بالقرارة يوم الخميس 05 مارس 1953، مكتبة الصفاء- بريان- غرداية، العلبة:05، الكراس: 08، ص ص:17.

تقرير حول الملتقى

تقرير حول الملتقى

أ.د. الحاج أمحمد يحيى بن بهون
جامعة غرداية

انعقد يومي الثلاثاء والأربعاء : 08 - 09 ربيع الآخر 1440 هـ الموافق لـ 24 - 25 نوفمبر 2020م افتراضياً وعلى غرفة الدردشة زووم (ZOOM) الملتقى الدولي: الشيخ محمد علي دبوز مؤرخاً وأديباً ومربياً، من تنظيم مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة غرداية، وبالتعاون والتنسيق مع جمعية التراث ومكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز ببريان.

ويعد الشيخ محمد علي دبوز من رجال الوطن الذين تركوا بصماتهم في مسيرة الجزائر الحديثة في ميادين الفكر والأدب، وفي مجال التاريخ والتراث، ومضمار التربية والتعليم...

ولد في ليل الاستعمار سنة 1919 من القرن الماضي، وانتقل إلى دار البقاء سنة 1981. بعد أن أوفى على ستة عقود من الزمن مباركة غنيّة بثمراتها وآثارها؛ قضاها في دأب وجد واجتهاد، يبني النّفوس ويرشد النّاس، ويكتب الأسفار ويصوّب الأفكار، ويحفظ الأحداث ويكشف خبايا التّاريخ، فترك للأجيال تراثا ثمينا في هذه الميادين.

وتَميَّز بقلم سيّال، وأسلوب أدبي فيّاض، وفكر وقّاد، وجرأة في النّقد لا تحابي ولا تداهن. فكانت كتاباته مجالا خصبا بما عالجت من قضايا الفكر والتّاريخ، والمجتمع والتّربية، والسّياسة والدّين. وظلّت مثار جدل ونقاش بين المفكّرين في إبّانها؛ ثمّ طواها الإهمال فجهلها اللّاحقون من الأجيال.

هذه المعالم البارزة في شخصيّة الشّيخ محمد علي دبوز وفكره ومسيرته. تجسّد نموذج رجل آمن بالرّسالة، فضحّى لتحقيقها بكلّ غال ونفيس، ودافع عن قناعاته، وبرهن على صواب اختياره بالدّليل، ومارس مبادئه ومنهجه في التّربية وفي التّأليف. فكان تجربة غنيّة، بحاجة إلى دراسة وتقويم، لاستجلاء مكامن القوّة فيها، والإفادة منها في معالجة واقعنا المعاصر، في مجالاته الفكريّة والدّينيّة، والاجتماعيّة والسّياسيّة.

هذه المعالم والآثار شكّلت نواة مشروع علمي، للتّعريف بهذه الشّخصيّة التّاريخيّة. انتهى إلى التّفكير في عقد هذا الملتقى الدولي، وإبرازها للأجيال الصّاعدة، عرفانا بجهود الآباء وفضلهم على الأبناء. وتذكرة وتحفيزا على التّأسي والاقتداء.

ويطمح هذا الملتقى إلى تجسيد الأهداف الآتية:

- ✓ التّعريف بشخصيّة الشّيخ محمد علي دبوز، وبيان مقوّمات شخصيّته ودورها في نجاحه.

- ✓ التّعريف بآثاره والكشف عن جهوده في كتاباته عن تاريخ الجزائر والمغرب الكبير.
- ✓ الوقوف على مفهومه المتميّز للتّاريخ .
- ✓ إبراز منهجه في التّربية التّعليم.
- ✓ عرض أدبه وتحليله ونقده.
- ✓ إبراز دوره في النّهضة الجزائريّة الحديثة قبل الاستقلال وبعده.
- ✓ الإفادة من تجربته في نشر الثقافة الأصيلة في أبعادها الدّينيّة والوطنية.
- ✓ تقديم دراسات تحليليّة نقديّة لإنتاجه الفكري والأدبي والتّاريخي.
- ✓ تقصّي آثاره المطبوعة والمخطوطة.
- ✓ حصر ما كتب عنه وتحليله ونقده.

وبناء على الأهداف سعى الملتقى إلى فتح المجال أمام الباحثين المهتمين بالموضوع، للإسهام فيه وإثرائه وتبادل الآراء والخبرات حوله؛ وتوفير مادة علمية بحثية تكون بمثابة قاعدة معلومات يعود إليها المهتمون بالدراسات التاريخية والأدبية من طلبة الدراسات العليا والباحثين مستقبلاً.

وقد دعي إلى هذا الملتقى العلمي الهام الافتراضي عدد معتبر من الدكاترة والأساتذة الباحثين من مختلف جامعات العالم والوطن،

والذين مثّلوا أزيد من 6 جامعات دولية و10 جامعات وطنية، تناول المشاركون بمناقشة عدد من المحاور العلمية التي سطرت لهذا الملتقى وهي:

1 - حياة الشّيخ محمد علي دبوز.

2 - الشّيخ محمد علي دبوز مؤرّخا.

3 - الشّيخ محمد علي دبوز مربيًّا ومعلّما.

4 - الشّيخ محمد علي دبوز اجتماعيًا ووطنيا.

5 - الشّيخ محمد علي دبوز أديبا وناقدًا

6- الشيخ محمد علي دبوز وفكره السياسي.

مع نهاية أشغال الملتقى عبّر المشاركون عن بالغ سعادتهم بالتنظيم الجيد والتأطير المحكم، كما أعربوا للجنة العلمية للملتقى عن اختيارها الموفق لأهدافه ومحاوره.

كما تم التعاون التقني مع مؤسسة الضياء الدعوية بغرداية والاستعانة بفريقها التقني الذي أشرف على إدارة الجلسات العلمية الافتراضية والبث المباشر والحي عبر زووم وفيسبوك ويوتيوب، وكانوا متميزين في التقديم والتحكم التقني دون انقطاع للبث والتواصل طيلة يومين كاملين.

وقد شرّف الملتقى تدخل مجموعة من طلبة الشيخ محمد علي دبوز رحمه الله والذين تحدثوا عن بعض مناقبه وقدموا شهاداتهم في حقه، منهم خصوصاً فضيلة الدكتور محمد صالح ناصر، والدكتور

محمد بن عدون شريفي (خطاط القرآن الكريم)، والدكتور إبراهيم أحمد مردوخ (الفنان التشكيلي)، والأستاذ الساسي بن يحياتن (تونسي)... وآخرين.

توصيات الملتقى

توصيات الملتقى

بتاريخ: الإربعاء 09 ربيع الثاني 1442هـ الموافق لـ 25 نوفمبر 2020م اجتمعت لجنة توصيات الملتقى الدولي الشيخ محمد علي دبوز مؤرخاً وأديباً ومربياً، والمنظم من قِبل مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية بالتعاون مع "جمعية التراث" و"مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز ببريان".

وقد خلصت لجنة التوصيات المكونة من السادة:

أ. د. إبراهيم بحاز (جامعة غرداية).

أ. د. محمد ناصر بوحجام (جامعة باتنة)

أ. د. عبد العليم بوفاتح (جامعة الأغواط).

أ. د. يحيى حاج أمحمد (جامعة غرداية)

د. قاسم حجاج (جامعة ورقلة).

د. إبراهيم براهمي (جامعة قالمة).

د. ناصر بالحاج (جامعة باتنة).

د. محمد حمدي (جامعة باتنة).

أ. محمد جهلان (جامعة غرداية).

أ. صالح دبوز (مكتبة الصفاء/ بريان).

أ. سعيد دبوز (مكتبة الصفاء/ بريان).

وبعد المداولات افتراضياً، سجّلت اللجنة التوصيات الآتية:

1- طبع أعمال الملتقى ونشرها ورقياً وإلكترونياً.

2- عقد ثلاث ملتقيات دولية مقبلة في المحاور الآتية: الشيخ محمد علي دبوز مؤرخاً ثم أديباً ثم مربياً.

3- إدراج المادة العلمية والأدبية للشيخ محمد علي دبوز ضمن البرامج التعليمية والمقرّرات المدرسية والجامعية.

4- مساندة إدارة مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز لنشر المزيد من التراث المخطوط والمرقون والمسموع ورقياً وإلكترونياً في موقع المكتبة الالكتروني وإتاحته للباحثين مشرقاً ومغرباً.

5- إعادة نشر وتوزيع الأعمال الكاملة للشيخ محمد علي دبوز على المكتبات الجامعية الجزائرية والعربية والعالمية.

6- العمل على ترجمة بعض مؤلفات الشيخ محمد علي دبوز إلى اللغات العالمية.

7- توجيه الطلبة الخرّيجين (ليسانس/ماستر/دكتوراه) إلى تناول تراث الشيخ محمد علي دبوز المخطوط والمطبوع في مذكراتهم.

8- اعتماد التجربة الرقمية للملتقى والتخطيط لتنظيمها دورياً.

9- تثمين التعاون العلمي بين الجامعة والجمعيات الثقافية المحلية، وتعزيزه بإبرام اتفاقات للتعاون العلمي المتواصل.

10- إقامة ملتقيات مشابهة حول أعلام المنطقة والجزائر من رواد الحركة الإصلاحية، وتحقيق أعمالهم ونشرها.

فهرس المحتوى

محاضرات المحور الرابع الشّيخ محمد علي دبوز مربيًا ومعلما

منهج الشيخ الدبوز في التدريس وأثره في تطور معهد الحياة:د/ حمدي محمد بن صالح 02

خصوصية المنهج التربوي عند الشيخ محمد علي دبوز: د. فخار حمو، د. دبوزسعيد 32

الرسالة التربوية التعليمية للشيخ محمد علي دبوز: أ/ بكاي فتيحة.. 53

رسالة الشيخ محمد علي دبوز - مربيا ومعلما- بين أسرته ومعهد الحياة: أ/ وهيبة هراوة 74

الشيخ محمّد علِي دبوز نموذج للمعلم الناجح: صالح الزرويل 105

تقييم الأداء التدريسي للأستاذ محمد علي دبوز من وجهة نظر طلبته بمعهد الحياة: أ/ بوسنان بكير، أ/ الواهج ربيع 132

النَّخلةُ في أدبيَّاتِ التربيَّةِ عند الشيخ محمد عليّ دبوز: د.محمد حدبون 152

محاضرات المحور الخامس الشّيخ محمد علي دبوز اجتماعيًا ووطنيا

مفهوم المغرب ووحدته وكيف تفاعل معها الشيخ محمد علي دبوز: الحسين بوحبيل 200

الإصلاح وأثره في مبدأ الوطنية من خلال كتابات الشيخ محمد علي دبوز

ترجمته لمبارك الميلي وأبي اليقظان كنماذج: د. محمد تمزغين 224

محاضرات المحور السادس الشيخ محمد علي دبوز وفكره السياسي

التراث السياسي الجزائري الحديث من خلال دراسة مسحية وصفية إحصائية لمحتوى خزانة الأستاذ الباحث محمد علي دبوز (1337-1402هـ / 1919-1981م): د/ قاسم حجاج 257

الأبعاد الإيمانيّة في خُطب الشيخ محمد عليّ دبوز السياسيّة: أ.د. حمو الشيهاني 294

تقرير حول الملتقى: أ.د. الحاج أمحمد يحيى بن بهون 325

توصيات الملتقى: اللجنة العلمية للملتقى 331

فهرس المحتوى: 333

الحمد لله رب العالمين